

١٧
جامعة الملك سعود
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة
قسم الدراسات العليا الشرعية
فروع العقيدة والمذاهب الفكرية

٢٢٠٩
الفهرامطة واراءهم الاغنفاد

« القسم الأول »

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

اعداد الطالب

سليم عبد الله السيلوي

إشراف فضيلة الشيخ محمد الغزالي

رئيس قسم الدعوة والأستاذ بقسم الدراسات العليا

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :-

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
ذَلِكَ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

سورة الأنعام . رقم الآية « ١٥٣ »

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونحوه بالله من شرو
انفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم
مسلمون " (١) . " يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به
والا رحام ان الله كان عليكم رقيبا " (٢) . " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزا عظيما " (٣) .

اما بعد : فمن نعم الله على وتوفيقه ان التحقت بالدراسات
الشرعية في مراحلها المتعددة حتى انتهت السنة المنهجية بقسم
الدراسات العليا الشرعية تخصص عقيدة وكان على بعد ذلك ان اختار
موضوعا لرسالة الماجستير وهي مرحلة اعتبرها من ادق المراحل واهمها
لان الاختيار ليس بالا مراهين . فامام الطالب فترة زمنية معينة، كما
ان امامه مواضيع ومجالات متعددة تتركه في تردد من امرة .

ويحكم العاطفة وسرعة الاختيار تقدمت بموضوع يروي شيئا من
عاطفتي ولكن وبعد فترة من الوقت تبين لي ان الموضوع اقرب الى
الاسلوب الانشائي كما انه غير محدد الجوانب والا فكار .

بعد ذلك فكرت باختيار موضوع آخر وبينما كنت اقلب بعض
المراجع والمصادر في مكتبتى المتواضعة وقعت على كتيب صغير يحمل

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء : ١ .

(٣) سورة الاحزاب : ٧٠ - ٧١ .

عنوان القرامطة^(١). فبدأت اقرأ فيه حتى استمالتني ولم اتركه حتى انهيت به قراءة وشدني ما فيه من اخبار هذه الفئة وافكارها ومخططاتها فذهبت اقلب في المصادر الاخرى ابتغاء المزيد من المعلومات ولكن اتضح لى بعد تتبع واطلاع ان اخبارهم مفرقة ومبعثرة في الكتب التاريخية المتعددة وليس هناك اى صورة شاملة ومفصلة لحياتهم الفكرية والتاريخية ومن ثم وقع الموضوع في نفسى وادركت جوانب متعددة تدل على جدواه واهميتها .

وكان لاساتذى الفاضل محمد الغزالى دور كبير فى اقتناعى بالموضوع واقتناع المسئولين فى الدراسات حيث تبينى الموضوع واشاد به مما ساعد على تسجيل هذا الموضوع والموافقة عليه بعنوان " القرامطة وآراؤهم الاعتقادية " ، ومن ثم اخذت فى جمع المعلومات فلم اجد سوى بعض الفقرات المتناثرة فى كتب الفرق والتاريخ وجميعها تتحدث من وجهة نظر علماء السنة والجماعة ، ايقنت بعد ذلك ان المهمة ليست سهلة وانما تحتاج الى السفر والبحث الطويل للعثور على المصادر الاصلية التى يظن بها اصحابها ويعتبرونها من كتب الحقيقة السنية لا يجوز الاطلاع عليها الا لمن وصل رتبة معينة من دعوتهم .

ولسوء الحظ اولحسنه ان مكتباتنا خالية من هذه المصادر جملة وتفصيلا وكان لا بد من الرحلة والسفر حيث سافرت الى عدة اقطار جمعت منها على قدر الوسع والطاقة ما مكنتى من السير فى الموضوع سيرا حسنا وقد واجهنى فى هذا الموضوع الباطنى عدة صعوبات منها :

(١) ما اشرت اليه سابقا من ندرة المراجع والمصادر التى الفت من قبل القرامطة والباطنية فغالبيتها مفقود وما وجد منها ففى الحصول عليه عسر ومشقة .

(١) هذا الكتيب عبارة عن فصل من فصول كتاب ابن الجوزى المنتظم (١١٠ : ١١٩) وقد نشره الاستاذ محمد الصباغ وطبع عدة طبعات بعنوان القرامطة .

(٢) التضارب والاختلاف في آراء القرامطة ومناهجهم فكانوا يقولون بآراء في بلد وآراء أخرى مناقضة للآراء الأولى في بلد آخر مما يعطى دليلاً على تقلبهم وعدم التزامهم بمنهج واحد ولا يخفى ما يترتب على ذلك من صعوبة الوصول إلى صورة واضحة ومحددة لمعتقداتهم .

(٣) ان معتقداتهم مبنية على اصل من الاصول الخاطئة وهو التأويل الباطني الذي لا يعتمد على لغة او نقل او منطق بل هو فسي حقيقة الامر سلاح من اسلحتهم استخدموه لخداسة ائمتهم وفرض سلطتهم على السذج من البشر . ويسبب هذا الاصل المائع واجهت صعوبة شديدة في الوصول إلى مصطلحاتهم وما تدل عليه من معتقدات وافكار والحقيقة ان هذا الجانب من اعتقادهم يعترض القارئ والباحث في مثل هذا الموضوع ولذا استغرق مني زمناً ليس بالقصير .

(٤) هناك فترة تاريخية مرت بها حركة القرامطة وهي ما يسمى بدور الاستتار وقد ابتدأ هذا الدور لدى القرامطة بامامهم محمد بن اسماعيل ويقى الائمة في كهف الستر والتقية حتى خروج عبيد الله المهدي . وقد نص الباحثون على صعوبة الدراسة في هذا الدور واعتبروه سبباً في اضطراب المؤرخين الذين لم يصلوا بعد إلى رأى قاطع في عدد هؤلاء الائمة ومعرفة شخصياتهم .

(٥) تعدد جوانب هذا الموضوع وتشعبه فهناك ما يسمى بقرامطة العراق وما يسمى بقرامطة الشام وما يسمى بقرامطة البحرين وما يسمى بقرامطة اليمن . والحق ان اعطاء صورة تاريخية وعقدية لكل من هؤلاء يتطلب جهداً شاقاً ووقتاً طويلاً . وقد ادرك احد الطلبة الباحثين في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ذلك فاختار قرامطة البحرين فقط موضوعاً لرسالته الماجستير مع الاقتصار على الجانب التاريخي .

ان اغلب هذه الصعوبات لم تظهر لى بوضوح الا بعد الدخول
فى الموضوع وكان لزاما على ان امضى واخوض غمار هذه الحركة الباطنية
يدفعنى الى ذلك عدة اسباب :

(١) ان هذه الحركة الهدامة لم تدرس فى العصر الحديث دراسة
علمية تلتزم جانب الاسلام وتعالج هذا الموضوع بامانة وتجسرد
واستيعاب لجوانبها العقدية والتاريخية والتنظيمية^(١).

(٢) كشف هذه الحركة على حقيقتها حيث انها قامت على خداع
ال جماهير واستغلال عاطفة المسلمين نحو آل البيت مع ما كانت
تنادى به من شيوعية وقحة تجاوزت الاموال والا راضى السى
الحرمات والنساء .

(٣) هناك بعض الاقلام المأجورة من عماهم التعصب البغيض اشادوا
بالقراطة واعتبروا حركتهم تجربة رائدة فى الاشتراكية ومثالا
ينبغى ان يحتذى فى تصحيح الاوضاع وتنظيم المجتمعات وتطبيق
مبدأ الشورى الذى يعبرون عنه بالديمقراطية .

كما يصفون القراطة الطفافة القتلة بالعفة والتعاهن والعدالة^(٢).
(٤) لفت نظرى من خلال جمع المعلومات ان عددا كبيرا من
المستشرقين ركزوا فى دراساتهم وبحوثهم على نشر آراء الباطنية
وتحقيق الكثير من مخطوطات الاسماعيليه ومن اهم الباحثين
فى موضوع القراطة والاسماعيليه اعتمادا على كتبهم المستشرق
الروسى . ايفانوف الذى اصدر مجموعة من الرسائل والكتب

(١) تحدث الاستاذ محمد عليان فى كتاب له بعنوان قراطة
العراق ملتزما الجانب التاريخى ولم يتعرض لمعتقداتهم كثيرا
ومناقشتها كما انه لم يتعرض لقراطة اليمن والبحرين .
(٢) انظر على سبيل المثال كتابات عارف تامر ومصطفى غالب عن
القراطة .

ونقل بعض كتاباتهم مترجمة وتمتاز مؤلفاته بالتعصب الشديد
للحركات الباطنية فهو كما يقول النشار ؛ يقف دائما بجوار
الفكرة الاسماعيلية ويجعل نفسه اسيرا لها ولا يرى سواها^(١) .

ويأتى بعد ذلك المستشرق الهولندى ميكال يان دى خويسه
الذى ألف كتابا بعنوان القرامطة نشأتهم وعلاقتهم بالفاطميين . وقد
تعصب هو الآخر للقرامطة ودافع عنهم ونفى كثيرا من الحقائق مع التهكم
والسخرية بكتابات علماء المسلمين ويبدو هذا واضحا فى الفصل الثامن
عند حديثه عن الديانة القرمطية^(٢) .

وللمستشرق الفرنسى لويس ماسينيون مقالات متعددة عن القرامطة^(٣)
ومن أشهرها ماكتبه فى الموسوعة الاستشرافية " دائرة المعارف الاسلامية"
تحدث عن القرامطة واعتبر حركتهم مثالا حيا ليقظة الفكر الاسلامى
وركز فى مقاله هذا على الناحية الاجتماعية حيث اشاد بثورتهم وقال
ان هدفها تأمين اصلاح والعدل الاجتماعى على اساس المساواة
واخيرا يرى انها فرقة اسلامية وان مانقله علماء الفرق من المسلمين من
احكام عن القرامطة تعتبر خاطئة^(٤) .

ومن أشهر المستشرقين المعاصرين الذين كتبوا عن القرامطة
المستشرق الانجليزى برنارد لويس حيث ألف كتابه المشهور والمترجم
" اصول الاسماعيلية " تحدث فيه عن الحركة القرمطية وكانت غالب احكامه
تتسم بالواقعية غير انه يؤخذ عليه اعتماده على الروايات الدرزية وخطئه^(٥)
بين بعض الشخصيات^(٦) وانكاره لبعض الاحاديث الثابتة^(٧) وتعبيره عن

(١) نشأة الفكر الفلسفى للنشار (٢ : ٣٨٢) .

(٢) القرامطة لدى خويه (ص ١٢٩ - ١٤٦) .

(٣) انظر المستشرقون للمعيقى (١ : ٢٩٠ - ٢٩١) .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية مادة القاف .

(٥) انظر اصول الاسماعيلية (ص ١٢٢ - ١٢٣) .

(٦) المرجع السابق (ص ١٤١) .

(٧) المرجع السابق (ص ٦٢ - ٦٣) .

بعض آراء اهل السنة بالاساطير^(١).

ومجمل القول ان دراسات المستشرقين عن الحركات الباطنية كثيرة ومتعددة^(٢) وجميع هذه الدراسات تصور القرامطة كغيرها من الحركات الثورية على انها فرقة اسلامية هدفت في تحركاتها ومبادئها ونظمها الى نشر العدل واناة الفكر والاصلاح .

والحق الذي لا رية فيه ان المستشرقين - بدافع الدس والحققد استفلوا هذه الحركات ونفذوا من خلالها لنشر سمومهم المفسولة وافكارهم البارقة وفي حد علمي القاصر ان كشف هذا المنطلق الاستشراقي في دراسة الحركات الباطنية من قبل علماء المسلمين لم ينل قسطه من الدراسة والبيان .

ان هذه الاسباب جعلتني اتجشم اعباء الغوص في هذا الموضوع رغم غموضه وقلة مراجعه وبدأت اولا بالقراءة والاطلاع على مصادر الباطنية التي تمكنت من الحصول عليها وقد استغرق ذلك مني فترة زمنية ليست بالقصيرة ، وبعد ذلك بدأت بالكتابة محتندا على الله سبحانه وتعالى ومستندا منه التوفيق والسداد وكانت خطتي ان قسمت موضوع الرسالة الى اربعة ابواب :

فالباب الاول : عن الجذور الاساسية لحركة القرامطة وذلك ضمن اربعة فصول .

تحدثت في الفصل الاول عن التشيع ومظاهره في الفترات الاولى ذلك ان مذهب التشيع استخدم على مر العصور والا زمان مطية لكل من يريد الاساءة الى الاسلام واستفلاله وتشويهه فمعظم الدجالين

(١) المرجع السابق (ص ١٣٣) .

(٢) ذكر جمعا من هذه الدراسات الدكتور الدوري في مقدمته لكتاب اصول الاسماعيلية . انظر (ص ١٠ - ٢٧) وكذلك عارف تامر في كتابه القرامطة (ص ١٣) .

والمخربين ممن تزعموا بعض الحركات الخطيرة كانوا يدعون النسب العلوى وقد عرضت فى هذا الفصل لتعريف التشيع وظهوره و الفرق الشيعة ودعوى محبة آل البيت واخيرا الدور الذى قد به الشيعة الاماميون فى سبيل نشر آراء الباطنية والقرامطة .

اما الفصل الثانى فعنوانه المذاهب الغالية وحركات المعارضة بينت من خلال الحديث عن الغلو ان القرامطة فرقة من فرق الغلاة لم تكن جديدة بأرائها وغلوها حيث انها امتداد مباشر لمذاهب الحادية وجدت قبل الاسلام ويعدده وذلك كالمزكية والخطابية وقد بينت اصول هاتين الفرقتين ومدى تأثيرهما على الحركة القرمطية .

وحيث ان ظهور القرامطة على مسرح الاحداث لم يكن مفاجئا بل تقدمه ظهور بعض الحركات المعارضة للدولة العباسية - التى كان لها الاثر فى اضعاف قوة الجيش العباسى وبالتالى كان لذلك دور اكبر فى نجاح حركة القرامطة - ولذا تحدثت عن حركة الخرمية وحركة الزنج حيث بينت معاركهما مع الدولة العباسية وما حصل من جراء ذلك من اضطرابات وفتن ظهر القرامطة فى ظلها وقد حرصت فى حديثى عن المذاهب الغالية وحركات المعارضة على الالتزام بابراز الجانب الاعتقادى اكثر من اى جانب آخر .

اما الفصل الثالث فخصصته للحديث عن الحركة الام - الباطنية - مبتدئا بتعريفها و بدايتها ثم بيان فرقها والتى تعتبر الحركة القرمطية واحدة من اكبر واهم هذه الفرق . وعرضت بعد ذلك لمعتقد الباطنية التى تعتبر اساسا لمعتقدات القرامطة . ثم انتهيت هذا الفصل بالحديث عن اشهر زعماء الباطنية الذين كان لهم دور فى نشر الدعوة وتربية قادتها .

اما الفصل الرابع فيتعلق بطائفة الاسماعيلية ودورها فى حركة القرامطة وذلك لما بين الاسماعيلية والقرامطة من التداخل والتشابه

بل والاتفاق في غالب الآراء والمنطلقات وقد قسمت هذا الفصل إلى
ثلاثة أقسام :

الاول : تعريف الاسماعيلية ونشأتها .

الثاني : ائمة الاسماعيلية حيث تحدثت عن الخلاف بينهم وبين
الشيعة الامامية وما ترتب على ذلك من انشقاق واختلاف وبينت روايات -
اهل السنة عن اسماعيل بن جعفر ومدى انحرافاته الفكرية والاخلاقية
التي تمنع من امامته ثم تحدثت بعد ذلك عن انتقال الامامة الى ابنه
محمد بن اسماعيل الذي يعتبر امام القرامطة والاسماعيلية على حد سواء
واستعرضت الآراء حول نسله وعقبه ورجحت انه توفي ولم يحقب وبينت ان
اسرة ميمون القداح استطاعت النفوذ الى الامامة في هذه الفترة التي
جاء بعدها ما يسمى بدور الاستتار .

وفي القسم الثالث الذي اعتبره ركيزة اساسية في اي بحث عن
القرامطة تحدثت عن الصلة التي تربط بين الحركتين انكسريتين الاسماعيلية
والقرامطة وهذا الموضوع من ابرز العقبات التي واجهتني في البحث
حيث ان تحديد خط بياني بين حركتين طالما اختلف المؤرخون في
بيان العلاقة بينهما يعتبر من ادق الامور واصعبها ولذا فقد اطنبت
في هذا القسم وعرضت الآراء فيه بأسلوبين اجمالي وتفصيلي .

اما الباب الثاني : فكان عن تاريخ القرامطة وقد قسمته إلى

خمسة فصول :

الاول منها يتعلق بتعريف القرامطة ومدلول هذه العبارة وبيان
الاسباب في تسميتهم بهذا اللفظ . كما يتعلق ببداية دعوة القرامطة
وظهورهم وبينت ان هناك فرقا بين بدو الدعوة وظهورها حيث انها
ابتدأت سنة اربع وستين ومائتين . اما ظهور القرامطة وعلان ثورتهم
علنا فكان سنة ثمان وسبعين ومائتين .

الفصل الثاني قرامطة العراق وزعمائهم مهدت لهذا الفصل

بذكر بعض الاسباب التي ادت الى نجاح دعوة القرامطة في العراق حيث انها انطلقت من مدينة الكوفة وواسط وانتشرت بعد ذلك ففى اقطار متعددة مترامية الاطراف ثم ترجمت بعد ذلك لاشهر زعماء القرامطة في العراق وهما حمدان قرط رئيس الحركة وزعيمها الاول وعبدان عقل القرامطة وصاحب التصانيف في المذهب، وحرصت على الرغم من قلة المادة العلمية عنهما - على ايضاح الجوانب الفكرية والاعتقادية في حياتهما .

وفى الفصل الثالث وهو بعنوان زعماء قرامطة الشام تحدث فيه عن ميزات هذه الحركة وخصائصها التي تختلف بها عن حركات القرامطة الاخرى وعصرت زعماء هذه الحركة بثلاثة اشخاص وجميعهم من اسرة واحدة وهم :

(١) يحيى بن زكرويه

(٢) الحسين بن زكرويه

(٣) والدهم زكرويه بن مهرويه

وواجهت في الحديث عن هؤلاء صعوبة شديدة لتخفيهم وتسترهم تحت عدة اسماء وتمويههم على اتباعهم بكثرة الادعاءات حتى ان الاول منهم اختلف في اسمه على خمسة اقوال، وقد تمكنت - والله الحمد - من حصر هذه الاسماء والالقاء المتعددة لكل شخص على حدة مما اعانى كثيرا للوصول الى صورة واضحة لكل واحد منهم .

وعند الحديث عن الحسين بن زكرويه تعرضت لاحدائه مع امام الاسماعيلية (عبيد الله المهدي) وحيث ان هذه الاحداث ففى ظاهرها تمثل خروجاً على امامهم ومخالفة لمسار القرامطة الحقيقي فصلت القول في ذلك مستعرضاً لتفسيرات الباحثين وموجهاً ما تضح لى من خلال هذه الاحداث انه الراجح من هذه التفسيرات ثم اتبعت ذلك بالحديث عن والدهم زكرويه بن مهرويه مبينا مدى اصالته ففى

الدعوة ثم استتاره واخيرا خروجه من مخبئه وماعمل بحد ذلك من احداث مؤلمة مع حجاج بيت الله الحرام .
واخيرا ختمت هذا الفصل بذكر العوامل والاسباب التي أدت الى عدم قيام دولة لهؤلاء في الشمال .

وفي الفصل الرابع وعنوانه قرامطة البحرين وزعمائهم فصلت القول عنهم باعتبار انهم تمكنوا من اقامة دولة مستقلة امتدت زهاء قرنين وقد بدأت الحديث عن مؤسس دولتهم الحسن بن بهرام الجنابي والمكشي بابي سعيد واستعرضت لسلوبه في الدعوة وبنائه للدولة الفتية .

اما ابنه ابو طاهر الجنابي فتعرضت له بالتفصيل اكثر من اي زعيم آخر من زعماء القرامطة وذلك لشهرته وشدة نكايته بالمسلمين وحجاج بيت الله الحرام واخيرا اجرامه الشنيع بمهاجمة مكة واخذها الحجر الاسود وقتل جميع الحجاج وقد افردت فصولا خاصة لهذا الحدث المريع بينت فيه الدوافع لهذا العمل الاجرامي وتفصيل ما حصل من ابى طاهر وزمرته في بيت الله الحرام . مع ايضاح موقف الدولة العبيدية من هذا الاجرام . ثم انتقلت بعد ذلك الى زعيم آخر لا يقل شهرة عن ابى طاهر وهو الحسن بن احمد والطقب بالاخص وممن ابرز الاحداث في فترة زعامة خلافه مع امامه العبيدي وخلعه طلعتهم واخيرا الحرب الدموية التي فجرها مع العبيديين وفزاهم حتى عقر دارهم وقد رأيت ان افضل القول في ذلك باعتباره خلافا بين فروعين متفقين عقيدة واهدافا وبينت الاسباب التي دعت الى ذلك مع التأكيد على تمسك الحسن الاخصم بعقيدته الاسماعيلية القرمطية . وفي آخر الفصل اوضحت ان نهاية القرامطة في البحرين مرت باطوار متعددة آخرها القضاء عليهم واستئصالهم نهائيا .

اما الفصل الخامس فكان عن الحركة القرمطية باليمن - مهدت الحديث عنها بالجهود الاسماعيلية لنشر الدعوة هناك وذلك بارسال

الداعي ابن حوشب وانتقلت بعد ذلك الى الزعيم الوحيد لقرامطة اليمن وهو علي بن الفضل وذكرت قصة اعتناقه للدعوة ومن ثم سفره الى اليمن ونشره للاراء القرمطية حتى تمكن من اقامة دولة لهم . وافردت عنوانا خاصا عن الحاد علي بن الفضل القرمطي ودعاواه المتعددة من دعوى الالوهية ودعوى النبوة وما تميز به مذهبه من نشر الاباحة وابطال التكليف الشرعية . وختمت هذا الفصل بنهاية ابن الفضل ونهاية الحركة من بعده .

وبنهاية هذا الفصل انتقلت الى الباب الرئيسي في هذا البحث وهو الباب الثالث وعنوانه عقائد القرامطة . وهو مكين من تمهيد وخمسة فصول .

تعرضت في التمهيد الى بيان وحدة المبادئ والمعتقدات للاسماعيلية والقرامطة واكدت على ماضى من ان القرامطة حتى فنى فترة خلافهم مع الاسماعيلية لم يبتدعوا عقيدة جديدة تختلف مسرع تعاليمهم الاولى التى تلقوها من اسمعلا سماعيليه .

واتبعت بعد ذلك بذكر حقائق متعددة وجميعها ترسم الصورة العامة لعقائد القرامطة وتبين مدى الصعوبة فى الوصول الى صورة واضحة ودقيقة لا فكار القرامطة ومنطلقاتهم .

وفى الفصل الاول وهو عن اصول القرامطة التى انطلقوا منها حصرت هذه الاصول بثلاثة :

(١) الامامة .

(٢) الظاهر والباطن .

(٣) الاعداد والحروف .

ان هذا الحصر نتيجة قراءة واطلاع مستفيض حيث قلبت جمل مصادره التى بين يدي وامعنت النظر فيها مع ما تمتاز به من غموض فى الافكار وخروج عن المألوف فى الاداء والالفاظ .

وعن الاصل الاول وهو الامامة نقلت رأيهم فيها ببيان اهميتها وعقيدتهم في الائمة مستندا في ذلك كله الى عباراتهم التي نطقوا بها وسطروها من خلال كتبهم ومؤلفاتهم ثم اتبعت بعد ذلك برأى اهل السنة متتبعيا احكامهم والفاظهم حتى خرجت باحكام واقعية مبنية على حكم الطرفين معا اتبعتها بالمناقشة والرد والتفنيد وكان هذا منهجى في جميع فصول هذا الباب وما هو جدير بالذكر انه من خلال العرض والموازنة بين الفكرة كما يراها اصحابها وما يرونه اهل السنة اتضح لى ان اهل السنة اصدروا عليهم احكاما واقعية بعبارات مبهمة مع العلم ان الغلو وصل عند القرامطة في بعض المعتقدات حدا لا يستحقون معه اى مهانة او تساهل او احترام .

وعن الاصل الثانى وهو الظاهر والباطن بينت انه منطلق اساسى لمذهبهم عبروا من خلاله الى النصوص الشرعية تأويلا عريفا واتبعوا بعد ذلك بذكر نماذج من تأويلاتهم الباطنية ثم مناقشة مزاعمهم والرد عليها .

وعن الاصل الثالث وهو فلسفتهم عن الاعداد والحروف اوضحت انها فلسفة جافة وعقيمة على الرغم ان الكثير من معتقداتهم مبنى عليها . وفى الفصل الثانى : انتقلت الى معتقد القرامطة عن الله سبحانه وتعالى . وقد توقفت كثيرا في هذا الفصل بسبب الفاظهم المعقدة وعباراتهم الغريبة التى هى جزء لا يتجزأ من مخلفات الفلسفة الاغريقية اليونانية . وحاولت جاهدا عرض هذه الافكار بأسلوب اقرب الى متناول القارىء والمطلع .

وحصرت مزاعمهم مقتصرنا على الجوانب الاساسية بسبب ارجاع اكثر المعتقدات اليها ثم تتبعتها من خلال الادلة من القرآن والسنة مبينا بطلانها ومخالفتها للفطرة البشرية .

اما الفصل الثالث فكان في معتقدهم عن النبوة والانبياء والرسول عرضت فيه مزاعمهم من اكتساب النبوة وختمها وتفضيلهم الاولياء والائمة على الانبياء وتأويلهم لمعجزات الانبياء والرسول تأويلاً باطنياً للتوصل الى انكارها . وبينت ضلال هذه المعتقدات ومطالعتها وما تقول اليه من تحقير وتصغير للانبياء والرسول .

وفي الفصل الرابع : اوضحت معتقد القرامطة في القيامة والمعاد وبينت انه يقوم على اساسين :

الاول : القول بالظاهر والباطن حيث اعتبروا جميع النصوص الواردة في هذا المجال لها باطن غير المعروف لدى المسلمين ،

الثاني : اعتبارهم القيامة ظهور القائم السابع من ائمتهم حيث عند ظهوره تخرب الافلاك وتقوم القيامة ويبدأ هو بالحساب والجزاء .

وقد تتبعت هذه الاوهام والخيالات بعرضها باسلوب يشعشع بتفاهتها وعدم وصولها الى مستوى المناقشة والرد . ووضحت معتقد القيامة والبعث والمعاد عند المسلمين كما جاء في كتاب الله وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم واطلت في ذكر الادلة نظراً لما يحتله هذا المعتقد من اهمية قصوى في الشريعة الاسلامية الخرافة .

اما الفصل الخامس : فقد خصصته لمعتقد القرامطة في التكليف الشرعية بدأت فيه بمقدمة موجزة لبيان اهمية التكليفاتها جزء لا يتجزأ من تصور المسلم وعقيدته وركزت في هذا الفصل على الارقان الاربعة وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج . اما الركن الاول وهو الشهادتين فسبق الحديث عنهما في الفصلين الثاني والثالث .

وختمت هذا الفصل ببيان احكام اهل السنة والجماعة على القرامطة من خلال معتقداتهم المتعددة في هذا الباب .

وفي الباب الرابع : وهو خاتمة الرسالة بينت فيه اساليب القرامطة في نشر دعوتهم وكان ذلك تحت عنوان (نظم القرامطة ومخططاتهم) .

وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الاول : منها اوضحت فيه نظم القوامطة الحزبية

والاقتصادية والاجتماعية وبينت من خلال ذلك الاجواء التي تقبلت هذه

النظم مع مخالفتها للفطرة والعقل والذوق السليم .

وحيث ان طبيعة الحركة اخفاء كثير من اسرارها حتى على بعض

اتباعها فقد خصصت :

الفصل الثاني للحديث عن مراحل الدعوة وسلم الارتقاء فـ

تعاليمها وتحدثت عن كل مرحلة مع بيان الاسلوب الذي يستخدمونه

للمدعو فيها .

اما الفصل الثالث : فكان من مراكز رجال الدعوة ومبادئهم وميزة

كل مرحلة من هذه المراتب المتعددة واثار ذلك على نشاطهم وتحركاتهم .

واخيرا ختمت الرسالة بعدة ملاحق تتضمن بعض الحقائق

الاساسية والاسس العامة لحركة القرامطة .

هذا واحب الاشارة الى انه كان في نيتي حصر المراجع الاساسية

التي اعتمدت عليها مع دراسة وتمحيص وموازنة لها ولكن المدة الزمنية

وضخامة البحث اوقفاني عند هذه النهاية لهذا البحث الذي ارجو من

الله العلي القدير ان اكون قد وفيت به بعض حقه وقدمت للمباحثيين

والدارسين في هذا المجال خدمة متواضعة لكشف هذه الحركات على

حقيقتها وايضاح زيفها . وانني مع ذلك اقول كما قال بعض السلف

الصالح " فاما سائر ما تكلمنا عليه فانا احقا بالانزكية ولا نؤكد الثقة

به وكل من عثر منه على حرف او معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله

في اصلاحه واداء حق النصيحة فيه فان الانسان ضعيف لا يسلم من

الخطأ الا ان يعصمه الله بتوفيقه ونحن نسأل الله ذلك ونرجب اليه

في دركه انه جواد وهوب " .

(س)

وختاماً اشكر الله عز وجل واحمده اولا وآخراً وظاهراً وباطناً على
نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى .

ثم اشكر استاذى المشرف على هذه الرسالة فضيلة الشيخ محمد
الغزالي الذى منحنى الكثير من توجيهه ووقته سائلاً الله عز وجل
ان يجزيه عنى خير الجزاء واشكر جميع الاخوة والاساتذة الذين قدموا لى
مساعدة او عوناً فى الحصول على المراجع والمصادر . واخص من هؤلاء
الدكتور سهيل زكار مدرس التاريخ الاسلامى بجامعة دمشق حيث قدم
لى - مشكوراً - بعض المراجع والمصادر ورحب بى اكرم ترحيب فى مكتبته
الخاصة . وكذلك الدكتور محمد احمد مدرس التاريخ الاسلامى بالجامعة
الاسلامية بالمدينة المنورة وهو بدوره قدم لى بعض التوجيهات والاراء .

كما اخص بالشكر ايضا الاخ الفاضل مسعود على مسعود الامين
السابق لمكتبة مركز البحث العلمى حيث ترجم لى عدة مقالات لبعض
المستشرقين الى اللغة العربية فله منى جزيل الشكر والتقدير .

ولا يفوتنى ان اشكر عمادة كلية الشريعة والقائمين عليها سائلاً الله
عز وجل ان يجزيهم خير الجزاء ويسدد خطاهم .
وأخرد عوانا ان الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على
نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم .

الطالب سليمان عبد الله السلوى

الجمعة ٢٠ رجب ١٤٠٠ هـ

الباب الاول

الجذور الاساسية لحركة القرامطة

الفصل الاول : التشيع ومظاهره في الفترات الاولى .

(أ) تعريف التشيع وظهوره .

(ب) فرق الشيعة .

(ج) الشيعة ومحنة آل البيت .

(د) دور الشيعة الاثني عشرية في نشر آراء الباطنية والقرامطة .

الفصل الثاني : المذاهب الخالية وحركات المعارضة .

(١) المذاهب الخالية التي تحتل من جذور الحركة القرامطية .

(أ) المزدكية .

(ب) الخطابية .

(٢) حركات المعارضة التي مهدت لظهور الحركة القرامطية .

(أ) الخرمية .

(ب) حركة الزنج .

الفصل الثالث : الباطنية وزمماها .

(١) تعريف الباطنية وبدايتها .

(٢) فرق الباطنية .

(٣) عقائد الباطنية اجمالاً .

(٤) اشهر زمما الباطنية .

الفصل الرابع : طائفة الاسماعيليين ودورها في حركة القرامطة .

(١) تعريف الاسماعيليين ونشأتها .

(٢)

(٢) ائمة الاسماعيلية .

(٣) صلة الاسماعيلية بالحركة القرمطية .

الفصل الاول

التشيع ومظاهره في الفترات الاولى

(أ) تعريف التشيع وظهوره .

التشيع لفظ يتصل بكلمة : شيعة وشيعة الرجل - بالكسر - اتباعه وانصاره والفرقة على حده ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى طيا واهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا وجمعها اشيع وشيع . وتشيع : اى ادعى دعوى الشيعة ^(١) .
والتشيع في اصل اللغة هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبعين على الاخلاص ويقول الحميرى انما سميت الشيعة شيعة لمشايعتهم على بن ابي طالب ولا ولاده عليهم السلام .

والمشايعية : الموالاته والمناصرة . والشيعة : الاولياء والانصار والاصحاب والاحزاب ، ومنه قوله تعالى " ولقد ارسلنا من قبلك في شيع ^(٢) الاولين " وقوله تعالى " وان من شيعته لابراهيم " ^(٣) .
والمشايعية : المخالطة والمشاركة في الامر وغيره ^(٤) .
فالتشيع اذن يتضمن في معناه الاتباع والنصرة من جماعة لرجل عموما . ومن اقدم من يعرف لنا الشيعة من كتاب الفرق والمقالات هو ابو الحسن الاشعري فيقول :

وانما قيل لهم الشيعة لانهم شايخوا عليا رضوان الله عليه وقد موه على سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥) .

-
- (١) القاموس المحيط للفيروزى باني (٣ : ٤٧ - ٤٨) .
(٢) سورة الحجر : ١٠ .
(٣) سورة الصافات : ٨٣ .
(٤) انظر الحور العين للحميرى (ص ١٧٨ - ١٧٩) .
(٥) مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ٦٥) .

وهذا التعريف غير جامع ولا مانع فابن تيمية رحمه الله يبين ان شيعة علي في القرن الاول كانوا متفقين على تقديم ابي بكر وعمر ونقل عمن شيخ الكوفة ابي اسحاق السبيعي قوله خرجت من الكوفة وليس احد يشك في فضل ابي بكر وعمر وتقدميهما . وقد امت الان وهم يقولون ويقولون ولا والله ما ادرى ما يقولون ونقل احمد بن حنبل بسنده الى مسروق - وهو من اجل تابعي الكوفة - قوله حب ابي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة^(١).

فاعتبار تقديم علي بن ابي طالب على سائر الصحابة صفة مستسيرة للشيعة غير مطرد حيث نقلنا نصوا يدل على ان علماء الكوفة - وهي موطن الشيعة - يرون تقديم ابي بكر وعمر وما يؤكد على ذلك ما ذكره الحميري من ان الشيعة الذين شايخوا عليا عليه السلام على ثلاث فرق :

(١) فرقة يرون امامة ابي بكر وعمر وعثمان الى ان غير السيرة واحداث الاحداث وهؤلاء هم الجمهور الاعظم الكثير .

(٢) وفرقة اقل من اولئك عددا يرون الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ثم عمر ثم علي ولا يرون لعثمان امامة .

(٣) وفرقة يسيرة جدا يرون عليا اولى بالامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرون امامة ابي بكر وعمر كانت من الناس على وجهه^(٢).

الرأى والمشورة ويقولون ان امامة علي كانت اصوب واصح^(٣) وهذا هو الاصل في التشيع الى ان خرج عبد الله بن سبا الذي دعا الى ولاية علي ووصايته والى رجعة النبي وفي ظل هذه الفتن نشأ

(١) المنتقى لابن تيمية اختصار الذهبي (ص ٣٦٠ - ٣٦١) .

(٢) الحور العين للحميري (ص ١٨٠ - ١٨١) .

(٣) يهودى اظهر الاسلام واصله من اليمن رحل الى الحجاز والبصرة والكوفة واثار الفتنة في الشام فطرد منها ورحل الى مصر وجهه ببدعته هناك وكان قتل عثمان رضى الله عنه من جراء ذلك .

انظر الاعلام للزركلى (٤ : ٢٢٠) .

(١) المذهب الشيعي .

اما ابن حزم فانه يعرف الشيعة تعريفا اكثر تحديدا ودقة من ابي الحسن فيقول : ومن وافق الشيعة في ان عليا رضى الله عنه افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحقهم بالامامة وولده من بعده فهو شيعي وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فليس شيعيا .^(٢)

لكن الاكثر فهما تحديدا وجمعا ومنعا هو الامام الشهرستاني حيث يقول ان الشيعة :

هم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية اما جليا واما خفيا واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من اولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره او بتقية من عنده .^(٣)

ومما اختلف فيه الباحثون سواء كانوا قداماء او محدثين بدايئة التشيع وتحديد الوقت الذي ظهرت فيه فكرة الشيعة .

فالشيعة يحرصون اشد الحرص على اعتبار ان اول من وضع بذرة التشيع هو الرسول صلى الله عليه وسلم يقول العاطلي نقلا عن ابي حاتم الرازي : ان اول اسم ظهر في الاسلام على عهد رسول الله هو الشيعة وكان هذا لقب اربعة من الصحابة وهم ابو ذر وسلمان والمقداد وعمار وان لفظة شيعة كانت تقال على من شايع عليا قبل موت النبي وبعده .^(٤)

كما اكد ذلك كل من النوبختي والقمي من علماء الشيعة في القرن الثالث فقالا ان اول الفرق الشيعة وهم فرقة علي بن ابي طالب المسمون بشيعة على في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده معروفون بانقطاعهم

-
- (١) المذاهب الاسلامية لابي زهرة (ص ٤٦) .
 - (٢) الفصل لابن حزم (١١٣ : ٢) .
 - (٣) الملل والنحل للشهرستاني (١٤٦ : ١) .
 - (٤) الشيعة في التاريخ للعاطلي (ص ٢٥ - ٢٦) .

(١) اليه والقول بامامته .

ومع التتبع لكتب الشيعة نجد لديهم الحرص الشديد على رد اصل التشيع الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي دفعهم للـ...
ذلك امران ؛

الاول ؛ اضافة الصبغة الاسلامية على مذهبهم وانه من صليب
تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وبالتالي يصبح التشيع بذرة اسلامية
خالصة .

الثاني ؛ ابعاد الفكرة القائلة ان اصل التشيع يرجع الى اصول
اجنبية لا تمت الى الاسلام بصلة ولذا يقول المظفرى : واما ما ذهب اليه
بعض الكتاب من ان اصل مذهب التشيع من بدعة ابن سبأ المعروف بابن
السوداء^(٢) يعتبر وهما وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم .

ورأى الشيعة هذا ينطوى على كذب وبهتان ليس على المسلمين
بل على الرسول صلى الله عليه وسلم قالله عز وجل ارسل رسوله ليجمع
القلوب ويؤلفها على الايمان لا ليفرقها شيئا واحزابا ، قال تعالى
" هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين " . والى بين قلوبهم^(٣) . فعهد
الرسول صلى الله عليه وسلم غير اليهود واصفاها وابعداها عن التفرق
والتشتت ولم يكن ثمة خلاف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الاطلاق . قال تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله
امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يحض الله ورسوله فقد ضل
ضلالا مبينا^(٤) .

فلا خلاف على عهد رسول الله - كما يزعم الشيعة - ولا جماعات

(١) الفرق للنوختى (ص ٣٦) ، المقالات والفرق للقى (ص ١٥) .

(٢) تاريخ الشيعة للمظفرى .

(٣) سورة الانفال : ٦١ - ٦٢ .

(٤) سورة الاحزاب : ٣٦ .

ولا احزاب وقد وقع في هذا الخطأ الاكبر احمد امين حيث وافق الشيعة على اعتبار ان التشيع ظهر في حياة النبي نفسه وان نواة الشيعة من الصحابة سلمان وابوذر والمقدان^(١) .

ويختلف ابن النديم مع الشيعة - طى الرغم من تشيعه - فيعتبر التشيع لقبا اطلقه على نفسه على اصحابه عند خروجه بجيشه لحرب طلحة والزبير وتسمى اتباعه حينئذ بالشيعة وكان يقول عنهم هؤلاء شيعة^(٢) .

وهناك رأى ثالث وخلاصته ان دلالة الاصطلاح " شيعة " انما ظهرت سنة ٦١ هـ أى بعد مقتل الحسين وخرج ما يسمى بحركة التوابين^(٣) . وكان قائد الحركة يلقب بشيخ الشيعة ومن قال بهذا الرأى البلاذري^(٤)

(١) انظر ضحى الاسلام لامين (٢٠٩ : ٣) .

(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٢٢٣) .

(٣) يحدثنا المسعودي - وهو شيعي - عن هذه الحركة فيقول انه في سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتتادم حين قتل الحسين فلم ينجيهم ورأوا انهم قد اخطأوا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولمقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا انه لا يفصل عنهم ذلك الجرم الا قتل من قتله او القتل فيه ففزعوا الى خمسة نفر منهم وتحركوا الى القتال حتى وصلوا موضعا يسمى بعين الورد ودارت بينهم وبين عبيد الله بن زياد معركة هامة قتل فيها معظمهم ولحق باقيهم بالكوفة والبصرة ويلقبون بالتوابين لانهم قاموا بهذه الحركة المتعبير عن توبتهم حيث تخلفوا عن الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهما ولم ينضموا الى من كان معه في الدفاع عن انفسهم . كما يلقبون بالترابييين نسبة الى لقب علي بن ابي طالب رضى الله عنه حيث لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بابي تراب .

مروج الذهب للمسعودي (١٠٠ : ٣ - ١٠١ - ١٠٢) .

(٤) انساب الاشراف للبلاذري (٢٠٦ : ٥) .

ومن المحدثين النشار حيث قال ان الشيعة تكونت حقا في هذه الفترة واصبحت فرقة دينية تتدبر الامر .^(١) وذهب الى هذا الرأي الشيعي فهو وان كان يقول ان التشيع وجد بعد قتل عثمان الا انه يعتبر استقلال ودلالة اصطلاح " شيعة " انما بدأ وظهور بحركة التوابين^(٢) حيث استقل هذا اللفظ لوضح مدلوله ووضوحه في الميدان السياسي .

ان الرأي الثاني وهو الذي انفرد به ابن النديم ينظر الى التشيع من وجهة نظر محدودة ، وذلك باعتبار ان فرقة الشيعة ليس لديها مبادئ فكرية تختلف بها مع المسلمين وانما الخلاف فقط حول الاتباع والنصرة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وهذا بعد ذاته لا يميز الشيعة من غيرهم حيث من المعروف ان عليا قاتل طلحة والزبير وجيشه يضم كل من بايعه حتى الخوارج فانهم كانوا ضمن المقاتلين ولم يخرجوا الا بعد ذلك فكيف يقال عن هؤلاء بما فيهم الخوارج انهم شيعة .

كما ان اطلاق لفظ شيعة لا يفهم منه دائما فرقة الشيعة الذين رسموا لهم معتقدا يختلف عن معتقد اهل السنة والجماعة في اصوله حيث يقال شيعة عثمان وشيعة معاوية او انصارهما وما قال معاوية ليسر بن ارطاه حين وجهه الى اليمن : امعن حتى تأتى صنعا فلن لنا بها شيعة .^(٣)

اما الرأي الثالث فمنقوض حيث انه يهمل احداثا كبرى كان لها الاثر في ظهور نزعة التشيع وذلك كقتل عثمان والفتن التي برزت وظهرت في فترة الامام علي بن ابي طالب وما تلى ذلك من قتله وقتل ابناءه من بعده بل ان المؤرخين وكتاب المقالات يذكرون ان اكثر معتقدات

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (٢ : ٢١) .

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع للشيعي (ص ١٨) .

(٣) تاريخ يعقوب (٤ : ١٧٣) .

الشيعة برزت بموت علي بن ابي طالب ولا سيما السبئية من الشيعة^(١).
وهناك رأى رابع له وزنه وأهميته ويمثل هذا الرأى بتحديد بداية
التشيع فى أواخر عهد عثمان رضى الله عنه على يد عبدالله بن سبأ
اليهودى . وقال بهذا الرأى جمع من علماء السنة والجماعة قدماء
ومحدثين .

فأبو الحسين المطلى حين تحدث عن الرافضة قال : ان أهل
الضلال الرافضة ثمانى عشرة فرقة يلقبون بالامامية وأولهم السبائية
حيث نشأ التشيع على يد عبدالله بن سبأ^(٢) .

ويقول الشهرستانى : ان عبدالله بن سبأ هو أول من أظهر القول
بالنص بامامة على رضى الله عنه ومنه انشعبت اصناف الغلاة^(٣) .

ويحدد ابن تيمية بداية التشيع بقوله : لما وقعت الغتلة وقتل
عثمان رضى الله عنه حدث بدع التشيع كالغلاة المدعين الالهية فى على
رضى الله عنه والمدعين النص عليه السابقين لابي بكر وعمر رضى الله عنهما^(٤) .
اما اصل مذهب الشيعة فيقول عنه : انه من احداث الزنادقة
المنافقين الذين عاقبهم على رضى الله عنه فى حياته فحرق منهم طائفة
بالنار وطلب قتل بعضهم ففروا^(٥) .

ويرى ابن حزم هذا الرأى ايضا ويحدد بداية التشيع تحديدا
دقيقا بقوله : ان الروافض فرق حدث اولها بعد موت النبی صلى الله عليه

(١) مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ٨٦) ، الفرق بين الفرق
للبيهقي (ص ٢٢٣ - ٢٢٤) ، الملل والنحل للشهرستانى
(١٧٤ : ١) .

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للمطلى (ص ١٨) .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى (١٧٤ : ١) .

(٤) منهاج السنة لابن تيمية (٢١٨ : ١ - ٢١٩) .

(٥) المرجع السابق (ص ٦ - ٧) .

- (١) وسلم بخمس وعشرين سنة - اى السنة التى قتل فيها عثمان رضى الله عنه .
 كما اوضح ان اصل التشيع من وضع عبد الله بن سبأ اليهودى
 وذلك بقوله : وكان مبدأ فرق الرضى على يد طائفة تجرى مجرى
 اليهود والنصارى فى الكذب والكفر وهم القائلون بالهبة على بن ابي
 طالب رضى الله عنه والهبة جماعة معه .
 (٣) كما قال بهذا رأى جمع من المتأخرين وعلى رأس هؤلاء ابو زهرة
 ومحيى الدين عبد الحميد (٤) وعبد الله القصيمى (٥)

- (١) توفي الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة
 وعند اضافة هذه السنوات العشر الى خمس وعشرين سنة تجدهما
 توافق السنة التى قتل فيها عثمان وهى سنة خمس وثلاثين من
 الهجرة .
 (٢) الفصل لابن حزم (٢ : ٧٨) .
 (٣) يقول فى كتابه المذاهب الاسلامية (ص ٤٦) " وكان الطاغوت
 الاكبر عبد الله بن سبأ الذى دها الى ولاية على بن ابي
 طالب ووصايته والى رجعة النبى وانه فى ظل هذه الفتى نشأ
 المذهب الشيعى " .
 (٤) بين رأى ذلك فى شرحه وتحليقه على كتاب الاشعرى مقالات
 الاسلاميين (ص ٥٩) يقول : وعن هذه الآراء الفاسدة التى
 نفت سمومها عبد الله بن سبأ تفرعت آراء كثير من الفرق ومن
 تعاليمه تشعبت اصناف الخلافة من الشيعة والرافضة .
 (٥) يقول فى كتابه الصراع بين الاسلام والوثنية : ان اول امر هذه
 الطائفة - اى الشيعة - رجل يهودى يقال له عبد الله بن سبأ
 تظاهر بالاسلام واصر خلافة وادعى ان عليا مظلوم من قبل
 اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ يدعو الى هذا
 المبدأ اولاً ثم غلا فيه وادعى الوهية . . ثم يقول ان هذه
 الحادثة تعتبر اساساً من الاسس التى قام عليها المذهب
 الشيعى بل انها الحجر الاول فى بنائه وتفرعت بعد ذلك
 حماقات الشيعة وعقائد هم الباطلة .
 انظر (ص ٤٠ - ٤١) .

(١) واحسان ظهير ومحمد بن الحسين الذهبي . (٢)

ان نظرة فاحصة في هذه الآراء تجر لنا الرأي الراجح وهو الرأي الرابع والمتضمن أرجاع التشيع الى الفترة الاخيرة من خلافة عثمان رضى الله عنه على يد اليهودى عبدالله بن سبأ .
وحيثما أرجح هذا الرأي استند الى أدلة متعددة اجملها فسى

اربع فقرات :

- (١) ان هذا الرأي ينظر الى التشيع نظرة شاملة حيث يشمل التشيع كمقيدة كما يشمل التشيع كنظام من حيث منطلق الامامة .
- (٢) ان ابن سبأ يعتبر اول من هاجم الخلفاء الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولعلهم مقتضين ويؤكد النويختى هذا فيقول ان ابن سبأ يعتبر اول من قال بالفلو واظهر الطعن على ابي بكر وعمر وعثمان والصحابه وتبرأ منهم . (٣)
- (٣) ان عبدالله بن سبأ اول من ابتدع عقيدة الشيعة فى على رضى الله عنه من حيث تقديسه كشخصية من اقارب الرسول صلى

-
- (١) وملخص ما ذكر فى كلام طويل : ان عبدالله بن سبأ اليهودى اراد مزاحمة الدين الاسلامى بالتظاهر والنفاق فخطط هو وجمع من وافقه على اهدافه فى مصر كان الخليفة فيه ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه فاثاروا الفتى وفرقوا المسلمين وجعلوا عليا ترسا لهم يتولونه ويتشيعون به ويتظاهرون بحبه والولاء له ومن هناك ويومئذ تكونت طائفة سمت نفسها الشيعة لعلى . انظر الشيعة والسنة (ص ١٩ - ٢٠) .
 - (٢) يقول فى كتابه التفسير والمفسرون : ان مبدأ ظهور المذهب الشيعى كان فى آخر عهد عثمان رضى الله عنه ثم نما واتسع على عهد على رضى الله عنه (٢ : ٣) .
 - (٣) فرق الشيعة للنويختى (ص ٤٠) .

الله عليه وسلم ومن حيث فكرة وصايته من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وكتب الشيعة انفسهم تؤكد ذلك فما نقصل المامقاني - وهو شيعي - في كتابه تنقيح العقال مانعه ؛ وذكر اهل العلم ان عبد الله بن سبأ كان يهوديا فاسلم ووالى عليا وكان يقول - وهو على يهوديته - في يوشع بن نون (وصى موسى) فقال في اسلامه مثل ذلك في علي بن ابي طالب رضي الله عنه .^(١)

ويقول الكشي - وهو شيعي - وكان ابن سبأ اول من اشهر القول بفرض امامة علي بن ابي طالب رضي الله عنه .^(٢) ويؤكد النوبختي - وهو شيعي ايضا - ذلك بقوله : ان ابن سبأ اول من اشهر القول بفرض امامة علي وظهر البراءة من اعدائه وكاشف مخالفه .^(٣)

(٤) انه قال برجعة علي ونادى بأن عليا لم يمت ولم يقتل وانسه رفع الى السماء وسيرجع حتى يملك الارض ويقود الامة . بل انهم لا يخصون الرجعة بحلي وعده ويقولون ان جميع السموات سيرجعون الى الدنيا .^(٤)

كما يقول القمي : انه لما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بن ابي طالب بالمداين قال للذي نعاه : كذبت لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة واقمت علي قتله سبعين عدلا لعلمنا انه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الارض ويسوق العرب بعصاه .^(٥)

-
- (١) المنتقى للذهبي (ص ٣٠٧) حاشية رقم ٢ من تعليق محاسب الدين الخطيب .
- (٢) الشيعة والسنة لا حسان ظهير (ص ٦٠) .
- (٣) فرق الشيعة للنوبختي (ص ٤١) .
- (٤) مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ٨٦) .
- (٥) المقالات والفرق للقمي (ص ٢٠ - ٢١) .

وهذه الفقرات الأربع تشتمل على الأصول الأساسية لعقائد الشيعة والتي اثبتنا انها من اول ما تنفوه به عبد الله بن سبأ وظهره وذلك كما اكدته مصادر الشيعة وكتبهم الأساسية والحق ما شهدت به الاعداء .

(ب) فرق الشيعة .

انشعبت من الشيعة فرق كثيرة سميت باسماء متفرقة والقباب شتى مثل : الرافضة والزيدية والكيسانية . . . وغير ذلك من الالقاب وهم كهم داخلون في جملة هذا اللقب الواحد الذي يسمى الشيعة على تباينهم في المذاهب وتفرقهم في الآراء واشتهر كل فريق بما ينتحله من المذهب وينسب اليه (١) .

والحقيقة انه حينما نستعرض فرق الشيعة فسنجد انهم في غاية التفرق والتشتت فكل فرقة تلعن الاخرى وتكفرها وان ادق ما يصور هذه الحال لدى الشيعة قول الله عز وجل " ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ " (٢) .

قال ابو حمزة ثمالى واحزابا وقال ابن كثير : اي فرقا كأهل الملل والنحل والاهواء والضلالات فان الله تعالى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هم فيه (٣) واخبر الله عز وجل من تعدد سبل الباطل وكثرتها وان الحق واحد وطريقه مستقيم لا عوج فيه . قال تعالى " وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم فمن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " (٤) .

قال ابن كثير انما وحد سبيله لان الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها (٥) .

وقد تعددت آراء العلماء من حيث حصر فرق الشيعة ، فبعضهم حصرها في ثلاث فرق وبعضهم في اربع فرق وبعضهم في خمس فرق

-
- (١) الزينة للرازي (ص ٢٥٩) ضمن كتاب الغلو للسامرائي .
 - (٢) سورة الانعام : ١٥٩ .
 - (٣) تفسير ابن كثير (٢ : ١٩٦) .
 - (٤) سورة الانعام : ١٥٢ .
 - (٥) تفسير ابن كثير (٢ : ١٩١) .

وبعضهم اكثر من ذلك ، ونحن نستعرض هذه الآراء مع ايضاح ما يترجح منها .

فالرأى الاول : ما ذكره ابو الحسين الملقب حيث جمع فـرق الشيعة كلها سواء وسماهم رافضة^(١) ولقبهم بالامامية وقال انهم منقسمون الى ثمانى عشرة فرقة واعتبر القرامطة الفرقة الخامسة من فرق الامامية^(٢).

الرأى الثانى : اعتبار فرق الشيعة وارجاع اصولهم الى

ثلاث فرق هى :

(أ) غلاة .

(ب) زيدية .

(ج) رافضة امامية .

واتفق على هذا التقسيم كل من الاشعرى وصاحب الفرق الاسلامية الا انهاما اختلفا فى تفريعات هذه الفرق . فالغلاة عند الاشعرى خمس عشرة فرقة بينما صاحب الفرق الاسلامية اعتبرها ثمانى عشرة فرقة . واما الزيدية فعند صاحب الفرق الاسلامية ثلاثة اصناف جارودية وسليمانية وبترية ووافقه الاشعرى على هذه الاصناف الثلاثة وزاد عليها ثلاثة اصناف اخرى وهى : النصيرية واليعقوبية ولا يسمى الثالثة بل يقول عن هذه الفرق انهم يتبرأون من ابى بكر وعمر ولا ينكرون رجعة الاموات قبل يوم القيامة . فالزيدية عند الاشعرى ست فرق اما عن الفرقة الثالثة وهى الامامية فقد اختلفا حول عدد اصنافها خلافا كبيرا فبينما الاشعرى يعتبرهم اربعا وعشرين فرقة نجد ان

(١) يقول الاشعرى انهم سمو بذلك لانهم رفضوا امامة ابى بكر وعمر . وقال غيره انما سمو روافض لرفضهم الدين وقيل لرفضهم زيد بن على بن الحسين حينما نهاهم ومنعهم من الطعن فى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما . انظر مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٨٩) .

(٢) انظر التنبيه والرد على اهل الإهواء والبدع للططى (ص ١٨ -

صاحب الفرق الإسلامية يعتبرهم فرقة واحدة ساقوا الإمامة من علي بن
أبي طالب إلى جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم في أئمتهم الاثنى
عشر وآخرهم محمد بن الحسن والمسمى بالامام المنتظر ^(١).

وبالنسبة لفرقة القرامطة اعتبرها الاشعري الصنف الثامن عشر من
اصناف الرافضة الامامية ^(٢).

اما صاحب الفرق الإسلامية فقد اعتبر القرامطة الصنف الثامن
عشر من اصناف الفرق الخالية ^(٣) ويرى ابن حزم رأى الاشعري وصاحب
الفرق الإسلامية من حيث تقسيم فوق الشيعة فيقول : ان اهل الشلع من
هذه الفرقة - اى الشيعة - ثلاث طوائف : زيدية . وامامية . شمس
الخالية ^(٤).

ولكنه يقسم الخلافة الى قسمين : قسم اوجب النبوة بعد النبى
صلى الله عليه وسلم لغيره . وهم فرق متعددة .

والقسم الثانى من فرق الخالية الذين يقولون بالالهية لغير الله
عز وجل فالولهم اصحاب عبد الله بن سبأ اليهودى الذين الهوا عليا
واعبر ابن حزم القرامطة من هذا القسم حيث انهم قالوا بالهية لمحمد
ابن اسماعيل بن جعفر ومن القرامطة من قال بالهية ابي سعيد الحسن
ابن بهرام الجنابى وابنائهم من بعده ^(٥).

(١) انظر مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ٦٥ - ١٠٥) مايتعلق

بالخلافة والامامية و(ص ١٣٦ - ١٤٥) مايتعلق بالزيدية

واما مايتعلق بالنقل من صاحب الفرق الإسلامية ففي ورقة

٦٦ - ٦٨ - ٧٠ - ٧١) .

(٢) مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ١٠٠) .

(٣) الفرق الإسلامية لمجهول (ورقة ٦٨) .

(٤) الفصل لابن حزم (١٧٩ : ٤) .

(٥) الفصل لابن حزم (١٨٣ : ٤ - ١٨٦ - ١٨٧) .

الرأى الثالث :

ان فرق الرافضة افترقت الى اربعة اصناف وهذا هو رأى البغدادى وهذه الاصناف الاربعة هى :

(١) الزيدية وهم ثلاث فرق جارودية وسليمانية وبترية ويجمع هذه الفرق القول بامامة زيد بن على بن الحسين .

(٢) الامامية وعددهم خمس عشرة فرقة ويقول ان فرق الزيدية و— فرق الامامية معدودون فى فرق الامة .

(٣) الكيسانية^(١) وهم فرق كثيرة ولكنهم عند التحصيل يرجعون الى فرقتين :

احدهما : تزعم ان محمد بن الحنفية حى لم يمت وهم على انتظاره وانه المهدي المنتظر .

والثانية : مقررون بامامة محمد بن الحنفية ولكنهم يقولون بموته وان الامامة انتقلت الى غيره مع خلاف بينهم فى المنقول اليه .

ولا يذكر حكمه على الكيسانية كما حكم على الامامية والزيدية غير انه يجمع فرق الروافض ويضم الكيسانية اليهم فيقول فهذه عشرون فرقة — فرق الروافض منها ثلاث زيدية وفرقتان من الكيسانية وخمس عشرة فرقة من الامامية .

(٤) الفلاة وهم الذين قالوا بالهيقلائة وابعوا محرمات الشريعة واسقطوا الفرائض . ولا يحصر فرقهم وانما يذكر اصنافا لهذه الفرقة ويحكم عليها بانها ليست من فرق الاسلام وان كانوا منتسبين اليه .^(٢)

(١) سموا كيسانية لان المختار الذى خرج وطلب بدم الحسين بن على ، ودعا الى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان . ويقال انه مولى لعلى بن ابي طالب .

انظر مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٩١) .

(٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ١٥ - ١٦ - ١٧) .

الرأى الرابع :

ان الشيعة معصومون فى خمس فرق وهى :

(١) الكيسانية وهم منقسمون الى اربع فرق وهى : المختاريسنة

والهاشمية، والبيانىة، والرزামীة ،

(٢) الزيدية وهم اصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية وصالحية .

(٣) الامامية وقسمهم الى سبع فرق وهى :

(أ) الباقرية والجعفرية الواقفة .

(ب) الناوسية .

(ج) الا فطحية .

(د) الشيطانية .

(هـ) الاسماعيليه الواقفة .

(و) الموسوية والمفضلية .

(ز) الاثنا عشرية .

(٤) الغالية وهم الذين غلوا فى حق ائمتهم حتى اخروجوهم من حدود

الخلقية وحكموا فيهم باحكام الالهية وهم احد عشر صنفاً وجميع هذه

الاصناف مخالفة للاثنين والسبعين فرقة .

(٥) الاسماعيليه وهم الذين اثبتوا الامامة لاسماعيل بن جعفر، واشهر

القابهم الباطنية والقرامطة، والمزدكية، والتعليمية، والمطحدة^(١) .

اننا حينما نستعرض هذه الاراء الاربعة نجد ان ارجحهم

ماذهب اليه الامام البغدادي والذي اعتبر فرق الشيعة اربعاً فقط :

زيدية، وامامية، وكيسانية، وغلاة . وبيان ذلك من وجوه ثلاثة :

الاول : ان ماذهب اليه الشهرستاني من اعتبار الاسماعيليه فرقة

قائمة وحدها يعتبر خطأ حيث ان الاسماعيليه كانت فرقة ضمن الامامية

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٤٧ - ١٩٢) .

ولم يختلفوا معهم الا بعد موت جعفر الصادق حيث انقسموا فرقتين كبيرتين تمثلان حتى الان اكبر الفرق الشيعية .
(أ) فالاسماعيلية ساقوا الامامة الى ابنه اسماعيل بن جعفر ثم الى محمد بن اسماعيل .

(ب) اما الامامية الاثنا عشرية فنقلوها الى موسى بن جعفر الصادق وبقيت سلسلة في ابناؤه حتى الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري .

فالا سماعيلية تعتبر في الفترة الاولى ضمن فرقة الامامية الراضية .

الوجه الثاني :

ان ما ذهب اليه الاشعري وابن حزم في تحديد فرق الشيعة بثلاث زيدية ، وامامية ، وفلاة وان الكيسانية يفرقها المتعددة داخلية ضمن الراضية الامامية . ان هذا الرأي فيه خلط واضطراب . فمن المعروف ان آراء الكيسانية في ابي بكر وعمر لم يمت كآراء الراضية .

وآراء الكيسانية تختلف كثيرا عن الراضية الامامية بالنسبة لمحمد بن الحنفية وعقبه من بعده حيث لا يرى الراضية امامة له مع وجود الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهما .

ويتضح اضطراب الاشعري كثيرا حينما يذكر بعض فرق الكيسانية مرة مع فرق الفلاة ومرة مع فرق الراضية الامامية^(١) .

فلا بد والحالة هذه من اعتبار الكيسانية فرقة قائمة بذاتها من فرق الشيعة المتعددة لان لها مبادئ تختلف بها مع الفلاة والراضية الامامية وهذا ما فعله البغدادي حيث اعتبرها فرقة رابعة من فرق الشيعة .

(١) مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ٦٨ ، ٩١ - ٩٢) .

شجرة تبين ائمة الشيعة الاسماعيلية والاثناعشرية
في فترتي الاتفاق والاختلاف

على بن ابي طالب رضي الله عنه (٤٠ هـ)

الحسن (٥٠ هـ)

الحسين (٦١ هـ)

على زين العابدين (٩٤ هـ)

محمد الباقر (١١٤ هـ)

جعفر الصادق (١٤٨ هـ)

موسى الكاظم (١٨٣ هـ)

على الرضا (٢٠٢ هـ)

محمد الجواد (٢٢٠ هـ)

على الهادي (٢٥٤ هـ)

حسن العسكري (٢٦٠ هـ)

محمد المهدي المنتظر

استتر حوالي سنة ٢٦٠ هـ

ائمة الشيعة الاثني عشرية

اسماعيل (١٥٨ هـ)

محمد (١٩٢ هـ)

احمد الوفي (٢١٢ هـ)

محمد التقى (٢٢٥ هـ)

عبد الله الرضي (٢٦١ هـ)

عبيد الله المهدي (٣٢٢ هـ)

الخلقاء الصبيديين

الائمة المستورين

ائمة الاسماعيلية حتى ظهور

عبيد الله المهدي

المرجع في هذه الشجرة كتاب مقالات الاسلاميين للاشعرى
(ص ٩٠ - ٩١) ، منهاج الكرامة للمحلى (ص ٧٩) ، كتاب الدعوة
الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٤٠٨) .

الوجه الثالث :

ان رأى الاول وهو اعتبار الشيعة فرقة واحدة فيه تسوية بسنين المتضادات وجمع بين المختلفات فالشيعة الفلاة ليسوا كالشيعة الزيدية والشيعة الامامية ليسوا كالشيعة الكيسانية فالأختلاف بين هذه الفرق واضح كل الوضوح سواء كان الاختلاف في المعتقدات او في سوق الامامة .

وقد وقع الططى من جراء هذا رأى في اضطراب حيث ذكر ان فرقة من السبأية تقول بامامة محمد بن الحنفية ويذكر بعضها من معتقداتهم التي تتصل بالكيسانية ^(١) . وهذا لم يقله أحد البتة ، كما يتضح الاضطراب اكثر عنده حينما ذكر الفرقة الثالثة عشيرة من الامامية فقال عنهم انهم الا سماعيلية والزمهم باراء ومعتقدات عرفت للشيعة الاثنا عشرية المخالفين للشيعة الا سماعيلية ^(٢) . والذي اوقعه في هذا الاضطراب هو منهجه الذي عرض به فرق الشيعة حيث اعتبرها فرقة واحدة .

وعلى تعدد هذه الفرق وتشعبها فان هناك عقيدة مشتركة تجمع شتات الشيعة بينها الامام الشهرستاني في عبارات موجزة ولكنها جامعة قال : ويجمعهم القول بوجوب التعمين والتخصيص وثبوت عصمة الانبياء والائمة وجوبا عن الكبار والصغائر . والقول بالتولى والتبهرى قولاً وفعلاً . وعقدوا الا في حال التقية .

كما بين الشهرستاني ان اصول الشيعة بعضها يميل الى الاعتزال وذلك كذهب الامامية وبعضها يميل الى التشبيه كالفلاة وبعضها يميل الى السنة كالزيدية ^(٣) .

-
- (١) التنبيه والرد على اهل الاهواء (ص ١٩) .
 - (٢) المرجع السابق (ص ٣٢) .
 - (٣) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٤٧) .

اما ابن تيمية فقد بين منهجهم في تلقى دينهم وعقيدتهم فقال
ان عمدة الرافضة في الشرعيات على ما نقل لهم عن بعض اهل البيت
وذلك النقل منه ما هو صدق ومنه ما هو كذب عمدا او خطأ .

ولا يعتمدون على القرآن ولا على الحديث ولا على آلا جماع الا لكون
المعصوم منهم واما عمدتهم في النظر والعقليات فقد اعتمد متأخروهم
على كتب المعتزلة ووافقوهم في مسائل الصفات والقدر بل ان متكلمي
الشيعة ابتدعوا الغلو في الاثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل . فاول
من عرف عنه في الاسلام انه قال : ان الله جسم هو هشام بن الحكم (١) .

بل نقل ابن تيمية عن الجاحظ انه قال في كتابه الحجج فـسـى
النبوة : ليس على ظهرها رافض الا وهو يزعم ان ربه مثله . وان البدوات
تعرض له وانه لا يعلم الشئ قبل كونه الا يعلم خلقه لنفسه (٢) .

ويقول ايضا : ان مذهب الرافضة ولا سيما متأخروهم جميعا
اخس المذاهب مذهب الجهمية في الصفات . ومذهب القدرية فـسـى
افعال العباد . ومذهب الرافضة في الامامة والتفضيل (٣) .

وما اشتهر به الشيعة قاطبة ما عدا فرق الزيدية - انهم عمدوا
الى خيار اهل الارض من الاولين والاخرين بعد الانبياء والمرسلين ،
والى خیرامة اخرجت للناس فافتروا عليهم العظائم وجعلوا حسناتهم
سيئات .

وبالمقابل جاءوا الى شر من انتسب الى الاسلام من اهل الاهواء
- وهم الرافضة باصنافها - وزعموا ان هؤلاء هم صفوة الله من عباده وهم

(١) هشام بن الحكم البغدادي من الشيعة الامامية الذين غالوا فـسـى
التجسيم والتشبيه توفي بعد نكبة البرامكة بعدة بعيرة وقيل بـسـل
في خلافة المأمون . منهاج السنة (٤٥ : ١) تعليق رشاد سالم .

(٢) منهاج السنة (٤٤ : ١ - ٤٦ - ٤٧) .

(٣) المنتقى للذهبي (ص ٥٠٣) .

(١) الطائفة المحقة التي لا تجتمع على ضلالة وما سواهم فهم كفرة ضالون .
 وصدق والله ابن تيمية فان كتبهم مليئة بسب الصحابة والوفياء
 فيهم ولا سيما الخلفاء الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان .
 ونكتفى بنقل نص واحد يؤكد منطلقهم هذا فمما يرويه الكليني في
 الكافي : ان ابا الحسين موسى عليه السلام كتب الى علي بن سويد وهو
 في السجن قائلا له : ولا تلتصق دين من ليس من شيعتك ولا تحب
 دينهم فانهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا اماناتهم
 وهل تدري ما خانوا اماناتهم ائتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه .
 وبالجمل فان الشيعة ذروا ان يان فاسدة وعقول مدخولة وعد يموا
 الحياء (٣)

-
- (١) المنتقى للذهبي (ص ٢٣٢ - ٢٣٣) .
 (٢) الشيعة والسنة لا حسان ظهير (ص ٨٣) نقلا من الكافي للكليني
 (٨ : ١٢٥) .
 (٣) انظر ابن حزم المفصل (٤ : ١٨١) .

(ج) الشيعة ومحبة آل البيت :

ان دعوى الشيعة محبتهم لآل البيت وموالاة تهم والا خلاص لهم
 فى السراء والضراء امر يحتاج الى تثبيت واعادة نظر وذلك من جانبين :
 الاول : ان الشيعة قصرُوا هذا اللفظ على علي بن ابي طالب
 وبعض اولاده ثم ابناهم واحفادهم بعده وهذا فيه تحكم بدون دليل
 فالله عز وجل نص فى كتابه على ان آل البيت اعم مما ذكره الشيعة . قال
 تعالى " وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة
 وآتين الزكاة واطمن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
 البيت ويطهركم تطهيرا ^(١) . وهذا الخطاب لامهات المؤمنين حيث دخلن
 ضمن اهل البيت وتخالف الشيعة ذلك وتخرج امهات المؤمنين اللاتى
 نص الله عليهن فى هذه الآية وقد ذكر محب الدين الخطيب عدة
 اقوال لاهل السنة عن المراد بآل البيت فقيل ان المراد اقاربه المؤمنين
 من بنى هاشم وبنى عبدالمطلب وقيل انه يشمل جميع اتباعه على دين
 الاسلام . وقيل هم اتقيا امته ^(٢) .

الجانب الثانى : انه مع التبع للاحداث والطمات التى مرت
 بالطالبيين نجد ان الشيعة خانوا آل البيت وغدروا بهم وخالفوا
 دعواهم التى يدعون . ففى احلك الظروف خانوا علي بن ابي طالب
 وتقاعسوا عن مواصلة القتال معه وذلك فى معركته مع اهل الشام ، فحينما
 التحم الجيشان وبدت طلائم النصر لعلي بن ابي طالب رفع اصحاب
 معاوية المصاحف فقال اهل العراق لعلي بن ابي طالب نجيب الى
 كتاب الله فاخبرهم انها خدعة ولكسهم عصوه ولم يطيعوا له امرًا وبالتالى
 انسحبوا من القتال ^(٣) .

(١) سورة الاحزاب : ٣٣ .

(٢) انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب (ص ٥٢) .

(٣) تاريخ ابن الوردي (١ : ١٦٠) .

واما الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهما فقد غدروا به
فدرا الاعداء حتى ان المسعودى - مع تشيعه - ذكر جانباً من احداث
الشيعة المؤلفة مع الحسين مندداً بهذا الفدر والخيانة وما قال : انه
لما مات معاوية ارسل اهل الكوفة الى الحسين قائلين له : اننا
قد حبسنا انفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولكنه لما خرج اتضح له
غدر شيعته فكان يدعو ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا
لينصرونا ثم هم يقتلوننا .

ومع غدر الشيعة له فقد قاتل بمن معه - وهم قلة - وصمد صمود
الابطال حتى قتل رضى الله عنه .

يقول المسعودى : وكان جميع من حضر مقتله من الحساكر وتولى
قتله من اهل الكوفة خاصة ولم يحضرهم شامى^(١) .

ومما قال الصحابي الجليل ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه
للحسين حين هم بالسفر الى العراق : يا ابا عبد الله انى لك
ناصر وعليك مشفق . وقد بلغنى انه قد كاتبك قوم من شيعتك بالكوفة
يدعونك الى الخروج اليهم فلا تخرج اليهم فانى سمعت اباك يقول
بالكوفة : والله لقد ملتهم وابغضتهم وطلوني وابغضوني وما يكون منهم
وفاة قط ومن فاز بهم فاز بالسهم الا خيب . والله ما لهم نيات ولا عزم على
امر ولا صبر على السيف^(٢) .

وفى رواياتى محنف عن الحارث بن كعب الوالى عن عقبة بن
سمعان قال : وان الحسين لما اجمع السير الى الكوفة اتاه ابن عباس
ومما قال له : ان شيعتك انما دعوك للفتنة والقتال ولا آمن عليك ان
يستفزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك فيكون الذين دعوك اشد الناس

(١) مروج الذهب للمسعودى (٣ : ٧٠ - ٧١ - ٧٤) .

(٢) استشهاد الحسين لابن كثير (ص ٤٩) .

(١) عليك .

وحيثما تحدث البغدادي عن الشيعة قال : ان روافض الكوفة موصوفون بالفدر والمشهور من غدرهم ثلاثة اشياء :
 احدها : انهم بعد قتل علي رضي الله عنه بايعوا ابنه الحسن فلما توجه لقتال معاوية غدروا به في سباط المداين فطعنه الجعفي في جنبه فصره عن فرسه وكان ذلك احد اسباب مصلحته معاوية .
 والثاني : انهم كاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنهما ودعوه الى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاعتز بهم وخرج اليهم ، فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيد الله بن زياد يدا واحدة عليه حتى قتل الحسين واكثر عشيرته بكربلاء .

والثالث : غدرهم يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بعد ان خرجوا معه على يوسف بن عمر ثم نكثوا ببيعتهم واسلموه عند اشتداد القتال حتى قتل (٢) .

هذا الى جانب الكذب عليهم واختلاق الاحاديث على سنتهم مع ان آل البيت من هذه الاكاذيب براء . يقول ابن تيمية : واما الكذب والاسرار التي يدعونها من جعفر الصادق فمن اكبر الاشياء كذبا حتى يقال ما كذب على احد مثل ما كذب على جعفر (٣) .

ويقول ابن الجوزي : ان غلو الرافضة حملهم على وضع الاحاديث الكثيرة في فضائل علي بن ابي طالب اكثرها تشويه وتؤذي به وقد ذكرت جملة منها في كتاب الموضوعات (٤) .

ويتضح كذب الشيعة واساءتهم لآل البيت انهم يلزمونهم بما لم يدعوه ويأمرؤا به وذلك كاعتقاد الشيعة ان الائمة من الدين على بن ابي

-
- (١) المرجع السابق (ص ٤٥) .
 (٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٦) .
 (٣) الفتاوى لابن تيمية (٤ : ٧٨) .
 (٤) تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص ٩٩) .

طالب الى الامام المنتظر منصوص عليهم وان كل امام نص على من بعده
وهذا كذب على آل البيت . فعلى بن ابي طالب رضى الله عنه مات ولم
ينص على احد بعده بل لما قيل له استخلف عليا . قال : لا ولكن
اترككم الى ما ترككم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .^(١)

ويقول ابن الحريري : ان قول الرافضة ان على بن ابي طالب
عهد الى ابنه الحسن قول باطل وانه ما عهد الى احد .^(٢)

كما يقول ابن تيمية : والذي علمناه من حال اهل البيت علمنا
لا ريب فيه انهم لم يكونوا يدعون انهم منصوص عليهم كجعفر الصادق وابيه
وجده زين العابدين على بن الحسين وابيه .^(٣)

-
- (١) مسند الامام احمد (١ : ١٣٠) .
 - (٢) المواصم من القواصم (ص ١٩٨) .
 - (٣) المنتقى للذهبي (ص ٥٣٣) .

(د) دور الشيعة الاثنا عشرية في نشر آراء الباطنية :

انتشرت الحركات الباطنية باسم التشيع واتخذت مطية لها
وساعدتهم على ذلك الكثير من معتقدات الامامية وخاصة في الفترات
الاولى .

يقول الديلمي : ان اصول مذهب الفلاة والباطنية والاسماعيلية
والامامية الاثنى عشرية مختلطة بعضها ببعض في كثير من المسائل
ولذلك قيل الامامية دهليز الباطنية لان الكل دخلوا في الشيعة من
جهتهم وكلهم يدعون التشيع ويغلون في الدين ويخرجون من طريق
المسلمين (١) .

كما يقول ابن تيمية : ان من اعظم ما دخل به القرامطة
والاسماعيلية على المسلمين من افساد الدين هو طريق الشيعة
لغرض جهلهم واهوائهم وبعدهم عن دين الاسلام . ولهذا وصوا
دعاتهم ان يدخلوا على المسلمين من باب التشيع وصاروا يستمعون بما
عند الشيعة من الاكاذيب والاهواء ويزيدون هم على ذلك ماناسبهم
من الافتراء واول دعوتهم التشيع وآخرها الانسلاخ من الاسلام بل من
الطل كها . ومن عرف احوال الاسلام وتقلب الناس فيه فلا يبد انه
قد عرف شيئا من هذا (٢) .

ويقول في موضع آخر : ولكثرة كذب الرافضة وانما هم علوم
الاسرار والحقائق انتسبت اليهم الباطنية والقرامطة (٣) .

ويقول ايضا : وقد دخل من الرافضة على الدين من الفساد
مالا يحصىه الرب العباد . والنصيرية والاسماعيلية والباطنية من بابهم
دخلوا . والكفار المرتدة بطريقتهم وصلوا فاستولوا على بلاد الاسلام

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي (ص ٢) .

(٢) منهاج السنة لابن تيمية (٤ : ١٤٧) .

(٣) الفتاوى (٤ : ٧٧) .

(١) وسبوا الحريم وسفكوا الدم الحرام .

وفى موضع آخر يوضح لنا الامام ابن تيمية العلاقة بين القرامطية والرافضة بقوله : ان بينهم اقتران واشتباه ويجمعهم امور منها : الطعن فى خيار هذه الامة وفيما عليه اهل السنة والجماعة وفيما استقر من اصول الملة وقواعد الدين ويدعون باطنا امتازوا به واختصوا به عن سواهم .^(٢)

كما يشير عنان الى حقيقة اخرى وهى الاطوار التى مرت بها الحركة الشيعية وشدة تداخل الشيعة الاسماعيليه مع الشيعة الاثنى عشرية يقول عن ذلك : ان الحركة الشيعية حتى منتصف القرن الثالث تميل الى الاصطباغ بالصيغة الدينية ولا تقصد بالهدم المبادئ الا ما ترى انه يخالف مبادئها ويتعارض مع غاياتها السياسية غير انها تحولت بعد ذلك الى اداة راعمة لهدم جميع المعتقدات الدينية والنظم السياسية وسحق جميع المبادئ الاجتماعية والاخلاقية .^(٣)

بل ان الشيعة الاثنا عشرية اعترفوا باكثر من كونهم جسرا ومعبرا لاراء الشيعة الاسماعيليه حيث صرح الماقدانى - كبير طوائفهم فى الجرح والتعديل - بان ما كان به الخلافة الاقدمون غلاة اصبح الان عند جميع الشيعة الامامية من ضروريات المذهب .

فالفلو الذى كانت تفترق به الاسماعيليه عن الشيعة الامامية صاروا به سواء لا فرق بينهما الا فى شخصيات الائمة .^(٤) ومن هنا يتضح لنا الدور الكبير الذى قدمه الشيعة الاماميون لظهور آراء ومعتقدات الشيعة الاسماعيليين .

(١) المنتقى للذهبي (ص ١٩) .

(٢) الفتاوى لابن تيمية (٤ : ١٠٣ - ١٠٤) .

(٣) تاريخ الجمعيات السرية لمحمد عنان (ص ٣٠) .

(٤) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب (ص ٤٠) .

الفصل الثانى

المذاهب الغالية وحركات المعارضة

(١) المذاهب الغالية التى تعتبر من جذور الحركة القرمطية .

(أ) المزدكية :

تشير المصادر السنية الى ان اكثر الحركات والفرق التى ظهرت فى القرن الثالث لم تكن جديدة بآرائها وغلوها وانما هى امتداد لبعض المثل والمذاهب اللاحادية التى وجدت قبل الاسلام وتكررت لاديان السابقة . ولكن المسلمين بجهادهم ونشرهم للاسلام اضعفوا تلك النزعات ولم يعد لها مكان فى المجتمع الاسلامى فآثرت الحمل سرا وبقيت فى نفوس اصحابها من دعاة الهدم والتخريب .

وكما بدأ الضعف لدى المسلمين ظهرت تلك النزعات تحمل اسماء متعددة ومختلفة ولكنها فى الاهداف والمبادئ تكاد تكون واحدة . ومن تلك المذاهب المزدكية التى اكد جمع من اهل السنة صلتها بالحركة القرمطية .

ويحسن ان اشير الى هذا المذهب وذلك باطلا صورة مختصرة لبعض مبادئه ومعتقداته . فالمزدكية مذهب الحادى من مذاهب الفرس القديمة وضع اساسه مزدك الذى ظهر فى ايام الطك قبان والد انوشروان ويلقب ابن القيم مزدك بالموبذ ومعناه عندهم العالم القدوة^(١) .

انتشر هذا المبدأ على يد الطك قبان حيث اعتنقه وآمن به واخذ يدعو اليه وكان ذلك فى اواخر القرن الخامس الميلادى .

وعقائد المزدكية ترجع فى اصولها الى الثنوية القائمين بالهيين اثنين ازليين . احدهما النور . والثانى الظلمة . وكان مزدك يقول : ان

(١) اغاثة اللهقان لابن القيم (٢ : ٢٤٧) .

النور يفعل بالقصد والاختيار . والظلمة تفعل على الخيط والاتفاق ، والنور عالم حساس . والظلام جاهل اعمى .

ومما قال ايضا : ان الاصول والاركان ثلاثة : الماء . والارض ، والنار . ولما اختلطت حد شعنها مدير الخير ومدير الشر . فما كان ممن صفوها فهو مدير الخير وما كان من كدرها فهو مدير الشر .^(١)
ومن مبادئ مزدك المشهورة شيوعية الاموال والنساء .

يقول ابن القيم : ان المزدكية يرون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء والطرق وغيرها .^(٢)

ويقول ابن الجوزي : ان مزدك اباح النساء لكل من شاء .^(٣)

ويقول ابن النديم ايضا : ان مزدك دعا الى المشاركة في الحرم والاهل فلا يمتنع الواحد منهم من حرمة الاخر ولا يمنعه .^(٤)

كما يقول ابن الاثير : انه اباح النساء والاموال واجاز فـ_____ ما يشتهي الانسان .^(٥)

ويبين الشهرستاني فلسفة مزدك عن هذه الشيوعية الوقحة بقوله :

انه كان ينهى عن المباغضة والمخالفة والقتال . ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال . احل النساء واباح الاموال وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ .^(٦)

انتشر هذا المبدأ الاباحى ولقى نفوذا ولا سيما بين السفلة

والاباحيين الذين لا خلق لهم ولا دين . ويقول الطبري عن هذا : فافترض

(١) المل والنحل للشهرستاني (٢ : ٤٩ - ٥٤) .

(٢) اغاثة اللهفان لابن القيم (٢ : ٢٤٧) .

(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص ٧٦) .

(٤) الفهرست لابن النديم (ص ٤٠٦) .

(٥) اللباب لابن الاثير (٣ : ٢٠٣) .

(٦) المل والنحل للشهرستاني (٢ : ٥٤) .

السفلة ذلك واغتموه وكانفوا مزدك واصحابه وشايحوهم فابتلى الناس بهم وقوى امرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيخلبونه على منزله ونسائه وامواله لا يستطيع الامتناع منهم .^(١)

وقد قضى على هذا المذهب الاحادي الا باقى انوشروان حينما ولى الملك وقتل من اصحاب مزدك خلقا كثيرا لا يحصون وبقي على اعتقاده جماعة ينسبون اليه .^(٢) ولكن هذه الجماعة تحولت الى حركة سرية وعاشت على هذا النحو في ايام الدولة الساسانية ثم عادت الى الظهور من جديد في العصور الاسلامية .^(٣)

ان صلة القرامطة بمذهب مزدك وتأثرهم بالكثير من مبادئه ونظمه لفت انتباه الكثير من علماء السنة ونحن ننقل بعضا من هذه النصوص التي تؤكد هذه الصلة وذلك التأثير بين تلك الحركات المزدكية والقرامطة .

يقول ابن القيم : وعلى مذهب المزدكية والغرامية طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية وسائر العبيدية الذين يسمون انفسهم بالفاطميين .^(٤)

ويقول ابن الجوزي : ان البدايات التي بنى عليها القرامطة للقيام بحركتهم تتعلق بمذاهب الملحدين مثل زرادشت ومزدك فانهم^(٥)

-
- (١) تاريخ الام والملوك للطبرى (٢: ٩٢ - ٩٣) .
 - (٢) اللباب لابن الاثير (٣: ٢٠٣) .
 - (٣) الفلو والفرق الخالية للسامرائى (ص ٢٦) .
 - (٤) اغاثة اللهقان لابن القيم (٢: ٢٤٧ - ٢٤٨) .
 - (٥) هو واضع اساس الديانة الزرادشتية واسمه زرادشت بن بورشيب وظهر في ايام الملك بشتاسف وادعى النبوة وصنف لذلك كتابا . ومن آراءه القول باصلين اثنين يدبران العالم ويقتسمان الخير والشر وهما النور والظلمة . ومما دعا اليه عبادة النار والصلاة على الشمس وكان الزرادشتيون يستحلون زواج الامهات . وقالوا الابن احرى بتسكين شهوة امه واذا مات الزوج فابنه اولى بالمرأة . انظر الملل والنحل للشهرستاني (٢: ٤١ - ٤٣) ، وتبيس ايليس (ص ٧٥ - ٧٦) .

(١) كانا يستحلان المحظورات ؛

اما مؤلف سياست نامه فانه يعتبر القرامطة والاسماعيلية استمرارا مباشرا للحركة المزدكية في العصر الساساني ويقول : ان مذهب مزدك يعتبر مماثلا لمذهب صاحب الزنج وبابك^(٢) والقرامطة^(٣) .

ولما بين حركتي القرامطة والمزدكية من تجانس واتفاق ففى بعض المبادئ فانه احيانا يلقب القرامطة بالمزدكية ولذا يقول الشهرستاني : ان للاسماعيليين القابا كثيرة حيث يسمون بالـمـراق الباطنية والقرامطة والمزدكية^(٤) .

وانطلاقا من تأثير القرامطة بالاراء المزدكية فان علماء السنة يعرضون اراء كل من الحركتين مع الاستعراض والموازنة بينهما ففى جانب المعتقدات يعقد البغدادي مقارنة بين المزدكية الثنوية والقرامطة الباطنية من حيث معتقد كل منهما من الله عز وجل ويخلص الى ان قول القرامطة الباطنية عن ان الاول والثاني يدبران العالم هو بعينه قول المجوس الا ان الباطنية عبرت عن الصانعين بالاول والثاني وعبر المجوس عنهما بيزدان واهرمين^(٥) .

ويقول الغزالي ايضا : ان معتقد القرامطة الباطنية ففى الالهيات يعتبر كفرا مسترقا من الثنوية والمجوس القائلين بالالهين غير ان الباطنية بدلوا عبارتي "النور والظلمة" بالسابق والتالى^(٦) .

اما الجانب الاخلاقي فيذكر بعض اهل السنة اعمالا للقرامطة

(١) القرامطة لابن الجوزي (ص ٣٠ - ٣١) .

(٢) سياى التعريف بهما .

(٣) سياست نامه لنظام الملوك (ص ٢٧٨) .

(٤) المل والنحل للشهرستاني (١ : ١٩٢) .

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٦٩ - ٢٧٠) .

(٦) فضائح الباطنية للغزالي (ص ٤٠) .

هى الى المبادئ* المزدكية اقرب . يقول المطلبى : ان القرامطة زعموا
ان نساء* بعضهم حلال لبعض وكذلك اولادهم وابدايتهم مباحة من بعضهم
لبعض لا حظر بينهم ولا منع .^(١)

ويقول العلوى عن قرامطة اليمن : ان على بن الفضل القرمطى
يجمع الرجال والنساء* فيحصل بينهم من الفجور حتى ان الام قد تقع
لا بنها والاخت لا خيها^(٢) .

وكان ابن الفضل يقول : اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال
ولا ولد من ولد فتكونوا كنفس واحدة^(٣) .

كما يذكر النويرى عن قرامطة العراق : انهم كانوا يجمعون
النساء* فى ليلة معروفة ويختلطن بالرجال وذلك من صحة الود والالفة .^(٤)

وبالنسبة للاموال فشيوعيتها من ابرز النظم لدى القرامطة
فداعيتهم الاول حمدان قرط طلب من اتباعه ان يجمعوا اموالهم
فى موضع واحد وان يكونوا فيه اسوة واحدة لا يفضل احد منهم صاحبه
واخاه فى ملك يملكه .^(٥)

كما يذكر خسرو - وهو رحالة زار البحرين وسطر ما شاهده عن
القرامطة - بعضا من نظمهم المالية التى تؤكد على مبدأ شيوعية الاموال
لدى القرامطة هناك .^(٦)

ويرى نظام الملك انهم تأثروا فى ذلك بالاراء* المزدكية التى
ظهرت فى بلاد الفرس فى اواخر العصر الساسانى وكانت تدعو الى
الاباحية فى المال والنساء^(٧) .

-
- (١) التنبيه والرد على اهل الاهواء للمطلبى (ص ٢١) .
 - (٢) سيرة الهادى الى الحق للعلوى (ص ٣٩٤ - ٣٩٥) .
 - (٣) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١: ١٦٦) .
 - (٤) نهاية الارب للنويرى (٢٣: ٥٩) .
 - (٥) اتعاظ الحنفا (١: ١٥٦) .
 - (٦) سفرنامه لخسرو (ص ١٤٣) .
 - (٧) سياست نامه (ص ٢٧٨) .

(ب) الخطابية :

(١) انتشرت ظاهرة الغلو في فرق الشيعة حتى ان اصحاب المقالات والفرق اعتبروا الخلافة فرقة قائمة بذاتها من بين فرق الشيعة الكبرى التي يتفرع منها عدة فرق .
 وفرقة الخلافة جاهرت بعبادى* وعقائد خرجت بها من دأيرة الاسلام ودخلت في دائرة الكفر . ومن اشهر مبادئ* غلاة الشيعة التي تجمعهم على تعدد فرقهم الغلو في حق الائمة واخراجهم من حدود الخلقية والحكم فيهم بالاحكام الالهية فربما شبهوا واحدا من الائمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق . (٢)

- (١) ورد لفظ الغلو في القرآن مرتين في سورة النساء : ١٢١ ، وفي سورة المائدة : ٧٧ ، وكلا الايتين تنهيان عن تجاوز الحد والافراط والتفريط فمن الافراط غلو النصارى في عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حتى جعلوه ربا ومن التفريط غلو اليهود في عيسى حتى جعلوه لغير رشدة . انظر فتح القدير للشوكاني (١ : ٥٤٠) . ويقول ابن كثير ان غلو النصارى لم يكن مقتصرًا على عيسى فحسب بل انهم غلوا في اتباعه واشياعه من زعم انه على دينه فادعوا في هؤلاء الاتباع العصمة واتباعهم في كل ما قالوا سواه كان حقا او باطلا . انظر تفسير ابن كثير (١ : ٥٨٩) ويقول في تفسير آية المائدة " قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فسى دينكم غير الحق " اى لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطسروا من امرتم بتعظيمه فتبالفوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة الى مقام الالهية كما صنعتم في المسيح حيث جعلتموه الها من دون الله وهو نبى من الانبياء . انظر ابن كثير (٢ : ٨٢) . ويمسرف السامرائى الغلو بقوله : انه موقف مبالغ فيه يقفه الانسان من قضية عامة او خاصة بشكل متطرف يتجاوز حدود المألوف والمعقول انظر كتاب الغلو (ص ١٥) .
- (٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٧٣) .

ومن اشهر هذه الفرق واشدها غلوا فرقة الخطابية التي جهرت
بآرائها الخالية في ابشع صورة في تاريخ الغلاة .

ومؤسس هذه الفرقة يدعى بابي الخطاب واسمه محمد بن ابي
زينب الاسدي الكوفي الاجدع ويكنى بابي الخطاب وبابي الطبيان
وبابي اسماعيل^(١) .

وقد نشأ بالكوفة وعاصر الامام جعفر الصادق وتردد عليه واخذ عنه
ثم عاد الى الكوفة لينشر مبادئه وهناك كون فرقة المعروفة بالخطابية
وفي اول امره كان يرضى بان ابا عبد الله جعفر جعله قومه ووصيه من
بعده وعلمه اسم الله الاعظم^(٢) .

ان المصادر التي بين ايدينا تشير الى ان ابا الخطاب على
صلة بجعفر الصادق اول الامروان جعفر قربه . ولكنه لما جاهر بآرائه
الخالية تبرأ منه وامراضه به بذلك يقول الشهرستاني : فلما وقف
الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعننه وامراضه بالسبابة
منه . وشدد القول بذلك وبالغ في التبري منه واللعن عليه ، فلم
اعتزل عنه ادعى الامامة لنفسه^(٣) .

آراء الخطابية :

مرت آراء الخطابية مثلة بزعيمهم ابي الخطاب بثلاثة ادوار :
الدور الاول : ادعاء النبوة للائمة حيث يزعمون ان الائمة انبياء
محدثون ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منهم رسولان واحد ناطق
والاخر صامت . فالناطق محمد صلى الله عليه وسلم والصامت على بن
ابي طالب وان رسل الله تترى . اى اثنان في كل وقت ورسولا منهما

(١) فرق الشيعة للنوختي (ص ٥٧) .

(٢) فرق الشيعة للنوختي (ص ٥٧) ، المقالات والفرق للمقي (ص ٥١) .

(٣) الطل والنحل للشهرستاني (١ : ١٧٩) .

(١) جعفر الصادق وابو الخطاب الاسدي ،

وقد ادعى ابو الخطاب النبوة أولا ثم ادعى الرسالة ثم ادعى انه
من الملائكة وانه رسول الله الى اهل الارض والحجة عليهم .
(٢)

الدور الثاني : تدرج ابو الخطاب صعودا في الكذب والمخرقة
فادعى ان روح الله عز وجل حلت في جعفر الصادق وحده في نفسه .
(٣)

ومن منطلق هذه الحلولية زعم ان جعفر ليس هو المحسوس الذي
يرونه ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فراه الناس فيها
وادعى مع ذلك ان جعفر يتصور في اى صورة شاء .
(٤)

ومما قاله الخطابية عن الحسن والحسين واولادهما وشيعتهم
انهم ابناء الله واحباؤه ثم قالوا ذلك في انفسهم ويقولون انهم لا يموتون
ولكنهم يرفعون الى السماء .
(٥)

الدور الثالث : ويمثل المرتبة الاخيرة في درجات الغلولا بسس
الخطاب حيث ادعى الهيته والهيبة الائمة . اما اتباعه فقد عبده
وقالوا انه الههم وان جعفر بن محمد الههم ايضا الا ان ايا الخطاب
اعظم من جعفر ومن علي .
(٦)

وحيث ان الفلاة سلكوا مسلك التأويل في كثير من مخزقاتهم

(١) مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ٧٦ - ٧٧) ، الحور العين

للحميري (ص ١٦٦) ، المقالات للمقي (ص ٥١) .

(٢) فرق الشيعة للنويعتي (ص ٥٧) ، المقالات والفرق المقي (ص ٥١) .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٤٢) .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٨٠) ، المقالات والفرق

للمقي (ص ٥١) .

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٤٢) ، مقالات الاسلاميين

للاشعري (ص ٧٧) ، الحور العين للحميري (ص ١٦٦) ، الفصل

لابن حزم (٤ : ١٨٧) .

(٦) مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ٧٧ - ٧٨) ، الحور العين

(ص ١٦٦) .

فقد تأولوا في دعوى الألوهية للائمة قول الله تعالى " فاقا سويتهم
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ^(١) . قالوا فهو آدم ونحوه
ولده ^(٢) .

ويوضح الشهرستاني مسلكه الذي سلكه حول دعواه الوهية
الائمة بأنه قال : والالهية نور في النبوة والنبوة نور في الامامة
ولا يخلو العالم من هذه الآثار والانوار ^(٣) .

وقال اتباعه من الخطابية : خفف الله عنا بآتي الخطاب ووضع عنا
الاعلال والاصار يعنون الصلاة والزكاة والصيام والحج فمن عرف الرسول
النبي الامام اى ابا الخطاب - فليصنع ما يحب . وكان اصحابه كلما
تقل عليهم اداء فريضة اتوه وقالوا : يا ابا الخطاب خفف علينا فإمرهم
بتركها حتى تركوا جميع الفرائض واستحلوا جميع المحارم وأرتكبوا
المحظورات واباح لهم ان يشهد بعضهم لبعض بالزور وقال : من
عرف الامام فقد حل له كل شئ ^(٤) . كان حرم عليه ^(٥) .

فياعجبا لهؤلاء شخص واحد يكون اماما ونبيًا ورسولًا والها في
آن واحد ولكن كما قال الشهرستاني عنهم انهم خيار ضالون
جاهلون تائبون . ومن مبادئهم الكذب على مخالفهم واستحلال
شهادة الزور لمن وافقهم . يقول الحميري : ان الخطابية يستحلون
شهادة الزور لمن وافقهم في دينهم على من خالفهم في الاموال
والدما والفروج . وتجاوزوا ذلك فقالوا : ان دما مخالفهم واموالهم

(١) سورة ص : ٧٢ .

(٢) مقالات الاسلاميين للاشمري (ص ٧٧) .

(٣) الملل للشهرستاني (١ : ١٨٠) .

(٤) فرق الشيعة للنوختي (ص ٥٨) .

(٥) دعاء السلام للنعمان (١ : ٤٩ - ٥٠) .

(٦) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٨١) .

ونسأهم لهم حلال^(١) .

ظلت الخطابية تنشر آراءها في الكوفة وكثير مدد هم بها حتى تجاوز الالوف^(٢) . وأخيرا قضى عليهم عيسى بن موسى - وإلى الكوفة - واسر زعيمهم ثم قتل في سبحة الكوفة .

دور الخطابية في حركة الاسماعيلية والقرامطة :

تتأثر حركات الفلوع عن غيرها من الحركات بالتداخل والتشابه عقيدة واهدا فاف هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ظاهرة التسلسل الزمني لتلك الحركات الفالية . حيث ان كل حركة تأخذ بزمام الأخرى فما تكاد تختفي حركة الا وتظهر أخرى تجمع فلول اتباع من قبلها مع ملاحظة التفسير في العناوين والاسماء . وان حركتي الخطابية والاسماعيلية من أبرز الأمثلة لذلك ، فالتشابه بينهما حقيقة لها شواهد وقراءتها .

اما الشواهد فنستمد منها من التشابه بين العقائد المذهبية لكل منهما .

فالخطابية ابتدوا عقيدة الامام الصامت والامام الناطق مع العلم انها عقيدة اختصت بها الاسماعيلية^(٣) .

كما ان من آراء الخطابية التي جهروا بها دعوى النبوة للائمة وهي عقيدة واضحة لدى الاسماعيليين لاسيما في امامهم محمد بن اسماعيل الذي يعتبرونه بمنزلة اولى العزم من الرسل^(٤) .

اما دعوى الألوهية لزعمائهم فيوضحها ابن حزم مبينا اتفاق

(١) الحور العين للحميري (ص ١٦٦ - ١٦٧) .

(٢) الفصل لابن حزم (٤ : ١٨٧) .

(٣) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٠٠) ، دولة الاسماعيليين

في ايران (ص ٣٢) .

(٤) الانوار اللطيفة للحارثي ضمن الحقائق الخفية (ص ١٢٦) .

الخطابية والقرامطة حول هذا المبدأ يقول : ان غلاة الشيعة قسمان قسم اوجب النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لغيره . وقسم اوجب الالهية لغير الله ومن القسم الثاني القرامطة الذين الهوا محمد بن اسماعيل والخطابية الذين الهوا ابا الخطاب^(١) .

كما ان اسلوب التأويل الاسماعيلى لا يات القرآن من المبادئ التى استخدمته الخطابية للتدليل على بعض مزاعمهم واكاذيبهم ، وقد بين ذلك كل من الاشعرى والشهرستانى والحميرى^(٢) .

ولذا يقول النشار : ان الكثير من اصول الخطابية قد دخلت فى عقائد الاسماعيلية فيما بعد ولكن ثم هذا بعد مقتل ابي الخطاب واعتناق كثير من اتباعه للاسماعيلية فى عهد عبدالله بن ميمون القداح^(٣) . كما يقول برنارد لويس ان مذكره اهل السنة من عقائد الخطابية يؤيد ما ذهب اليه النويختى فى وحدة هاتين الحركتين^(٤) . ومن ذلك عقيدة الامام الصامت والناطق التى اختلفت بها الاسماعيلية وكذلك طريقة التأويل الاسماعيلى الذى استخدمته الخطابية لنشر مبادئها وعقيدتها^(٥) .

اما القرائن فنستمد منها من كتاب المقالات والمؤرخين الذين دللوا على العلاقة بين تلك الحركتين بادلة واضحة فهناك روايات اورد هـ الكشى فى كتابه معرفة الرجال تشير الى وجود علاقة وثيقة بين الخطابية واسماعيل بن جعفر وعبارة الكشى هى : قال جعفر للمفضل بن عمر الجصفى وهو من الخطابية يا كافر يا مشرك مالك ولا بنى اتريد ان تقتله^(٦) .

-
- (١) الفصل لابن هزم (٤ : ١٨٣ - ١٨٧) .
 - (٢) انظر مقالات الاسلاميين (ص ٧٧) ، الطلل والنحل (١ : ١٨٠) ، الحور العين (ص ١٦٦ - ١٦٧) .
 - (٣) التفكير الفلسفى للنشار (٢ : ٣٧٦) .
 - (٤) فرق الشيعة للنويختى (ص ٨٠) .
 - (٥) انظر اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٠٠ - ١٠١) .
 - (٦) دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد (ص ٢٢) نقلا من كتاب الرجال للكشى .

ويرى النشار استنادا الى هذه الرواية ان ابا الخطاب كان ممن
محبى اسماعيل بن جعفر وكان جعفر الصادق يكره صلات ابنه اسماعيل
بالفلاة مما جعله يفكر فى عزله عن امامة الشيعة بعدة وحينما مات
اسماعيل وقتل ابي الخطاب سرفان ما انضم الخطابية الى محمد بن
اسماعيل (١).

(٢) ويقول برنارد لويس : ان خلع جعفر لاسماعيل كان بسبب هذه الصلة .
كما ان هناك اشارات من المصادر التاريخية تثبت ان دعاة
الاسماعيلية المشهورين يعتبرون تلاميذ لابي الخطاب فلم يقل
ان الميمونية اتباع ميمون القداح كانوا تلاميذ لابي الخطاب .
كما يذكر ابن الاثير عن ميمون القداح انه من اتباع وتلاميذ ابي
الخطاب .

اما النويرى فيقول ان ميمون من اصحاب ابي الخطاب وان الحركة
التي بشها ميمون وابنه عبدالله كانت فى جوهرها حركة ابي الخطاب
نفسه (٣).

اما الجوينى فيشير فى تاريخه الى ان ميمون القداح وابنه عبدالله
وابى الخطاب يعتبرون من الدعاة الاوائل للاسماعيلية والقرامطة (٤).

اضافة الى ماضى فان القمى والنوبختى يشتركان فى القول
بان الاسماعيلية هم الخطابية وان فرقتهما بعد القضاء على ابي الخطاب
اقرت بموت اسماعيل فى حياة ابيه وساقوا الامامة فى محمد بن اسماعيل
وولده من بعده (٥).

-
- (١) التفكير الفلسفى فى الاسلام للنشار (٢ : ٣١٧) .
 - (٢) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١١١) .
 - (٣) المرجع السابق (ص ١٠٢) .
 - (٤) جهانكشاي لعطا ملك الجوينى (ص ١٥٩) .
 - (٥) انظر المقالات والفرق (ص ٨١ - ٨٣) ، فرق الشيعة (ص ٨٠) .

وينقل لويس عن الكشي قوله : ان فرقة الاسماعيليه هي الخطابيه
نفسها كما ينقل عبارة واضحة وصريحه عن احد الكتب السريه والمقدسه
لدى الاسماعيليين وهذه العبارة هي : ان المذهب الاسماعيلى
هو ما اوجده اتباع ابي الخطاب الذين شروا انفسهم بحب احفاد جعفر
واسماعيل^(١) .

ويقول القس : ان اتباع ابي الخطاب لما قتل معظمهم خرج
الجماعة الباقيون ممن قال بمقالة ابي الخطاب الى محمد بن اسماعيل
فقالوا بامامته واقاموا عليها^(٢) .

ومن خلال ما قدمنا من الشواهد والقرائن نصل الى النتائج
التالية :

- (١) ان الحركة الخطابيه تعتبر قاعدة صلبة للحركة الاسماعيليه بعدها .
- (٢) ان الاسماعيليه استوعبت جميع مبادئ الخطابيه وبالتالي ضمت
جميع اتباع ابي الخطاب .
- (٣) واخيرا تكون حركة ابي الخطاب من الجذور الاساسيه التى
غذت الحركة القرمطيه والاسماعيليه وساعدتها للظهور التى
مسح الاحداث .

(١) انظر اصول الاسماعيليه لجرنارد لويس (ص ٩٩ - ١٠٤) .

(٢) المقالات والفرق (ص ٨٣) .

(٢) حركات المعارضة التي مهدت لظهور الحركة القرمطية .

تميزت فترة ما قبل ظهور القرامطة بالاضطراب وكثرت الفتن وانتشارها في مناطق مختلفة من الرقعة الاسلامية .
وكانت الدولة العباسية في تلك الفترة تعاني من النضع شيئا
كثيرا ولم تستطع لضعفها القضاء على الخارجين طيها ، ولقد تعددت
في تلك الفترة النزعات الاستقلالية وحركات المعارضة وكان من اشد هذه
الحركات واكثرها عنقا ومشقة حركتي الخرمية والزنج .

(أ) الخرمية :

وهي حركة من حركات المعارضة تنسب الى الجند حسين بن
ادريس الانصارى الخرمى المعروف بابن حزم .^(١)
وخرم لفظ اعجمى ينحى عن الشيء المستلذ والمستلاب الذى يرتاح
الانسان له . وقد كان هذا الاسم لقبا للمزدكية ومعنى هؤلاء بهـذا
الاسم لمشابهتهم اياهم في نهاية هذا المذهب .^(٢)
كما يسمون بالبابية نسبة الى زعيمهم بابك الخرمى وايضا
يطلق عليهم لفظ الخرمدينى لباحتم الحرمان من شوب الخمر والزنا
وغير ذلك .^(٤)

وتعتبر الخرمية طائفة من طوائف الباطنية . ولذا يقول الطوسى :
ولحق ببابك كل باطنى وخرمدينى . كما يقول البخندى : ان الخرمية^(٥)
^(٦)

-
- (١) اللباب لابن الاثير (١ : ٤٣٧) .
 - (٢) تليس ابليس لابن الجوزى (ص ١٠٥ - ١٠٦) .
 - (٣) القرامطة لابن الجوزى (ص ٤٨) ، اللباب لابن الاثير (١ : ١٠١) .
 - (٤) فضائح الباطنية للفرالى (ص ١٤) .
 - (٥) تليس ابليس لابن الجوزى (ص ١٠٢) ، اللباب (١ : ٤٣٦) .
 - (٦) سياسة نامه (ص ٢٩٠) .

صارَت مع الباطنية يداً واحدة^(١) .

ويُرجع هؤلاء^٥ الى اصل مجوسى من بلاد انديجان وقد غزاهم القائد العباسى حازم بن خزيمة فسبى ذراريهم ونقلهم الى بغداد عام ١٩٢ هـ، وحينما عاشوا تحت حكم العرب تذكروا من ذلك وظلت فسبى نفوسهم نقمة كامنة تتحين الفرص للظهور لذلك فانهم حاولوا التخلص من السيادة فالاجنبية السياسية والروحية^(٢) .

اما ظهورهم فتحدده اغلب المصادر فى سنة احدى ومئتين^(٣) . وذلك حينما اجتمع على بابك عدد كبير من الناس وظهر فى الجبال فسبى منطقة يصعب فيها القتال كل الصعوبة .

اخذت الحركة تقوى ويزداد اتباعها حتى عمت نواحي اصفهان وخراسان وسائر ارض الاعداج^(٤) .

ولقد حاول بابك ان يستميل جيرانه من الترك الى دعوته لكنه لم يوفق الى ذلك تماما . اما الاكراد فكانوا يدخلون فى مذهب بابك افواجا^(٥) .

ولذا فقد كثر عددهم حتى ان البغدادي يقول انه اجتمع مع بابك من اهل البدن ومن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلثمائة الف رجل^(٦) .

وقد اتسع نطاق الحركة والمؤمن لم يحسب لهم حساب وساعد هم على ذلك بعدهم من مركز الخلافة وتحصنهم بالجبال .

ولم يتحرك المؤمن لقتالهم الا بعد مرور ثلاث سنوات من اعلان

(١) الفرق بين الفرق (ص ٢٦٨) .

(٢) حركة القرامطة لفضلة الشامى (ص ٣٣) .

(٣) تلبيس ابليس (ص ١٠٣) ، شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ٢) ، سياسة نامه (ص ٢٨٨) .

(٤) التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٠٦) .

(٥) سياسة نامه (ص ٢٨٨) .

(٦) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٦٨) .

بابك للمعصيان والاستعداد للقتال فاخذ المأمون يرسل الجيوش
تلوا لاخر وبابك يهزمها هزما ذريعا وبأسر القادة .

والواقع انه اقض مضجع المأمون فما ارسل اليه جيشا الا منى
بالهزيمة وخسرت جيوش المأمون خسارة شديدة .

ومن الجدير بالذكر انه كان بين بابك والروم حلف على ان يساعد هم
برجاله وعلى ان يساعدوه حين حاجته اليهم .^(١)

وقد ظلت المعارك طيلة حكم المأمون وتوفى عام ٢١٨ هـ ولم
تموت تلك الحركة او يقضى عليها .

واتى بعده اخوه المعتصم الذى بدوره اكمل ما بدأه المأمون
حيث جهز الى بابك الجيوش الكبيرة الضخمة وعمل غاية جهده فى القضاء
على هذه الحركة واخيرا وبعد مخاض كبير وحروب طويلة الامد تمكن
المعتصم من القضاء عليه وكان ذلك عام ٢٢٣ هـ .^(٢)

مبادئ ومعتقدات الخرمية ؛

اعتقد الخرمية عقائد غالية خرجوا بها جملة من فرق الاسلام
فصنفهم الشهرستاني فى عداد الفرق الغالية .^(٣) وصنفهم البغدادي فى
عداد الفرق الخارجة عن جملة فرق الاسلام وارجع اصولهم الى مذهب
المزدكية^(٤) ويؤيده قول المقدسى : ان اصل دينهم القول بالنور والظلمة^(٥)
وهما من اهم مبادئ المزدكية .

ويعتبرهم الططى من اصحاب التناسخ والحلوية .^(٦) وينقل ابن

-
- (١) تاريخ عصر الخلافة العباسية ليوست العشى (ص ٨٤ - ٨٥) .
 - (٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٦٨) ، تليين ابيس لابن
الجوزى (ص ١٠٣) .
 - (٣) الطل والنحل للشهرستاني (١ : ١٧٤) .
 - (٤) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٥٣) .
 - (٥) البدء والتاريخ للمقدسى (٤ : ٣١) .
 - (٦) التنبيه والرد على اهل الاهواء للططى (ص ٢٢) .

النديم عن بابك بعض مزاعمه حيث يزعم انه اله وكان يقول ذلك صراحة
(١)

لبعض اتباعه الذين استفواهم ،

ومن مبادئهم ان الله عز وجل نور على الابدان والاماكن . وان ارواحهم
متولدة من الله القديم وان البدن لباس لروح فيه ولا اله عليه ولا لذة لله
وان الانسان اذا فعل الخير ومات صار روحه الى حيوان ناعم مثل فرس
وطير يتنعم فيه ثم يرجع الى بدن الانسان بعد مدة .

واذا كان نفسا خبيثة شريرة ومات صار روحه في بدن حمار او كلب
يعذب فيه بمقدار ايام عصيانه ثم يرد الى بدن الانسان لم تزل الدنيا
هكذا . ولا تزال تكون هكذا . (٢)

ومن مزاعمهم انه كان لهم نبي قيل الاسلام يقال له شروين يزعمون
انه افضل الانبياء وينوحون عليه في محافلهم وخلواتهم . (٣)

ويزعمون ان الرسل كلهم على اختلاف شرائعهم واديانهم يحصلون
على روح واحد وان الوحي لا ينقطع ابدا وكل ذي دين مصيب عندهم
اذا كان راجي ثواب وخاشي عقاب ولا يرون تهجينه والتخلف اليه بالمكروه
مالم يرم كيد ملتهم وخسف مذهبهم . (٤)

وبين البغدادى بعضا من سلوكهم حول التكاليف الشرعية بقوله
انهم لا يصلون في السر ولا يصومون في شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة . (٥)

ويتفق كل من الفزالي وابن الجوزي والبغدادى وابن الاثير على
انهم من اهل الاباحة القائلين بشيوعية النساء حيث خصصوا ليلة يجتمع
فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون سرجهم وشموعهم ثم يتناهبون النساء

(١) الفهرست لابن النديم (ص ٤٠٦) .

(٢) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع للمطلى (ص ٢٢) .

(٣) اللباب لابن الاثير (١ : ١٠١) ، فضائح الباطنية (ص ١٥ - ١٦) .

(٤) البدء والتاريخ للمقدسى (١ : ٣٠ - ٣١) .

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٥٢) .

فيشب كل رجل الى امرأة فيظفر بها ويزعمون ان من استولى على امرأة استحلها بالاصطياد فان الصيد من اطيب المباحات .^(١)

ويجمع الطوسي مجمل آرائهم فيقول : ان اساس مذهبهم تجنب كل شئ * يجهد البدن واسقاط الشريعة والتكاليف كالصلاة والصوم والحج والزكاة وتحليل الخمر واستباحة اموال الناس ونساءهم والا بتعاد عن كل ما هو فريضة .^(٢)

وينتهي المقدسي الى ان محصول امرهم التحليل والاحاد .^(٣)

ان مبادئ * الخرمية ومعتقداتهم تعتبر من مبادئ * الهدم والتخريب التي تستهدف - بطبيعة الحال - القضاء على الاسلام وتشويه مبادئه .

وعموما فان مبادئهم تنزع في اصولها الى مذهب مزدك ولذا يقول الطوسي : ان اصل مذهب مزدك والخرمدينية والباطنية واحد وهم يبتغون دائما هدم الاسلام ويظهرون اول الامر بالصدق والتقوى ومحبة آل الرسول حتى يتصيدوا بذلك الناس فاذا قوى امرهم اجتهدوا في ان يفسدوا امة محمد ودينه وان الكفار لا شفق منهم على المسلمين .^(٤)

وحسب ما اتضح لي ان انتشار هذه المبادئ * مع ردائها وبطلانها راجع الى عاملين :

اولهما : الجهل وهو داء خطير يصيب الامة الاسلامية ففى فترات انحرافها عن منهج الله . وطالما استغل الجهل الكثير من الممخرقين والهدامين ونشروا آراءهم فى تلك المجتمعات الجاهلة التى لا تعرف من الاسلام سوى بعض الجوانب المشوهة وجميع حركات

-
- (١) انظر فضائح الباطنية (ص ١٥) ، تلييس ابليس (ص ١٠٤) ، الفرق بين الفرق (ص ٢٥٢) ، اللباب فى تهذيب الانساب (١ : ١٠١) .
- (٢) سياست نامه للطوسي (ص ٢٩٥) .
- (٣) البدء والتاريخ (٥ : ١٣٤) .
- (٤) سياسة نامه (ص ٢٩٦) .

الهدم والتخريب ما كان لها ان تظهر وتبقى الا بمثل هذه المجتمعات .
 الثانى : الفقر حيث ان سؤال احوال الاقتصاد ساعد كثيرا على
 التفاف بعض المعدمين والمحرومين ببعضهم مع بعض وتكلمهم طلبا
 لتحسين احوالهم وعبر عن هذه الحال كثير من الثورات وفى مقدمة هذه
 الثورات حركة الخيرية والقراطة وثورة الزنج . وسلك هؤلاء مسالك
 متعددة لتحسين احوالهم فتارة بالنهب والسلب وتارة بالسبي . ولذا
 يقول المقدسى عن اتباع بابك * وانضوى اليه القطاع والحراب والذعار
 واصحاب الفتن وارباب النحل الزائفة . . . واخذ بالتمثيل بالناس
 والتحريق بالنار والانهماك فى الفساد وقلة الرحمة والمبالاة .^(١)

(١) البدء والتاريخ للمقدسى (١١٦ : ٦) .

(ب) حركة الزنج :

تعتبر الحركة الثانية من حركات المعارضة التي ظهرت في احوال مضطربة وفي وضع متضع لسلطان الخلفاء ورغم انها اقصر فترة من الحركة الخرمية^(١) الا انها كانت اشد ضراوة واكثر جماعا حيث هددت كيان الدولة العباسية وازعجت قوتها وكان لذلك الاثر الكبير في نجاح الحركة القرطبية فيما بعد .

وقد نشأت هذه الحركة في العراق وامتدت من البصرة حتى ابواب بغداد واستولت على اجزاء كبيرة من العراق . وسميت باسم حركة الزنج لان اتباعها كما يقول الطبرى مؤلفين من جماعات متوهمة من زنج زنجبار وشرقي افريقية وكانوا يعملون حول البصرة في استصلاح الاراضى والاستفادة من املاحها المتجمعة وكانت كل جماعة منهم يتراوح عددها من خمسة آلاف الى خمسة عشر الف فرد^(٢) .

وكانت حالة هؤلاء العبيد مهيئة للثورة حيث الفقر والجهل . ولذا يقول العشى : ان امر هؤلاء الزنوج وصل الى حالة سوء شديدا وقد كثر عددهم وصاروا جماعات جماعات وكانوا يجتمعون ويكون امرهم ويندبون حظهم دون ان يسمع اليهم احد ومع ذلك فهم جماعة اشداء اقويا يدل على قوتهم قيامهم بالعمل في اراض مستنقمة وفي اجواء موبوءة واستطاعتهم تحمل قساوة المعيش .

وكان لتجمعهم جماعات اكبر الاثر في الاتفاق وانتفاهم بحيث اصبحوا مهيئين للثورة كما انهم اشخاص اميون لا يحرفون من الثقافة والعلم شيئا فكان لا بد لهم من قائد يقودهم وهو يهيئهم الى العمل الثورى .

(١) بدأت الحركة الخرمية سنة ٢٠١ هـ وانتهت سنة ٢٢٣ هـ اي انها

استمرت اثنان وعشرون عاما اما ثورة الزنج فبدأت سنة ٢٢٥ هـ .

وانتهت سنة ٢٧٠ هـ فمرها خمسة عشر عاما .

(٢) تاريخ الام للطبرى (٧: ٥٤٦ - ٥٤٧) .

في مثل هذه الاجواء يعتبر نشر الدعوة الثورية وان خال فكرة المقاومة في اذهان هؤلاء العبيد امر سهل جداً^(١). لذلك ما ان خرج صاحبهم ودعا الى الثورة الا وهبوا مسرعين بالانضمام الى دعوته والقتال معه .

صاحب الزنج :

انتسب صاحب الزنج الى النسب العلوي فزعم مرة انه علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وزعم مرة اخرى انه علي بن محمد بن الفضل بن الحسين بن عبد الله ابن عباس بن علي بن ابي طالب^(٢).

وتتفق اغلب المصادر على انه من الادعياء الطمحين في نسبهم وان مزاعمه في الانتساب الى العلويين كاذبة وغير صحيحة^(٣). ويقرر ابن الجوزي والسيوطي اسمه بانه يهبون^(٤) فهو فارسي الاصل ويرجح هذا الرأي العشوي ويعتبره الاسم الاصل لصاحب الزنج^(٥). لكن ابن كثير يعتبر يهبون هذا من اكبر امراء صاحب الزنج وليس الزعميم الاصل للزنج^(٦).

والراجح ان اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم وان اياه من عبد القيس والى ذلك ذهب كل من الطبري وابن كثير^(٧). ويقول العصامي

-
- (١) انظر تاريخ عصر الخلافة العباسية ليويسف العش (ص ١١٠) .
 - (٢) البداية والنهاية لابن كثير (١١: ١٨) .
 - (٣) انظر تاريخ الامم للطبري (٧: ٥٤٣) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١: ١٨) ، دول الاسلام للذهبي (١: ١٥٣) ، الفخرى في الاداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٥٠) ، النجوم الزاهرة لابن تغري (٣: ٢٢) .
 - (٤) المنتظم لابن الجوزي (٥: ٦٩) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٦٣) .
 - (٥) تاريخ عصر الخلافة العباسية (ص ١١٠) .
 - (٦) البداية والنهاية لابن كثير (١١: ٤١) .
 - (٧) تاريخ الامم للطبري (٧: ٥٤٣) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١: ١٨) .

مؤيدا لهما : والذي ثبت عند المحققين انه على بن عبد الرحيم بن
عبد القيس .^(١)

يصفه ابن طباطبا بانه كان فصيحاً بليفاً استمال قلوب العبيد من
الزنج بالبصرة ونواحيها وكان من مبدأ حاله فقيراً لا يملك سوى ثلاثة
اسياف حتى انه اهدى له فرس فلم يكن له لحام ولا سرج يركبه بهما^(٢) .
ويقول الذهبي عنه انه كان في اول امره منجماً يكتب الحروز .^(٣)

كما يصفه العشى بانه صاحب فكر ونظر يحمل عقله كثيراً اكثر مما يعمل
سلاحه وكان فناناً في تحايله ووسائله التي يستعملها^(٤) .

بدأ دعوته في البحرين واخذ يجمع الانصار ولكن دعوته هناك
جرت الى فتنة ففر من البحرين مع طائفة من اتباعه كان ابرزهم سليمان بن
جامع اكبر قواده وورد البصرة سنة ٢٥٤ هـ ولم يطل المقام فيها ان سرعان
ما هرب الى بغداد حين احس به عامل الخليفة الذي سجن بعض اقربائه
واتباعه ولكنه عاد الى البصرة سنة ٢٥٥ هـ بعد عزل العاطل وفي هذه
السنة اعلن خروجه وجاهر بحركته وخطب في اتباعه ووعدهم ان يقودهم
ويملكهم الاموال وذكر ما كانوا عليه من سوء الحال وانه يريد ان يرفع
اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال والمنازل ويبلغ بهم اعلى الدرجات^(٥) .

ولخص العشى اهداف صاحب الزنج بثلاثة امور وهي :

- (١) تحرير الزنوج ورفع مستواهم .
 - (٢) تمكينهم من الحصول على الاموال والارقاء والتجديد .
 - (٣) تمكينهم من الوصول الى السلطان والقوة والملك .
- واضافة الى الزنوج فقد انضم اليه بعض الاشراف المتذمرين من الحكم

(١) سمط النجوم (٤٠٦ : ٣) .

(٢) الفخرى في الاداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٥٠) .

(٣) دول الاسلام للذهبي (١ : ١٦٤) .

(٤) تاريخ عصر الخلافة العباسية (ص ١١٠) .

(٥) تاريخ الطبري (٧ : ٥٤٧) .

(١) العباسى والذين يهيمون النهب والسلب حيث اطمحهم فى ذلك .
 وفى سنة ٢٥٨ هـ انضم الباهليين اليه فندما اسرو قائدهم وصلب
 على يد الخليفة المعتمد (٢) . كما ايده بعض اهل القري من اعمال البصرة
 كأهل قرية الكرخ فقد دعوا له بخير وامدوه من الانزال بما اراد (٣) .
 وبضيف الذهبى الى انه التف على صاحب الزنج كل شيطان حتى
 استفحل امره (٤) . وحينما اجتمع لديه هذا العدد الضخم اخذ يغير على
 المدن والقري ويعمل جيشه فيها قتلا وتشريدا وسلبا وهات الزنج
 بالبلاد فسادا كبيرا .
 ويذكر الطوسى تصرفات الزنوج حينما اعلن قائدهم الثورة بانهم
 قتلوا ساداتهم واستولوا على نعمهم ونساءهم وقصورهم واستطالت ايديهم
 بالفساد والظلم (٥) .
 وتذكر كتب التاريخ المعارك التى نشبت بينه وبين الجيش العباسى
 وكيف كانت انتصاراته فى اول الامر على حساب الهزائم المتكررة للجيش
 العباسى وفى آخر الامر وبعد مخاض طويل تمكن المسلمون منه واسـروه
 ثم قتلوه سنة ٢٧٠ هـ .
 ويقدر القتلى من جراء تلك المعارك بـ مليون ونصف مليون قتيل (٦) .
 ويقتل صاحب الزنج انتهت حرب ضروس كادت ان تهز كيان الدولة
 العباسية وتقضى على ماتبقى من سلطة الخلفاء .

-
- (١) تاريخ عصر الخلافة العباسية (ص ١١١ - ١١٢) .
 (٢) المنتظم لابن الجوزى (٨: ٥) .
 (٣) تاريخ الطبرى (٥٥٢: ٧) .
 (٤) دول الاسلام للذهبي (١٥٣: ١) .
 (٥) سياست نامه لنظام الملك الطوسى (ص ٢٧٧) .
 (٦) انظر دول الاسلام للذهبي (١٦٤: ١) ، النجوم الزاهية
 (٤٨: ٣) ، تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٣٦٤) ، وكلهم نقلا عن
 الصولى . والفخرى فى الاداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٥١) .

وفى الواقع فان ثورة الزنج كانت من اكثر حركات المعارضة التى هددت الخلافة العباسية وفتحت الابواب على مصراعيها لقيام جماعات اخرى اكثر جدة وتنظيما وهؤلاء هم القرامطة الذين لا زالت دعوتهم فى دور البناء والتأسيس عندما كانت ثورة الزنج فى ايمان قوتها^(١). ولا شك ان الممارك والحروب مع صاحب الزنج ساعدت كثيرا على تهيئة الجو المناسب لظهور القرامطة وتغليبهم فى باهى الامر حيث لا مقاومة ولا قتال لان الجيش العباسى منهكا وضعيفا من جراء تلكهم الحروب .

مزام صاحب الزنج :

تنتشر الخرافة والدعاوى الكاذبة فى مجتمع الجاهل والفقر وسوء الاحوال والهدام والمخترقون لا يجدون لهم مكانا ولا سبيلا الى الظهور الا بمثل هذه الاجواء وما صاحب الزنج الا واحد من هؤلاء حيث ظهر فى وسط اشخاص اميين لا يعرفون من الثقافة والحلم شيئا فادعى لهم اولا انه مبعوث العناية الالهية لانقاذ العبيد وانتشالهم مما هم فيه وان هذه العناية ترشده وتساعد له لبلوغ هذا الهدف^(٢). كما ادعى لهم ايضا انه مطلع على المصريات وانه يعلم ما فى ضمائر اصحابه وان الله هو الذى يعلمه بذلك . ويقول ابن كثير انه تبمس على هذه الدعاوى جهلة من الطغام وطائفة من الرعايا والنوام^(٣). وكان كثيرا ما يزعم لاصحابه ان الملائكة تقاتل معهم ويقول لهم انى لمنصور على الناس والملائكة تقاتل معى وتثبت جيوشى ويؤيدونى^(٤) فى حروبى .

(١) انظر الخفية العقائدية لحركة القرامطة (ص ٤٨) .

(٢) انظر تاريخ الام للطبرى (٥٤٧ : ٧) .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٣٦٣) ، البداية والنهاية لابن كثير

(١٩ : ١١) .

(٤) المرجع السابق (٢٩ : ١١) .

وما تجد ملاحظته انه لم يعتنق مبادئ الشيعة او ينادى عليها
- على الرغم من ادعائه النسب العلوي - بل بشر بمبادئ الخوارج وزعم
انه يسير على طريقهم التي تنكر مبدأ الوراثية وان الخليفة ليس هو العريس
فقط بل يصح ان يكون العبد خليفة وكتب على رايته شعار الازارقة من
الخوارج وهو قوله تعالى " ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله... (١) .

وكان له منبر في مدينته يصعد عليه ويسب عثمان وعلياً ومعاوية
وطليحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم .

ولذا يقول الذهبي : والظاهر انه كان زنديقا يستتر برأى
الازارقة من الخوارج (٢) ، وقد اشتط به الامراء فدعى النبوة واتحل الوهمى
وزعم انه ارسل الى الخلق ولكنه رد الرسالة آخر الامر لخوفه من عدم
القيام باعبائها (٣) . وقد اهل اهل البحرين - موطن دعوته الاولى - بمحل
نبي فجبي الخراج ونفذ فيهم حكمه وقتلوا اصحاب السلطان بسببه (٤) .

ويرى الطوسي ان صاحب الزنج من يدين بالمذهب الباطنى
وان مذهبه كمذهب مزدك وياك والقرامطة (٥) .

ومن الجدير بالذكر انه جرت محاولة بين صاحب الزنج وحميدان
قرمط لايجاد نوع من التفاهم بينهما ضد الدولة العباسية ومن تفصيل
ذلك يقول الطبرى : ان قرمط قال فى حديث الى صاحب الزنج اننى
وصلت اليه وقلت له : انى على مذهب وورائى مائة الف سيف فناظرنى

(١) تاريخ الامم للطبرى (٥٤٦ : ٧) ، سورة التوبة : ١١١ .

(٢) دول الاسلام للذهبي (١٦٤ : ١) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٦٤) .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٣٠ : ١١) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي .

(ص ٣٦٣) ، تاريخ عصر الخلافة العباسية للحشى (ص ١١١) .

(٤) تاريخ الامم للطبرى (٥٤٣ : ٧) .

(٥) سياست نامه للطوسي (ص ٢٧٦ - ٢٧٨) .

فان اتفقنا على مذهب ملت بمن معي اليك وان تكن الاخرى انصرفت عنك
فناظرته الى الظهر فتبين لي آخر مناظرتي اياه انه على خلاف امرى (١).

ولا شك ان عدم اتفاقهما راجع الى امرين :

الاول : اختلاف المبادئ* فبينما صاحب الزنج يبشر بمذهب
الخوارج ويدعو اليه نجد ان حمدان قرط يدعوا الى مبادئ الشيعة
الفلاة التي آمن بها واعتنقها من دعاة الاسماعيلية .

الثاني : محبة الزعامة والسيادة لدى كل واحد منهما حيث
ان كل واحد يطمع بالاخر ولذا يقول ابن ابيك : ان صاحب الزنج لم
يلتفت الى قوله - اى حمدان قرط - ولم يجد فيه مطلقا لانه كان
يدعوا الى نفسه (٢).

ورغم اختلاف الحركتين في المبادئ* وحول الزعامة الا انهما
متشابهتين في الدافع والهدف وذلك بحكم قيامهما في عصر واحد
وانتشار كل منهما في اواسط الطبقة العامة في جنوب العراق (٣).

والخلاصة التي نصل اليها ان حركات المعارضة نيمت الاذهان
في جنوب العراق الى ضرورة استنكار الاوضاع الجائرة فاشهت بنصيب
وافر في انجاح الحركة القرمطية (٤).

كما ان اهتمام العباسيين وتوجيه كامل قوتهم للقضاء على
حركات المعارضة انساهاهم وصرفهم عن حركة القرامطة التي تبغى نفسها في
الخفاء مع الاستفادة من اخطاء الثوار قبلها ، ويشير المقرئ الى هذا
الواقع بقوله : وكان الذي اعان القرامطة على النجاح تشاغل الخليفة

(١) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٦٢) .

(٢) كنز الدرر (٥٤ : ٦) .

(٣) قرامطة العراق لعليان (ص ٢٥) .

(٤) قرامطة العراق لعليان (ص ٢٥) .

بفتنة الخوارج وصاحب الزنج بالبصرة وقصريد السلطان وخراب العراق
وركوب الاعراب واللصوص بالقفر وفي مثل هذه الظروف تمكن هــ^(١)
(اى القرامطة) وبسطوا ايديهم فى البلاد وعلت كلمتهم .

(١) انظر اتعاظ الحنفا (١ : ١٥٩) .

الفصل الثالث

الباطنية وزعمائها

(١) تعريفها وبدايتها :

لفظ الباطنية : مأخوذ من بطن خفي فهو باطن جمعه بواطن واستبطن امره وقف على دخلته والبطانة بالكسر السرية والباطن داخل كل شئ * ومن الارض ما غمض .^(١)

وسمى الباطنية بذلك لانهم يدعون ان لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر .^(٢) وما قال الشهرستاني عن الباطنية : انه لزمهم هذا اللقب لحكمهم بان لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويل .^(٣)

والباطنية اصطلاح عام وجامع لطوائف متعددة ومذاهب متشعبة القاسم المشترك بينها الاعتقاد بالظاهر والباطن وتأويل النصوص الظاهرة الى معان باطنية اختصوا بها وزعموا معرفتها دون سواهم . فالباطنية ليست فرقة معينة فقط وانما هي وصف مشترك لكل من يعتقد بالظاهر والباطن ويندرج تحت هذا فوق متعددة .

اما بدايتها فيزعم احد المتعصبين للباطنية انها ابتدأت مع الرسالة الاسلامية ومع بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ولعل الحدث التاريخي الهام الذي بلغت فيه الفكرة الباطنية عد الوضوح الكامل من حيث الشكل والمبنى يعود الى بعث النبي الهادي محمد صلى الله عليه وسلم رسولا الى العالمين .^(٤)

-
- (١) القاموس المحيط للفيروزى (٤ : ٢٠٢) .
 (٢) فضائح الباطنية للفرالى (ص ١١ - ١٢) ، تبيين ابليس لابن الجوزى (ص ١٠٢) .
 (٣) الطل والنحل للشهرستانى (١ : ١٩٢) .
 (٤) الحركات الباطنية لمصطفى غالب (ص ٤٦) .

ويرى الجوينى ان ظهور الباطنية انما كان فى صدر الاسلام وبعد
ايام الخلفاء الاربعة يقول عن ذلك : وفى صدر الاسلام بعد ايام الخلفاء
الراشدين ظهر من بين المسلمين جماعة لم تألف ضامهم مع دين
الاسلام فقد رسخت عصبية المجوس فى قلوب هذه الطائفة ولكن يشيعوا
بين الناس الشك والضلال اذاعوا اقوالا مؤداها ان لظاهر الشريعة باطنا
مستر على اكثر الناس ودعموا هذه الاباطيل بالاقتوال التى وصلت اليهم
من فلاسفة اليونان كما اقتبسوا بعض المبادئ من مذاهب المجوس .^(١)

اما الديلمى فيرى ان ابتداء وضع مذهب الباطنية فى سنة خمسين
ومائتين من الهجرة وضعه قوم من الفلاسفة والملحدة والمجوس واليهود
تطابق هؤلاء على بغض الاسلام وبغض نبيه صلى الله عليه وسلم .^(٢)

ويرى البغدادى ان دعوة الباطنية ظهرت فى ايام المأمون على^(٣)
يد حمدان قرط وعبد الله بن ميعون القداح . وان هذه الدعوة انتشرت
فى زمان المعتصم . وهكذا ومن خلال تعدد هذه الآراء نجد انه من
المستحيل تحديد سنة بعينها لظهور الباطنية لا سيما اذا تذكرنا انها
ليست فرقة واحدة بعينها وانما هى فرق ومذاهب شتى يجمعها منطلق
الاعتقاد بالظاهر والباطن كما انها مع ذلك مذهب غنى اتخذ مؤسسيها
السرية والكتمان وسيلة من وسائل الحفاظ على حياة دعاتها وما يدعون اليه

(١) تاريخ جهانكشاي للجوينى (ص ١٥٠) .

(٢) بيان مذهب الباطنية للديلمى (ص ٣) .

(٣) هو الخليفة السابع من خلفاء بني العباس تولى الخلافة سنة ١٩٨ هـ ،
وبقى خليفة لمدة عشرين عاما حيث توفى عام ٢١٨ هـ وفى فترة خلافته
انتشرت الافكار الفلسفية من يونانية وهندية وفخرهما وحصل من جراء
ذلك محن ومصائب كثيرة لاهل السنة والجماعة .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ١٦ - ٢٦٨) .

وغاية ما يمكن ان نقوله : ان نشاط هذه الفئة لم يظهر بشكل منظم ومرسوم
الا على يد ميمون القداح الذى كان له دور التنظيم لهذه الفرقــــــــــــة
وتعليم الدعاة وارسالهم الى اقطار متعددة^(١) .

(١) انظر مقدمة مشكاة الانوار (ص ٧) .

(٢) فرق الباطنية :

يشترك الفزالي وابن الجوزي في ان للباطنية ثمانية القاب وهى :

- | | |
|------------------|--------------------------------|
| (١) الباطنية . | (٢) التعليمية . |
| (٣) القرامطة . | (٤) الاسماعيلية . |
| (٥) الخرمية . | (٦) البابكية . |
| (٧) المحمرة . | (٨) السبحية ^(١) . |

والملاحظ على هذه الالقاب ان فيها ذكرا لبعض فرق الباطنية كما ان فيها ذكرا لبعض منطلقاتهم واقعاما لبعض الحركات الثورية التى تختلف مع باقى الفرق الباطنية حول دعوى التشيع لآل البيت وبيان ذلك : ان لفظ الباطنية لقب عام تشترك فيه عدة فرق من اهمها الاسمايلية والقرامطة وقد اقتصر ابن الجوزي والفزالي عليهما ولم يتعرضا لبقية الفرق الاخرى . واما لفظ التعليمية فيعتبر منطلقا من منطلقات الباطنية والمراد منه : ابطال الرأى واغلاق باب الاجتهاد والتعلم من الامام المعصوم ^(٢) .

ومثله لفظ السبحية حيث يدل على بعض معتقاداتهم عن الكون والائمة اما لقب الخرمية والبابكية والمحمرة فهى جميعها تدل على حركة ثورية تقدم الكلام عليها فالخرمية نسبة الى حاصل مذهبهم وزيدته والبابكية نسبة الى زعيمهم بابك والمحمرة لبسهم ثيابا مصبوغة بالحمره .

وبقى من هذه الالفاظ لقبى القرامطة والاسماعيلية وهما فرقتان من اكبر الفرق الباطنية ذكرهما ابن الجوزي والفزالي ضمن مسميات الباطنية ولكنهما لم يتعرضا لبقية الفرق الباطنية الاخرى واهم هذه الفرق : النصيرية . نسبة الى ابن نصير مؤسس الفرقة . واندروز نسبة

(١) انظر فضائح الباطنية (ص ١١ - ١٢) ، تلييس ايليس لابن الجوزي

(ص ١٠٢ - ١٠٦) .

(٢) فضائح الباطنية (ص ١٢) ، تلييس ايليس (ص ١٠٦) .

الى محمد الدرزي مؤسس الفرقة ايضا^(١).

وعلى هذا فان فرق الباطنية الكبرى اربع وهى :

(١) الاسماعيليه .

(٢) القرامطة .

(٣) النصيرية .

(٤) الدرزي .

وجميع هذه الفرق تندرج تحت ستار التشيع لآل البيت . ومن الملاحظ ان هناك تداخلا واشتركا بين هذه الفرق سواء من ناحية العقائد او المسميات . فالغزالي وابن الجوزي اعتبروا الباطنية اصلا والقرامطة والاسماعيليه فرعا منها كما ذكرنا قبل قليل . وفي موضع آخر اعتبر ابن الجوزي ان الامر بالعكس حيث قال ان القرامطة لهم القاب ثمانية ومنها لقب الباطنية^(٢) .

وكذلك الشهرستاني لما تحدث عن الاسماعيليه قال : ومن اشهر القابهم الباطنية وانهم يسمون بذلك في العراق^(٣) .

وهذا انما يدل على شدة التشابه والاشترك بين هذه الفرق وقد تنبه الامام ابن تيمية رحمه الله الى ذلك ففي عباراته واطلاقاته كثيرا ما يجمع هذه الفرق على اعتبار ان عقائدها متماثلة مع وحدة المصدر^(٤) والهدف .

وعند دراسة اصول هذه الفرق نجد انها جميعها ترجع الى اصل واحد ومنطلق واحد فالقرامطة حركة ثورية ترجع في اصولها ومعتقداتها الى الاسماعيليه التي نشأت وانتشرت بجهود زعماء الباطنية

(١) مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوي (ص ٩) .

(٢) القرامطة لابن الجوزي (ص ٣٥) .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٩٢) .

(٤) انظر على سبيل المثال المنتقى (ص ١٩) ، الفتاوى (٤ : ٧٧) ، بغية

المرتاد في مواضع متعددة من المخطوطة .

(١)
المشهورين .

وهناك منهج آخر لتقسيم فرق الباطنية وذلك بحسب اعتقادهم
عن الظاهر والباطن . يقول يحيى بن حمزة : ان الباطنية فرق كثيرة
ولكنهم بالاضافة الى اعتقاد الباطن فريقان :

فالفريق الاول يذهبون الى بطلان الظواهر وانها لا عبرة بها
ولا تعويل عليها وانما المعتمد عندهم الامور الباطنية التي تضمنتها
ظواهر الشريعة .

واما الفريق الثانى : فلا يرون ابطال ظواهر الشريعة بالكلية
ويأنفون من مقالة الفريق الاول ويقولون ان ظواهر الشريعة محمول بها
في ظاهرها ولها ايضا بواطن هي سرها ولبابها فيصطون بزمهم
عليها جميعا^(٢) .

ويضيف بعض الكتاب المعاصرين^(٣) فرقا اخرى للباطنية لا تزال منتشرة
بين المسلمين الى اليوم ولكل منها رأى في التأويل الباطن وذلك
كالبايية والبهاية والقاديانية .

(١) كميون القداح وعبدالله بن ميمون وسنأتى على ترجمة كل منهما
بالتفصيل .

(٢) مشكاة الانوار ليحيى العلوى (ص ٦٥ - ٦٦) .

(٣) انظر التفسير والمفسرون للذهبي (٢ : ٢٥٣) ، مقدمة مشكاة
الانوار للجليند (ص ٧) .

(٣) عقائد الباطنية اجمالاً :

على تعدد فرق الباطنية وانشقاقاتهما الى شيع واحزاب ، الا ان هذه الفرق يجمعها عقائد مشتركة ومنطلقات فكرية موحدة . وحيث ان المقام مقام اجمال فسوف اعرض هذه العقائد على سبيل الاجمال ، اما التفصيل فسنعرضه في الباب الثالث وذلك عند الحديث على عقائد القرامطة لان الحركة القرمطية بعقائدها ونظمها ما هي الا مظهر من مظاهر الحركة الباطنية الواسعة .

ان عقائد الباطنية واعمالهم تباين الاسلام مباينة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ففي باب الالهيات يقولون بالهين قد يمين لا اول لوجودهما وهما العقل والنفس ويسميان العلة والمعلول والسابق والتالى ، واللوح والقلم والمفيد والمستفيد .

وقالوا ان البارى لا يوصف بموجود ولا بمعدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول ولا موصوف ولا غير موصوف ولا قادر ولا غير قادر ولا عالم ولا غير عالم وهلم جرا الى آخر الصفات . ويقولون بالطبع وتأثير الكواكب وغرضهم نفى الصانع تعالى .

واما في النبوات فقولهم قريب من قول الفلاسفة وينكرون الوحى ومجنى الملائكة والمعجزات ويقولون كلها رموز واشارات وامثال ومشولات لم يعلمها اهل الظاهر .

فمعنى ثعبان موسى غلبته عليهم ومعنى اظلال النمام امره عليهم وانكروا ان يكون عيسى عليه السلام من غير اب ومعنى لا اب له انه لم يأخذ العلم من امام وانما اخذ من نائب الامام ويقولون ان القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى " انه لقول رسول كريم ^(١) .

ونبع الصا من الاصابع اشارة الى تكثير العلم وطلوع الشمس من

(١) سورة التكوين : ١٩ .

المغرب المراد منها خروج الامام وكذا تأولوا باقى المحجرات .
واما فى الامامة فاتفقوا على انه لا بد فى كل عصر من امام معصوم
يرجع اليه فى جميع العلوم ولا يلتفت الى العقول اصلا وقالوا ان الله
يساوى النبى فى العصمة والاطلاع على حقيقة كل شىء ولا ينزل عليه
وحى بل يتلقى ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم لانه خليفة الله
ويستظهر هذا الامام بالحجج والمآذن وبين والا جنحة فالحجج الدعاة
فى الارض وهم اثنا عشر اربعة منهم لا يفارقونه فهو المعاون والمآذن
والا جنحة هم الرسل بين الدعاة وامامهم .

وقالوا مدة شريعة كل نبى سبعة اعمار فالولهم الناطق وهو الناسخ
لشرع من قبله والصامت وهو القائم . قالوا وهكذا كان حال آدم ثم
الانبياء والاوصياء بعده عددا الى محمد صلى الله عليه وسلم وقد تم
دور ذلك بجعفر بن محمد ونسخ شريعته وهكذا ابد الدهور .

واما المعاد فقد اتفقوا على انكار القيامة والبحث والنشور والجنة
والنار وعلى ماورد به القرآن وما عرف من دين محمد النبى صلى الله
عليه وسلم ضرورة . ويقولون معرفة المعاد واجبة بخلاف ما عليه اهل
الظاهر ومعنى القيامة قيام قائم الزمان وهو خروج امامهم السابع .

والعاد عود كل شىء الى اصله من الطبائع الاربع . فالانسان
مركب من الروحانى والجسمانى . فالجسمانى مركب من الاغلاط الاربعة
الصفراء والسوداء والبلغم والدم فينحل الجسم ويحود كل شىء الى
طبيعته واصله فالصفراء تصير نارا والسوداء ترابا والدم هواً والبلغم
ماءً وذلك هو المعاد .

واما الروحانى منه فهو النفس المدركة فان صفت بفهم
العبادات وزكت بمجانبة الشهوات وغذيت بالعلوم الباطنة اتصلت بالعالم
الروحانى الذى انفصل عنه وذلك يسمى رجوعا كما قال تعالى " ارجعنى
الى ربك راضية مرضية " (١)

واما النفوس المنكوسة من رشدها من متابعة الائمة المعصومين فانها تبقى ابد الدهر تتناسخها الايدان وتعرض للالام والاسقام فلا تفارق الجسد الا ويتلقاها آخر ولذلك قال تعالى " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ^(١) .

ويقولون الموت خروج الروح من الجسد ونقله الى مكان ولا يموت ابدا . وان هذا النظام من العالم المشاهد كتعاقب الليل والنهار وكحصول الانسان من نطفة والنطفة من الانسان والحيوانات فهذه المخلوقات لا تنضم ابد الدهر وكذلك السموات والارض لا تتغير عما كانت .

ويقولون للشرائع باطن لا يعرفه الا الامام ومن ينوب منابه . وكذلك كل ماورد في الحشر والنشر وغيرها فكلها امثلة ويرمز الى بواطن . والنار ومذايبها عباوة عن التكليف بالعبادات فانها موظفة على الجهال يعلم الباطن الا من علم ووضعته عنه لقوله تعالى " ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ^(٢) . اي الجنة علم الباطن والنار علم الظاهر وابواب الجنة درجات العلوم الباطنة ^(٣) .

وهكذا يظل الباطنية يلعبون بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية لتوافق عقائدهم واسسهم . ولذلك اعتبروا التأويل جزءا لا يتجزأ من مذهبهم ومقيدتهم بل انه يعد من اهم معالم المذهب الباطني .

وبين الفزالي اجمال مذهبهم بقوله انه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض ومفتتحة حصر مدارك العلوم في قول الامام المعصوم ومزل العقول عن ان تكون مدركة للحق لما يحترقها من الشبهات ويتطرق الى النظائر من الاختلافات وايجاب لطلب الحقيق

(١) سورة النساء : ٥٦ .

(٢) سورة الاعراف : ١٥٧ .

(٣) انظر بيان مذهب الباطنية ويطلانه للدبلي (ص ٥ - ٨) .

بطريق التعليم والتعلم وحكم بان المعلم المعصوم هو المستبصر وانسه مطلع من جهة الله على جميع اسرار الشرائع يهدى الى الحق ويكشف عن المشكلات وان كل زمان فلا بد فيه من امام معصوم يرجع اليه فيما يستبهم من امور الدين .

وفي امور الاخرة يظهرون ما يناقض الشرع وبهذا فهم يوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونهم عليها^(١).

كما ان الباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة بالوحي ويتأولون الملائكة بانهم دعائهم الى يدعتهم ويؤمنون ان الانبياء قوم احبوا الزعامة فاساسوا العامة بالنواميس والحيل طلبا للزعامة بدعوى النبوة والامامة . ونتيجة لهذه المعتقدات المنحرفة عن الاسلام واصوله يرى البغدادي ان الباطنية دهرية زنادقة يقولون يقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلهم الى استباحة كل ما يحيل اليه^(٢) الطبع .

كما يقول ابن الجوزي : ان الباطنية قوم تستروا بالاسلام ومالوا الى الرفض وعقائدهم واعمالهم تباين الاسلام بالمرءة فمحصول قلوبهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار النبعث ولكنهم لا يظهرون هذا في اول امرهم^(٣) .

ان معتقدات الباطنية خليط عجيب من المعتقدات اليونانية السابقة والمبادئ المجوسية ومعتقدات الثنوية والصائفة .

ولقد تنبه الى ذلك الشهرستاني حيث قال ان الباطنية خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج ونقل الشهرستاني بعض المعتقدات عن الافلاك وحركاتها والظلمات ومشتقاتها

(١) فضائح الباطنية للخزالي (ص ٣٧) .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٧٨ - ٢٧٩) .

(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص ١٠٢) .

تتفق مع النظريات اليونانية سواء منها النظريات القديمة أو الافلاطونية
المحدثه .^(١)

ويضيف البغدادي الى ان من مصادرهم مذهب الشوية القائمين
بالهين اثنين هما النور والظلمة . ويقول ايضا انه مع التحقيق
نجد ان قول الباطنية - ان المبدع الاول ابدع النفس وانهما اي المبدع
الاول والنفس مدبرا هذا العالم - هو عين قول المجوس الذين يضيفون
الحوادث الى صانعين .^(٢)

واشار النشار ايضا الى هذه الحقيقة - وهي تعدد مصادر العقائد
الباطنية - بقوله : ان من الخطأ الشديد ان نرد العقائد الباطنية
الى مصدر واحد لقد اخذت مادتها من الفلسفة اليونانية مع بعض
المناصر المجوسية التي دخلت من خلال هذه الفلسفة .^(٣)

-
- (١) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٩٣ - ١٩٤) .
 - (٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٧٧ - ٢٧٨) .
 - (٣) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢ : ٤٢٠ - ٤٢١) .

(٤) زعماء الباطنية :

ان دعوة الباطنية - ككل الدعوات المنحرفة - نشأت ونظمت مبادؤها على يد جماعة من الثوويين الملاحدة ^(١) . وقد اشتهر من هؤلاء شخصيتان بازرتان - دارت حولهما معظم الروايات التي تتحدث عن ظهور الحركة الباطنية وانتشار مبادئها - وهما ميمون القداح وابنه عبدالله ولذا فان الحديث عن زعماء الباطنية انما يكون متعلقا بهاتين الشخصيتين لانهما من اهم شخصيات الدعوة وبرزها كما انهما من الصق الاشخاص بزعماء الاسماعيلية والقرامطة .

ومن خلال روايات اهل السنة عن هذين الرجلين وبين حقيقتهم ^(٢) نصل الى نتائج تعطى صورة واضحة لحياتهما الملوة حقدا وتآمرا على الاسلام والمسلمين .

ومن اقدم الروايات التي تتحدث عنهما ما نقله ابن النديم عن ابن رزام قال : ان عبدالله بن ميمون ويعرف بالقداح كان من اهل قرية قريبة من الاهواز وابوه ميمون الذي تنسب اليه الفرقة الميمونية التي اتبعت ابا الخطاب مدعى الهبة على بن ابي طالب .

وكان ميمون وابنه عبدالله ديسانين ^(٣) وادعى الابن انه نبي وكان

(١) يذكر السمعاني ان هؤلاء الجماعة اجتمعوا في سجن المهدي وفي داخله نظموا الدعوة وقسموا الدنيا الى اربعة اقاليم واختاروا اربعة من الرجال ويمثوا كل واحد منهم الى اقليم ومن هؤلاء اربعة حمدان قرمظ اما الجماعة الذين خططوا للشورى فمنهم احمد بن الحسين وعبدالله بن ميمون القداح والدندانى انظر الانساب للسمعاني (ورقة ٤٤٨) . كما يذكر البغدادي ذلك ايضا انظر الفرق بين الفرق (ص ٢٦٦) .

(٢) يلاحظ على روايات اهل السنة انها تتحدث عن الشخصيتين سوية لما بينهما من تداخل واشترك وقد سرت على هذا المنهج .

(٣) اصحاب ديسان وهم فرقة من فرق الثنوية القائلين بالاصلين النور والظلمة .

يظهر الشعابيد ويذكر ان الارض تطوى له ويدعى طم الشيب حيث يخسبر
بالاحداث الكائنات في البلدان الشاسعة . وكان له مرتبون فــــــى
مواضع يرغبهم ويحسن اليهم ويعاونون على نوايسه . وقد تنقل عبد الله
فنزل عسكر مكرم ثم طرد منها فهرب الى موضع يعرف بسايط ابي نوح وبني
له فيها دارين ولكنه افتضح امره وفر هاربا . وصار الى البصرة وقد كبس
هنالك ثم هرب اخيرا الى سلمية وبث الدعاة الى سواد الكوفة وكان ممن
اجابه الى دعوته حمدان بن الاشعث الملقب بقرمط ونصب له عبد الله بن
ميمون رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان وذلك في سنة احدى وستين
ومايتين ثم مات عبد الله وخلفه ابنائه حتى جاء سعيد الذي اسس الدولة
الفاطمية ونشر الدعوة ولم يزل عبد الله وولده من بعده يدهون انهم ممن
ولد عقيل (١) .

ويزيد المقریزی على ابن النديم قوله عن عبد الله بن ميمون : انه
كان اخبث من ابيه واعلم بالحيل حيث عمل ابوابا عظيمة من المكر والخديعة
على بطلان الاسلام . وكان عارفا وعالما بجميع الشرائع والسنن وجميع علوم
المذاهب كلها فرتب ما جعله من المكر في سبع دعوات يتدرج الانسان من
واحدة الى اخرى حتى ينتهى الى الاخيرة فيبقى محرا من جميع الاديان
لا يعتقد غير التعطيل والاباحة ولا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا .

ويزعم انه بهذا على هدى هو واهل مذهبه وغيرهم ضال مغفل
وكان عبد الله بن ميمون يريد بهذا في الباطن ان يجعل المخدوعين
امة له يستمد من اموالهم بالمكر والخديعة . واما في الظاهر فانه يدعو
الى الامام من آل البيت ليجمع الناس بهذه الحيلة (٢) .

ويشير ابن الاثير الى الاتفاق بين ميمون القداح وابو الخطاب على
وضع الاحاديث الكاذبة وتشكيك المسلمين في دينهم ويلقب ميمون بابسى

(١) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٨) .

(٢) اتعاظ الحنفيا للمقریزی (١ : ٢٤-٢٥) .

شاكر ويشيت ان له كتابا في نصرة الزندقة واسمه الميزان ثم يذكر بعضا من معتقدات الباطنية التي تولى نشرها ابو الخطاب وميمون القداح .

اما ابنه عبد الله فيقول عنه : ان اياه علمه الحيل واطلمه على اسرار هذه النحلة فحذق وتقدم واتصل به رجل من اضيهم ان يلقب بدندان وكان هذا الرجل يفيض العرب ويجمع مساويهم وقد اصبح من الدعاة الى المذهب حيث سيره عبد الله بن ميمون الى الاهواز والبصرة والكوفة لبث الدعوة ونشرها هنالك^(١) . اما اصل اسرة القداح التي ينتمى اليها ميمون بن ديسان وابنه عبد الله فهذا مما اوضحه القاضي الباقلاني بقوله ان القداح جد عبيد الله كان مجوسيا ودخل عبيد الله المغرب وادعى انه علوي ولم يعرفه احد من علماء النسب وكان باطنيا خبيثا حريصا على ازالة ملّة الاسلام وكان القداح كاذبا مخترقا وهو اصل دعاة القرامطة^(٢) .

كما يؤكد البغدادي مجوسية ميمون القداح ايضا ويقول : ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة والدليل على ذلك ان زعيمهم الاول ميمون بن ديسان كان مجوسيا من سبي الاهواز ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس الى دين ابيه^(٣) .

ومما اكده اهل السنة ايضا صلة القداحين باليهود نسبا ودينا يقول الحمادي ان عبد الله بن ميمون يعتقد اليهودية ويظهر الاسلام وهو من اليهود من ولد الشلمع بل انه من احبارهم واهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب وكان صائفا يخدم شيعة اسماعيل بن جعفر الصادق^(٤) .

(١) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٢٦) .

(٢) انظر الحاكم بامر الله لعنان (ص ٥١) .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٧٧) .

(٤) كشف اسرار الباطنية للحمادي (ص ١٧) .

ويقول الهمداني ان جد القداحين يهودى حداد كان يقيم بسلمية من ارض الشام ثم يذكر الهمداني مدخلا عجيبا تمكن هذا اليهودى من خلاله الادعاء الى آل البيت وهو ان والدة هذا اليهودى تزوجت برجل اسمه الحسين من آل البيت وانه احب هذا الولد لما فيه من ذكاء وفطنة وتولى تربيته وعرفه اسرار الدعوة ورجالها وظهر كأحد ابناءهم ثم ورث ادعائه للإمامة^(١).

ونقل ابن شداد عن جماعة من العلماء ما ثبت ان اصل الاسرة يهودى وقال ان نسبهم معروف فى اليهودية^(٢).

ومما لفت نظراهل السنة مكانة اليهود غير المحتادة والتي تمتصوا بها ايان حكم بنى عبيد . يقول الحمادى : والدليل على ان آل القداح من ولد اليهود استعمالهم اليهود فى الوزارة والرياسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة وما زالوا يحكمون اليهود فى دماء المسلمين واموالهم وذلك مشهود عنهم يشهد بذلك كل احد^(٣).

ولما لعبدالله بن ميمون من دور كبير فى حركة الباطنية فقد اعتبره ابن الجوزى الرأس الحقيقى للباطنية وذكر بعض صفاته وادعائه يقول : وجعل للباطنية رأس يعرف بعبدالله بن ميمون بن عمرو ويقال ابى — ديسان القداح الاهوازى وكان مشعبذا مخرقا ومخزما مخرقا — باظهار الزهد والورع ويزعم ان الارض تطوى له ويخبر عن الايامد بحيلة ابتدعها حيث نظم اصحابه ويعثمهم الى الاطراف وامرهم ان يكتبوا له ويرسلوا هذه الاخبار بواسطة الطيور ثم يحدث الناس بذلك فتقوى شبههم^(٤). ويذكر عبد الجبار حادثة الرجل الاصفهاني وفضيحتة للقرامطة

(١) تثبيت دلائل النبوة للهمداني (٢ : ٥٩٧) .

(٢) انظر الكامل لابن الاثير (٦ : ١٢٥) .

(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ١٩ - ٢٠) .

(٤) القرامطة لابن الجوزى (ص ٧١) .

والعبيدين وذلك بكشف بعض اسرارهم ومن ضمنها ان عبد الله بن ميمون ومحمد بن الحسين احتالا على المسلمين وتستروا بالتشيع والدعاه الى المهدي وحينما تمكنوا اظهروا تكذيب الانبياء وتعطيل الشرائع وقتلوا المسلمين (١) .

وينفرد الطوسي عن غيره ببيان صلة عبد الله بن ميمون بشخص اسمه مبارك وان ابن ميمون اختلى به مرات وبالتالى اثر في افكاره حتى انخدع مبارك به وحدثه باحاديث مستعجمة على لسان الائمة اخططت بكلام الدهريين والفاظ الفلاسفة وبعد ذلك تفرقا للدعوة الى مذهب الباطنية اما مبارك فقصد الكوفة . واما عبد الله بن ميمون فاخذ يدعو الناس الى هذا المذهب في قوهستان العراق .

ويذكر الطوسي بعض صفات ابن ميمون فيقول : انه مشهور ماهر حاذق (٢) .

كما ينفرد الديلمي بقوله عن ميمون القداح انه اسلم على يد الصادق وانه غير اسمه ولقب بالقداح ويقول عن عبد الله بن ميمون انه ادعى النبوة زمنا طويلا في الجبال وخراسان وكان يظهر التشيع وله صاحب يعرف بالحسين الاهوازي . كما يقول ان دعوة القرامطة انتشرت على يد احد ابنائه وان العبيدين حكام مصر يحتملون من اولاده (٣) .

انه مع الاستعراض لما نقلنا من علماء السنة حول ميمون القداح وابنه عبد الله نصل الى الحقائق التالية :

-
- (١) تثبيت دلائل النبوة للهمداني (٢ : ٣٨٦) .
 - (٢) سياسة نامه للطوسي (ص ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠) .
 - (٣) بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص ٢٠ - ٢١) .

الاولى :

انهما شخصيتان حقيقتان كانا لهما دور بارز في ظهور الحركة الباطنية ونشر الاراء الاسماعيليه وهذه حقيقة لم يخالف فيها الا القليل حيث ذهب بعض المستشرقين واحد المعاصرين الى ان ميمون القداح وابنه عبد الله هما الا شخصيتان اسطورييتان لا حقيقة لوجودهما ولا تعدو شهرتهما اسما مستعارة لبعض الائمة ^(١).

ومع شذوذ هذا الرأي فهو بعيد عن الادلة والواقع . وقد قدمنا اتفاق المصادر السنية على ذكرهما وبيان دورهما في الدعوة الاسماعيليه كما ان المصادر الاسماعيليه بدورها تحدث عنهما كأشخاص حقيقيين كان لهما الدور الاكبر مع الائمة . يقول صاحب زهر المعاني : ووصى اسماعيل والده الصادق ان يقيم لولده حجبا ومستودعا فسلمه افنى مولانا محمد بن اسماعيل الى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهزيان بن سلمان الفارسي فرباه واخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح وهو كليل له ومستودع امره وميمون من اولاد سلمان وسلمان من اولاد اسحاق ابن يعقوب اهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والا بلاغ ^(٢).

وبالنسبة لعبد الله بن ميمون فاشار اليه الداعي ادريس بقوله انه لما قام اول الائمة المستورين الثلاثة وهو عبد الله الرضى وتسلم الرتبة من والده كتم نفسه وستر حجه وحدوده فكان حجة ومجاوبه عبد الله بن ميمون . . . ثم تحدث الداعي ادريس باسمه عن هذا الامام المستور الى ان قال : فلما تمت مدته وتمت دعوه اقام ولده احمد التقى وصعد الى المقامات الشريفة التي هو في عالم الملكوت ترتقى فقام الامام احمد بن عبد الله التقى مقامه وهو الثاني من الخلفاء وحجته عبد الله بن ميمون ^(٣).

(١) القرامطة لعارف تامر (ص ١٠٨) .

(٢) مخطوطة زهر المعاني للداعي ادريس (ص ٤٧) .

(٣) زهر المعاني للداعي ادريس (ورقة ٥٨-٥٩-٦٠) .

إضافة الى ذلك فقد نقل المستشرق لويس بعضاً من النصوص الاسماعيليه
التي تدل دلالة واضحة وقوية على حقيقة ميمون وابنه عبدالله كما تنسب
بذورها في نشر الدعوة الاسماعيليه وخدمة ائمتها^(١) .
والحقيقة ان هذا الرأي ما انفرد به عارف تامر واضرابه من المستشرقين
من امثال مامور وايغانوف حتى ان كاتباً اسماعيلياً معاصراً مشهوراً في فكرته
الاسماعيليه ترجم لكل من ميمون القداح وابنه عبدالله ورد هذه المزاميم
واعتبرها خاطئة لان المصادر الاسماعيليه القديمة تذكر ان ميمونا من نسل
سلطان الفارسي ومحمد بن اسماعيل من نسل علي بن ابي طالب^(٢) .
وفي موضع آخر ناقش هذا الكاتب - رى تامر واعتبره اسطورة وخرافة
وبين تناقضه العجيب في كتاباته ومؤلفاته التي يذكر في بعضها ميمون
القداح وابنه عبدالله اكثر من مرة ويعتبرهما من الدعاة الاثنيان والحجج
الكبار للائمة^(٣) وفي البعض الاخر يقول عنهما انهما شخصيتان اسطورييتان^(٤) .
ويخلص الكاتب الاسماعيلي الى ان رأى تامر هذا من الاساطير
الخيالية التي لا تستحق الجدل والمناقشة لتفاهتها وتناقضها مع الوقائع
والحقائق التاريخية التي اوردها تامر نفسه في اكثر من مناسبة تحدث فيها
من اسرة ميمون القداح^(٥) .

الثانية :

ان لميمون القداح وابنه عبدالله دوراً كبيراً في ظهور الحركة
الباطنية والدعوة الى مبادئها المنحرفة . وقد اكد ذلك كل من البغدادي

-
- (١) اصول الاسماعيليه (ص ١٥١ - ١٥٢) .
(٢) اعلام الاسماعيليه لمصطفى غالب (ص ٣٤٥ - ٥٥٩ - ٥٦٠) .
(٣) انظر كتابي مبقرة الفاطميين (ص ١٤ - ١٥) ، الهفت والاظه (ص ١٦ -
١٧) بتحقيق وتقديم تامر .
(٤) كتاب القرامطة لعارف تامر (ص ١٠٨) .
(٥) الحركات الباطنية لغالب (ص ٩٠ - ٩١ - ٩٢) .

(١)

والسمعاني والحمادي والجويني .

وحيثما ترجم لهما غالب نوه بالدور الكبير الذي قام به كل منهما وما قال عن ميمون : انه وضع اساس وتنظيمات الدعوة السرية ووزع الدعاة على مختلف البلدان والاقاليم . . . وعلى يده ازدهر المذهب الاسماعيلي في ارض هارا عظيما . . . ثم يضيف قائلا ان الاسماعيليين يعتبرونه بحق اول من وضع اساس وتنظيمات دعوتهم .^(٢)

وعن عبدالله بن ميمون قال : انه من اعظم منظمي اصول المذهب الاسماعيلي ومن اهم الشخصيات العلمية الفلسفية في عصره لمسب دورا هاما في تكوين فقائد الاسماعيلية وتنظيماتها السرية .^(٣)

ويصف المستشرق ارنولد نشاطه بقوله : وكان عبدالله بن ميمون هو الذي بعث في اوائل القرن التاسع الميلادي روحا جديدة في نفوس الاسماعيلية ونشر تعاليم مذهبهم . . . وقد اتخذ دعاته في كل الجهات متكرين في زى الصوفيين غالبا او في زى التجار وغير ذلك وقد مروا على ان يستحوذوا على عقول الناس جميعا وان يجدوا جميع الطبقات الى رئيس الدعوة الاسماعيلية . وان يستخدموا تعاليمهم عن طريق التفاهم مع كل فرد بلغته الخاصة وعلى مقدار عقله .^(٤)

وهكذا نجد ان نشاط الباطنية لم يظهر بشكل منظم ومرسوم الا على يد ميمون القداح الذي اجمعت كل كتب الفرق والملل والنحل ان هذا الرجل هو المؤسس الحقيقي لهذه الطائفة حيث نظم هذه الحركة وعلم دعاتها وارسلهم الى الاقطار المختلفة لنشر مبادئ الباطنية وتعاليمها .^(٥)

(١) الفرق بين الفرق (ص ٢٦٦) ، الانساب (ورقة ٤٤٨) ، كشف

اسرار الباطنية للحمادي (ص ١٦) ، تاريخ جهات كشاي (ص ١٥٩) .

(٢) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٥٦٠-٥٦١) .

(٣) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٣٤٥) .

(٤) الدعوة الى الاسلام لارنولد (ص ٢٤١) .

(٥) انظر مقدمة مشكاة الانوار للجليند (ص ٧) .

الحقيقة الثالثة :

ان عبدالله بن ميمون فارسي اهوازي ينسب الى الاهواز حيث موطن اسرته ولذا يقال عنه الاهوازي اما نسبه الى مكة وتلقيه بالمكي فهي نسبة خاطئة وقعت بعضا من الكتاب في الخطأ والخلط بين شخصيتين متفاوتتين اهدافا وتاريخا .

وبيان ذلك ان بعض الكتاب المستشرقين من امثال ايفانوف وبرنارد لويس اعتبروا عبدالله بن ميمون الاهوازي مسكنا الباطن مذهبيا هو نفس عبدالله بن ميمون المكي المحدث عند الشيعة الاثني عشرية . وما نقل لويس في معرض حديثه عن الاهوازي والذي لقبه بالمكي انه قال : انه محدث (اي الاهوازي) وانه مولى لجعفر كما نسب الى الذهبي وكذب عليه بقوله : انه اقتبس آراء^(١) توثقه - اي الاهوازي - في رواية الحديث وتجعله حجة^(٢) .

وكذلك المستشرق ايفانوف نقل في كتابه (المؤسس المزموم للاسماعيلية) ان عبدالله بن ميمون ورد في كتب اهل السنة من المحدثين كالذهبي وابن حجر وابن النجار ولم تنسب اليه تهمة^(٣) اللاحاد . والواقع ان خلطهم هذا واضطرابهم راجع الى امرين :

(١) المحاولة الجادة منهما لتبرئة عبدالله بن ميمون الاهوازي مما اشتهر به من اللاحاد والزندقة ونشر مذاهب التشويش والمجوسية والباطنية . وهذا واضح في قول لويس : ان كثيرا من احكام المصادر السنية خاطئة في ميمون القداح وابنه عبدالله وانهما كانا في مستهل حياتهما محدثين شيعيين

(١) انظر كلام الذهبي وما نقله من علماء الجرح والتعديل حول عبدالله بن ميمون في ميزان الاعتدال (٢ : ٥١٢) ومن خلاله يتضح كذب لويس وافتقاره الى الذهبي .

(٢) اصول الاسماعيلية (ص ١٤١) .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢ : ٣٨١-٣٨٢) .

مؤثقين معروفين ولم يكونا ديسانين شويين او ماشابه ذلك^(١) .
 اما ايفانوف فقد نقلنا قبل قليل ما يدل على نفس هذه المحاولة
 اضافة الى ذلك انه جند نفسه لخدمة التراث الاسماعيلى والذب
 عن ائمة الاسماعيلية ودعاتهم ولذا يقول النشار عنه : انه يقف
 دائما بجوار الفكرة الاسماعيلية ويجعل نفسه اسيرا لها ولا يرى
 سواها^(٢) .

(٢) الامر الثانى يعتبر مساعدتهما على هدفهما الذى ذكرناه آنفا
 وهو : الاشتراك اللفظى لاسم كل واحد من الشخصيتين حيث
 انهما يسميان بعبد الله بن ميمون القداح .

والحقيقة ان الفرق واضح بينهما حيث ان عبد الله بن ميمون المكي
 يعتبر محدثا عند الشيعة ولكنه واه عند اهل السنة اما الاهوازى فهو
 عند اهل السنة ثنوى ديسانى جند نفسه لنشر الافكار الباطنية
 المسمومة . وهذه الحقيقة ادركها ابن الاثير حينما تحدث عن لقب
 القداحية فوضح الفرق بين الاهوازى والمكى حيث لقب الاول منهما
 بالقداحى وقال ان هذه النسبة الى طائفة الباطنية اما الثانى فلقبه
 بالقداح وقال عنه انه يروى عن جعفر بن محمد بن طلحة وغيره المقلوبات^(٣) .
 كما ان الفرق واضح بينهما من ناحية الفترة الزمنية فالمكى
 عاش فى القرن الثانى اما الاهوازى فعاش فى القرن الثالث وحينما
 تحدث ابن حجر عن رجال الطبقة الثامنة اعتبر عبد الله بن ميمون المكى
 من هؤلاء الطبقة وهم الذين توفوا بعد المائة وقبل المائتين^(٤) .
 ويحدد الزركلى وفاة عبد الله بن ميمون المكى بحام ١٨٠ هـ . اما^(٥)

(١) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٤٩) .

(٢) نشأة الفكر الفلسفى (ص ٣٨٢) .

(٣) اللباب لابن الاثير (٣ : ١٧ - ١٨) .

(٤) انظر تقريب التهذيب لابن حجر مادة عبد الله .

(٥) الاعلام للزركلى (٤ : ٢٨٦) .

عبدالله بن ميمون الاهوازى فقد عاش فى القرن الثالث حيث ارتبطت جهوده واعماله باشخاص عاشوا فى هذا القرن من امثال حمدان قرمط وندان الشعوبى المشهور . يقول غالب فى ترجمة عبدالله بن ميمون الاهوازى : ان ما ذكر عنه من انه عاصر الباقر والصادق فى اوائل القرن الثانى الهجرى لا يعتمد عليه لان اغلب المصادر الموثوقة تشير الى انه عاش فى القرن الثالث حتى قابل دندان بعد سنة ٢٦٥هـ ثم يقول انه مات سنة ٢٧٠هـ فى سلمية ودفن بها^(١) . وغالب المصادر - سواء كانت سنية او شيعية اثنا عشرية - اذا تحدثت عن عبدالله بن ميمون فانما المقصود به المكي الذى عاش فى القرن الثانى وليس الاهوازى الذى عاش فى القرن الثالث^(٢) .

وقد نقل لويس نصوصا متعددة عن الشيعة الاثنى عشرية وكلها تتحدث عن المكي حيث تعتبره من رواة الاحاديث الذين رووا عن الباقر والصادق وانه عاش فى القرن الثانى .

ومن النصوص التى نقلها ماروى عن الكشى ان محمد الباقر قال لعبدالله بن ميمون القداح المكي : يا ابن ميمون كم انتم بمكة ؟ فقال نحن اربعة^(٣) .

وما قدمنا يتضح الفرق بين الاهوازى والمكي سواء من الناحية الزمنية لكل منهما او الاهداف والافكار التى تبناها كل واحد منهما ودعا اليها ونتيجة لعدم ادراك هذا الفرق بين المكي والاهوازى حصل خلط كبير اوقع العديد من الكتاب فى احكام خاطئة .

-
- (١) اعلام الاسماعيلية لغالب (ص ٣٤٧) .
 (٢) انظر ميزان الاعتدال للذهبي (٢ : ٥١٢) ، تهذيب التهذيب لابن حجر (٦ : ٤٩) .
 (٣) اصول الاسماعيلية (ص ١٤٧ - ١٤٨) .

الحقيقة الرابعة :

ان ميمون القداح الالهوازي وابنه عبدالله مزجا بين المذاهب والديانات المتعددة وذلك من خلال دعوتهم الى المذهب الباطني وتلك وسيلة من وسائلهم الخبيثة جذبوا فيها عددا كبيرا من الاتباع حتى كانت النتيجة المدهشة وهي ان جمهورا عظيما من الرجال يعتقدون (١) مذاهب مختلفة ويعملون معا لتحقيق غاية لا يعلمها سوى القليل منهم .

ان هذه الحقيقة توضح معظم روايات اهل السنة من حقيقة ميمون القداح وابنه عبدالله حيث ذكر بعضهم انهما يهوديان ويدعوان الى الديانة اليهودية وبعضهم قال انهما مجوسيان ويدعوان الى الديانة المجوسية وبعضهم قال انهما ثنويان ويدعوان الى الديانة الثنوية .

ويبدو من خلال هذه الروايات التناقض والاختلاف لكن مع عرضها معبداً الشمول والاستيعاب (٢) والذي انتهجه ميمون القداح وابنه عبدالله يزول هذا التناقض وتصبح روايات اهل السنة صحيحة وتدل على حقيقة واحدة وهي : ان ميمون القداح وابنه عبدالله دعوا النسي هـ المذاهب كلها بوسيلة تستوعبها وتجمع اتباعها على مذهب واحد هو المذهب الباطني والذي يعتبر شاملا لجميع هذه المذاهب والديانات المتعددة .

وحيثما تحدث الفزالي عن نصب هذه البدعة وافاضتها بسين هذا المبدأ من خلال عرضه لعدة طوائف اتفقت على نشر مذهب الباطنية وما قال : ان نقلة المقالات قاطبة اتفقوا على ان هذه الدعوة لـ

(١) تاريخ الجمعيات السرية لعنان (ص ٣٣) .

(٢) مبدأ من المبادئ الأساسية عند الباطنية والمراد منه ان المذهب الباطني يشمل جميع المذاهب والديانات ويستوعبها وقد اتخذوه وسيلة للدخول على كل طائفة بما يناسبها .

يفتحها مفتسب الى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنهوة . ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمقن الثنوية الملحدين وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين .^(١)

وما يدل على اهمية هذا المبدأ عند الباطنية جملة وصايا لهم نقلت اليها من نتاج مفكريهم ودعاتهم وفي رسائل اخوان الصفا - والتي تعتبر قاموسا للباطنية - نماذج متعددة ومنها قولهم : وينبغي لخواننا - ايدهم الله - ان لا يعادوا علما من العلوم او يهجروا كتابا من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها .^(٢)

كما نقل البغدادي ايضا وصية عبيد الله المهدي الى ابي طاهر القرمطي نقلا من كتابهم السياسة والبلاغ وفيها : ادع الناس بان تتقرب اليهم بما يميلون اليه واوهم كل واحد منهم بانك منهم فمن انست منه رشدا فاكشف له الفطاة واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معلونا واكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم .^(٣)

ومن وصاياهم للدعاة ايضا ما نقله الحمادي عنهم بقوله : ان يسالم الداعية في ظاهره اهل الديانات المختلفة ويربهم في بعض احواله ان اليهودية والنصرانية والمجوسية والاسلام كلها محان متقاربة ودعوة واحد قنوان البلا الذي دهم الجهال هو الاختلاف والاكال على ظاهسر النصوص دون باطنها والجهل بعمانيها واضاعها .^(٤)

وهذه الوصايا تعتبر جزءا لا يتجزأ من برنامج ابن ميمون والذي يصفه احد المستشرقين بقوله : انه دمج الفالبيين والمفلوطين في هيئة

(١) فضائح الباطنية للغزالي (ص ١٨) .

(٢) رسائل اخوان الصفا (٤ : ٤١ - ٤٢) .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٧٨) .

(٤) الفلو والفرق الفالمية (ص ١٧٨) .

واحدة . وجمع في حظيرة واحدة جمعية سرية هائلة ذات مراتب عدة بين
احرار المفكرين وبين الغلاة من جميع الطوائف وكان يعتمد كثيرا على
طلاب الفلسفة اليونانية واليهود وحدهم استطاع ان يفضى بسره وخفى
(١)
عقيدته .

ولما لهذا المبدأ من دور كبير في انتشار الحركة الباطنية
فقد افرد به بعض الباحثين بفصل كامل وما قال فيه : ان الدعوة
الاسماعيلية استطاعت ان تؤثر في نفوس جماعات مختلفة في العنصر والدين
مزدكيين ومانويين وصابئين وشيعة وسنة ومسيحيين ويهود من كـل
نوع فانشأت بحكم الضرورة نطاقا قويا من مذهب الشمول في العقيدة
تتقرب احيانا من مذهب عقلى خالص . ويقول احد الكتاب ان الاسماعيليين
استغلوا بعض المذاهب وذلك كالتقية فكانوا سنيين مع اهل السنة شيعيين
مع الشيعة يهودا مع اليهود ومسيحيين مع المسيحيين ومجوسيين مع
(٢)
المجوس .

ومن خلال ما تقدم في الفصل الثالث يظهر لنا ان الباطنية حركة
واسعة النطاق اشتملت على العديد من الفرق والحركات الثورية كما
يظهر لنا ايضا ان الحركة القرمطية انتاج باطنى تولى نشرها والدعوة
اليها اشهر زعماء الباطنية وكان لهم الدور الكبير في تربية قيادة
القرامطة وزرع بذور الهدم والتخريب في اذهان هؤلاء القادة .

ولاغرو والحالة هذه ان تكون الحركة الباطنية جذرا من الجذور
الاساسية لحركة القرامطة . ومن خلال الفصل السابق اجمل الادلة
على هذه الحقيقة بالاتي :

(١) ان لزعماء القرامطة وقادتهم صلة وارتباطا بشهر دمسجة

-
- (١) كتاب اخوان الصفا للدسوقي (ص ٢٥) .
(٢) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٩٤) .
(٣) الغلو والفرق الغالية للسامرائى (ص ١٦٨) .

الباطنية اقل ما يقال عنها انها صلة التلميذ باستاذه والمتعلم
بمربيه وشيخه وذلك كحمدان قرط وعبدان وعلى بن الفضل
الذين يعتبرون تلاميذ مخلصين لعبد الله بن ميمون اشهر
زما الباطنية .

(٢) ان معتقدات الباطنية تمثل معتقدات القرامطة ولا خلاف بينهم
في ذلك سوى بعض اجتهادات للقرامطة حول الامة ومن احق
الناس بها .

(٣) ان الحركة القرمطية تعتبر من الفرق الرئيسية للحركة الباطنية
وكثيرا ما اطلق العلماء احداها على الاخرى او جمعوا بينهما .
وحينما نستعرض كتب مقالات والفرق ولا سيما التي افردت
القرامطة والباطنية بمؤلف خاص نجد انها قد جمعت بينهما واعتبرت
في بعض الحالات فرقة واحدة وذلك لما بينهما من صلة وتداخل فـ
كثير من العقائد والمنطلقات .

ومن الامثلة البارزة على ما ذكرنا ان الفزالي حينما تحدث عن
الباطنية في كتابه " فضائح الباطنية " اعتبر القرامطة ضمن الباطنية
وادمج بينهما في كثير من الحالات . وبالمقابل ابن الجوزي حينما
تحدث عن القرامطة في كتابه " القرامطة " اعتبر الباطنية والحديث عنها
ضمن القرامطة . اما الحمادي اليماني فقد جمع بينهما في كتابه
كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة . والحقيقة انه لولا منهج
القرامطة الثوري وخروجهم على بعض الائمة فترات من الوقت لاعتبرنا
القرامطة والباطنية اسمين يدلان على حقيقة واحدة .

الفصل الرابع

طائفة الاسماعيلية ودورها في حركة القرامطة

(١) تعريف الاسماعيلية ونشأتها :

تعتبر الطائفة الاسماعيلية فرقة من اكبر الفرق الباطنية انتسبت الى التشيع واعتبرت من الغلاة وسميت بهذا الاسم لانتساب اصحابها الى اسماعيل بن جعفر الصادق وتوليهم له والقول بامامته بعد موت ابيه جعفر .^(١)

وذهب الى هذا التعليل ابن الجوزي حيث قال فاما تسميتهم بالاسماعيلية فلانتسابهم الى اسماعيل بن جعفر^(٢) كما ذهب اليه ايضا الرازي فقال : ويقال لهم الاسماعيلية لانهم قالوا : الامام بعد جعفر اسماعيل بن جعفر .^(٣)

لكن الغزالي اعتبر غير ذلك فقال ان هذه التسمية نسبة الى زعيمهم محمد بن اسماعيل بن جعفر الذي يزعمون ان ادوار الامامة انتهت به . ووافقه على ذلك ابن الجوزي في رأيه^(٤) له آخر غير ما تقدم .^(٥)

وحينما نستعرض هذين الرأيين نجد ان لكل منهما سببا فالتعليل الاول مني في رأى من قال ان الامام بعد جعفر ابنه اسماعيل واصحاب هذا القول ينكرون موت اسماعيل في حياة ابيه وقالوا^(٦) ان ذلك على جهة التلبيس لان اياه خاف عليه فففيه عنهم .

-
- (١) اللباب لابن الاثير (١ : ٥٩) .
 - (٢) القرامطة لابن الجوزي (ص ٣٦) .
 - (٣) الزينة للرازي (ص ٢٨٢) .
 - (٤) فضائح الباطنية للغزالي (ص ١٦) .
 - (٥) تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص ١٠٢) .
 - (٦) المقالات والفرق للقي (ص ٨٠) .

اما التعليل الثانى فهو مبنى على القول بان الامام بعد جعفر محمد بن اسماعيل بن جعفر واصحاب هذا القول يرون ان الامر كان لاسماعيل فى حياة ابيه فلما توفي قبل ابيه جعل جعفر الامرا لابن ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر وكان الحق له ^(١) .

ومع التبع للمصادر نجد ان موت اسماعيل فى حياة ابيه هو الصحيح وان الامامة انتقلت الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ^(٢) ، وبهذا الصدر يقول الاسفرايينى : وهم يزعمون (اى الاسماعيليه) ان الامامة صارت من جعفر الى ابنه اسماعيل وكذبهم فى هذه المقالة جميعا هل التواريخ لما صح عندهم من موت اسماعيل قبل ابيه جعفر وقوم من هذه الطائفة يقولون بامامة محمد بن اسماعيل وهذا مذهب الاسماعيليه من الباطنية ^(٣) .

كما يقول الحميرى ايضا : ان اسماعيل مات فى حياة ابيه ولذا فقد اوصى جعفر الصادق بالامامة الى ابن ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر ^(٤) .

والقول بموت اسماعيل فى حياة ابيه ما يؤكد عليه طائفة الشيعة الاثنا عشرية ليتفق ومعتقدهم المبنى على انتقال الامامة من جعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم والتي ظلت الامامة متصلة فى ابنائه الاثنى عشر من بعده . لكن موت اسماعيل فى حياة ابيه لا يمنع من انتقال الامامة الى ابنه محمد بن اسماعيل لاسيما وان من محققات الشيعة عموما ان الامامة لا تنتقل من اخ الى اخيه بل تظل فى الاعقاب

-
- (١) المرجع السابق (ص ٨٠) .
 (٢) انظر على سبيل المثال الفرق بين الفرق للبشادى (ص ٤٦) ،
 الحور العين للحميرى (ص ١٦٢) .
 (٣) الفلو والفرق الغالية للسامرائى (ص ١٠٦) .
 (٤) الحور العين للحميرى (ص ١٦٢) .

لان النص لا يرجع القهقري^(١).

ابتداء الاسماعيلية:

تعددت الآراء والاقوال حول نشأة الاسماعيلية وهاهنا
نرى استعراضها ثم ارجح ما يتبين رجحانه من خلال الادلة التاريخية
والحقائق الواقعة . ومن اول هذه الآراء واشدها غرابة ما يراه علماء
الحركة الاسماعيلية في بعض كتبهم الباطنية الفلسفية من ان دعوتهم
قديمة قدم هذا الوجود ويقول غالب: انهم دعوا هذا القول بنظريات
علمية وتأويلات باطنية فلسفية^(٢).

وهناك قسم آخر منهم يذهب الى القول بان حركتهم بدأت في
عهد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ويستدلون على
ذلك بآراء تأويلية عقائدية^(٣). والحقيقة اننا حينما نستعرض بعض مؤلفاتهم
الفلسفية وخاصة ما يتعلق بمعتقداتهم حول الامامة والائمة نجد ان لديهم
ما يسمى بالاكوار والادوار والنطق والصمتين بدءا بآدم ابو البشر وانتهاء
بقائهم محمد بن اسماعيل ما يدل على انهم يرون قدم دعوتهم وانهم
ابتدأت مع خلق آدم عليه الصلاة والسلام^(٤).

ويذهب اسماعيلي معاصر الى القول بان الحركة الاسماعيلية
نشأت نشأتها الاولى سنة ٢٨ هـ، وذلك في مدينة الكوفة بالعراق
وان جعفر الصادق هو الذي خطط لها ونظمها^(٥).

ويذهب جمع من المؤرخين وكتاب المقالات الى ان الحركة

-
- (١) انظر الطل والنحل للشهرستاني (١: ١٦٨) .
 - (٢) الحركات الباطنية لغالب (ص ٧١) .
 - (٣) المرجع السابق (ص ٧١) .
 - (٤) انظر على سبيل المثال اثبات النبوات للشهرستاني (ص ١٨١، ١٩٣) .
 - (٥) الرياض للكرمانى (ص ١٧٦ - ١٧٩) .
 - (٥) الحركات الباطنية لغالب (ص ٧١) .

الاسماعيلية انما نشأت بموت جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ حيثان الشيعة سواهم كانوا اسماعيلية، واثنى عشرية مجتمعون على امامة جعفر وبعد موته حصل الانشقاق والاختلاف بينهم الى فرقتين كبيرتين وهما :

(١) الاثنا عشرية الذين قالوا بامامة موسى الكاظم اجد ابنا جعفر ونقلوها في ابناؤه من بعده حتى الامام المنتظر .

(٢) الاسماعيلية وهم الذين تمسكوا بامامة اسماعيل ومن بعده ابنه محمد بن اسماعيل وبعد وفاته تم نقلها الى الائمة المستورين .

وعلى هذا لم تظهر هذه الفرقة الا بعد موت جعفر الصادق حيث انتقلت الامامة الى عقب اسماعيل والذي تنسب الحركة الاسماعيلية اليه .^(١)

وحينما نستعرض هذه الاراء الاربعة من نشأة الاسماعيلية وبداية ظهورها نجد ان الرأي الاول والثاني من دعاوى الاسماعيلية الكاذبة والخالية من الادلة والحقائق حيث ان لفظ (اسماعيلية) ودلالته على الطائفة المعروفة لم يكن معروفا ومتداولاً الا في منتصف القرن الثاني للهجرة وذلك بوفاة الامام جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ ويقول احد الكتاب ان الحركة الاسماعيلية ابتدأت بجماعة اسماعيل بن جعفر بمؤازرة فعالة من اسماعيل نفسه وابنه محمد .^(٢)

اما الرأي الثالث فهو باطل من عدة وجوه :

اولها : ما اشتهر عن جعفر الصادق من الصدق والفضل فهو من اجلاء التابعين وله منزلة رفيعة في لعلم حتى ان بعض الائمة الكبار اخذوا عنه كابى حنيفة ومالك ولقب بالصادق لانه لم يعرف منه الكذب قط وكان جريئاً على الخلفاء صداماً بالحق ومن هذه اوصافه كيف ينسب اليه التخطيط والتنظيم لحركة الحادية كافرة كالا سماعيلية . ويقول الامام

(١) انظر على سبيل المثال الفرق بين الفرق للفيضانى (ص ٤٦) ،

الطل والنحل للشهرستانى (١ : ١٩١) .

(٢) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ٨٢) .

(٣) الاعلام للزركلى (٢ : ١٢١) .

ابن تيمية في معرض حديثه عن الاسماعيلية الباطنية : **واما الكذب والاسرار التي يدعونها من جعفر الصادق فمن اكبر الاشياء كذبا حتى يقال** (١) **ماكذب على احد ما كذب على جعفر رضى الله عنه .**

الثاني : ان الشيعة عموما كانوا مجتمعين على امامة جعفر الصادق ولم يقع بينهم اى اختلاف او فرقة الا بعد موته حيث ظهرت بعض المسميات التي تشعب بالاختلاف ومن ابرز هذه المسميات الاسماعيلية وهم الذين تمسكوا امامة اسماعيل وابناءه من بعده ولذلك نسبوا اليه ومن ذلك يقول الرازي : ان الشيعة كانوا مجتمعين على القول بامامة على ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد فهذا ما اجتمعت عليه الرافضة وهو اصل لجميعهم ثم بعد مضي جعفر تفرقوا فرقا كثيرة وسموا بالقاب شتى (٢) .

الوجه الثالث : ان الالقاب والاسماء للفرق والطوائف تستمد غالبا من اسماء اصحابها وتنسب اليهم واغلب فرق الشيعة تسمى باسماء ائمتها الذين يدعونها ويتزعمون الاتباع ومن الامثلة على ذلك الموسوية نسبة الى موسى الكاظم والزيدية نسبة الى زيد بن على والقرامطة نسبة الى حمدان قرط والكيسانية نسبة الى كيسان وهكذا فانه على هذا النمط ينبغي ان نسمى الاسماعيلية بالجعفرية وذلك بناء على الراى الثالث والقائل بان جعفر هو الذى خطط للاسماعيلية وانشأها ولكن لبطلان هذا الراى فان تسميتها بالاسماعيلية انما هو نسبة الى امامها وزعيمها اسماعيل بن جعفر الصادق .

ويتضح مما قد منا رجحان الراى الرابع والقائل بان ظهور الاسماعيلية انما كان بعد موت جعفر سنة ٤٨ هـ ولذا يقول غالب :

(١) الفتاوى لابن تيمية (٤ : ٧٨) .

(٢) الزينة للرازي ضمن كتاب الفلوساطى (ص ٢٨٦) .

اننا نذهب مع اكثر الباحثين والمؤرخين فنبدأ ببحث حركة الاسماعيليين
منذ وفاة الامام جعفر الصادق وانشقاق شيعته الى قسمين^(١).

(١) الحركات الباطنية لغالب (ص ٧١) .

(٢) ائمة الاسماعيلية :

اتفقت الشيعة - اسماعيلية كانوا او اثني عشرية - حول شخصيات الائمة حتى جعفر الصادق واول خلاف نشأ بين الاسماعيلية والاثني عشرية انما هو حول شخصيات الائمة ومن الاحق بالامامة بعد موت جعفر، وهذا الخلاف يعتبر من الامور البارزة التي تميزت بها كل فرقة عن الاخرى ولذا يقول الشهرستاني : ان الاسماعيلية امتازت عن الموسوية ومن الاثني عشرية باثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر .^(١)

وحول امامته يدور خلاف كبير بين تلك الفرقتين الكبيرتين - من فرق الشيعة فالاثنا عشريون يقولون ان اسماعيل توفي في حياة ابيه وانتقلت الامامة بذلك الى اخيه موسى الكاظم .

اما الاسماعيليون فيقولون ان جعفرا نص على ولده اسماعيل وجعل الوصية اليه بالامامة لانه كان اسن ولده وآثرهم عنده .^(٢)
وانكروا على من قال بموت اسماعيل في حياة ابيه وقالوا : لا يموت حتى يملك لان ابيه قد وصى له بالامامة بعده .^(٣)

بل انهم ادعوا ان جعفرا اشار اليه في حياته ودل الشيعة عليه فكانوا جميعين كلهم انه الامام بعد ابيه وان جعفرا قلدهم ذلك في حياته وامرهم به . ويتفق اكثر مؤرخي الاسماعيلية على ان قصة وفاة اسماعيل في حياة ابيه انما كانت قصة اراد بها جعفر الصادق التمييز والتعمية على الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور حيث كان يطارد ائمة الشيعة فخاف جعفر على ابنه وخليفته اسماعيل فادعى موته واتى بشهود كتبوا بحضوره بوفاته وارسل ذلك المحضر الى الخليفة العباسي

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٩١) .

(٢) الحور العين للحميري (ص ١٦٢) .

(٣) انظر المقالات والفرق للقي (ص ٨٠) .

(٤) الزينة للرازي ضمن كتاب الفلواللسامرائي (ص ٢٨٢) .

الذى اظهر سرورا وارتياحا لوفاة اسماعيل الذى كان اليه امرا مامة الشيعة ثم شوهد اسماعيل بعد ذلك بالبصرة وفى غيرها من بلاد فارس وعلى ذلك فالامامة لم تسقط عن اسماعيل بالموت قبل وفاة ابيه لانـه مات بعد ابيه .^(١)

وخرافة رجوع اسماعيل حيا بعد ان اشهد ابيه على موته ودفنه تعتبر من تمويهات الاسماعيلية التى رددوها فى كتبهم واكدوها .

يقول ادريس عماد الدين بعد ان ساق قصة موت اسماعيل واشهاد ابيه على موته ودفنه : فلما كان بعد ذلك ظهر اسماعيل بالبصرة واقبل اليه الناس يهرعون وهم يقولون هذا اسماعيل بن جعفر عاد حيا الى ان مر بشيخ زمن على دكانه من الشيعة المواليين لابيه فقال له يابن بنت رسول الله خذ بيدى اخذ الله بيدك فطلع اليه ومسح على ظهره بيده المباركة فثبت ظهره وبرء من ملته وشاهد الخلق ذلك وهاب عنهم .^(٢)

ومن هذه الترهات والخزفيات يقول محمد حسين : ولعلنى لا اغلو اذا قلت ان هذه القصة - اى التمويه بوفاة اسماعيل - انما هى من القصص الخيالية التى وضعها بعض اصحاب المناقب من مؤرخى وكتاب الاسماعيلية الذين يكثرون من مثل هذه القصص فى كتاباتهم ليضيفوا على الائمة الاسماعيلية مناقب وفضائل لا يقرها عقل .^(٣)

ومع التتبع للكثير من المصادر التاريخية نجد ان موت اسماعيل فى حياة ابيه هو الصحيح^(٤) وان القول بغيثته او رجوعه حيا بعد ان مات

(١) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٢ - ١٣) .

(٢) مخطوطة زهر المعانى لادريس عماد الدين (ص ٤٧) .

(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٣) .

(٤) انظر على سبيل المثال اتعاظ الحنفا (١ : ١٥) ، الفرق بين الفرق (ص ٤٦) ، الحور العين (ص ١٦٢) ، النور لابن خلدون .

(٤ : ٦١) .

هو من الاعيب الاسماعيليه وضحكهم على الاغبياء ولذا يقول الاسفرايينى:
ان جميع اهل التواريخ كذبوا الاسماعيليه فى مقالاتهم هذه واشتبهوا
موت اسماعيل قبل ابيه جعفر .^(١)

ويحدد المقرئى وفاة اسماعيل بن جعفر بحام ثمان وثلاثين
ومائة .^(٢) على حين ان جعفر توفى عام ١٤٨ هـ فكانت وفاة اسماعيل قبل
وفاة ابيه بعشرة اعوام وعلى هذا تعتبر اقوال الاسماعيليه وادعائهم
- عن بقاء اسماعيل واستمرار حياته الى ما بعد ابيه - باطلة .

ومن الملاحظ ان الشيعة الاثنى عشرية يقولون بذلك ليتناسب
ومعتقدهم فى امامة اول ائمتهم بعد الاختلاف مع الاسماعيليه فهم
ينقلون الامامة الى موسى الكاظم احداً بناً جعفر ويقولون ان الامامة
انتقلت اليه بموت ابيه جعفر وموت اخيه الاكبر اسماعيل .

ولكن يطل قولهم هذا مبداً من مبادئ الشيعة على اختلاف
فرقها وهو ان الامامة لا تكون الا للاكبر المنصوص عليه فى بدء الامر مع
تسلسلها فى الاقارب اى من الاباء الى الابناء . وبناءً على هذا فالامامة
ثابتة لاسماعيل لانه الاكبر المنصوص عليه وموته سواء فى حياة ابيه
او بعده انتقلت الامامة الى اولاد اسماعيل لان النص لا يرجع القهقري
ولا ينص الامام على واحد من اولاده الا بعد السماع من ابيه .^(٣)

ويقول القس : ان الامامة لا تنتقل من اخ لآخر بعد الحسن
والحسين رضى الله عنهما ولا تكون الا فى الاقارب ولم يكن لآخرى
اسماعيل عبد الله وموسى حق فى الامامة كما لم يكن لمحمد بن الحنفية
حق مع على بن الحسين .^(٤)

(١) الفلوسامرائى (ص ١٠٦) .

(٢) اتماظ الحنفا (١ : ١٥) .

(٣) انظر الطل والنحل للشهرستانى (١ : ١٩١) .

(٤) المقالات والفرق للقى (ص ٨١) .

ويذهب مؤرخو الشيعة الاثني عشرية وبعض مؤرخي السنة التي
ان اسماعيل بن جعفر لم يكن بالرجل الذي يصلح للامامة لانه كان
مدمنا على شرب الخمر ولوعا بالنساء وانه من اصدقاء ابي الخطاب
الاسدي الفاسق الملحد الذي ادعى الوهية جعفر الصادق وانه كان
رسوله مما جعل جعفر يتبرأ منه ولا يرضى عن الصلة التي كانت بينه وبين
ابنه اسماعيل وان جعفر اظهر فرحة لموت ابنه اسماعيل لما كان معروفا
(١)
عنه من فسق .

وحيثما نستعرض هذه التهم التي اثيرت حول اسماعيل نجد ان
من اشدّها خطرا صلة اسماعيل بابي الخطاب وانضمام الخطابية التي
شيعة اسماعيل بعد موت ابي الخطاب حتى ان لويس اعتبر مجمل اصول
الاسماعيلية انما نشأت بتعاون ابي الخطاب مع اسماعيل وانهما سعيا الى
توحيد فرقة شيعية ثورية تجمع كل الفرق على امامة اسماعيل وذريته من
(٢)
بعده .

والحقيقة التي ظهرت لي من خلال الادلة والتوقع شتت هذه
الصلة والاندماج بين هاتين الحركتين وسبق ان بينت ذلك في الفصل
الثاني من هذا الباب . وبناء على مبدأ الشيعة - وهو انتقال الامامة
من الاباء الى الابناء - فان الامامة انتقلت بعد موت اسماعيل الى ابنه
محمد بن اسماعيل وهذا معتقد الشيعة الاسماعيلية حيث قالوا : انه
بعد موت اسماعيل محمد بن اسماعيل السابع التام الذي تم دور السبعة
به . ويقولون ايضا ان انتقال الامامة الى محمد بن اسماعيل انما كان
(٣)
نصا من ابيه ويروون ان اسماعيل اوصى ان يسلم الامر الى ولده محمد

-
- (١) الحركات الباطنية لغالب (ص ٧٢-٧٣) .
 - (٢) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١١٥) .
 - (٣) الطلل والنحل للشهرستاني (١ : ١٩٢) .

ودعى نقيباه وخواصه واصحابه ليسلم الامر اليه بمحض من خاصته رغم
(١)
صغر سنه لانه لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره .

ويقسم الاسماعيليه امامة محمد بن اسماعيل الى دورين :

الاول : دور الظهور . ويشمل الفترة الاولى من حياته حينما كان
مقيما بالحجاز حيث فرق دعائه في جزائر الارض للدعوة له ونشر المذهب
الاسماعيلي ولكن الخليفة العباسي هارون الرشيد شعربا يقوم به
في هذه الفترة فجد في مطاردته والقبض عليه . وحينما علم محمد بن
اسماعيل بذلك دخل بالدور الثاني والمسمى عند الاسماعيليه بدور
الاستتار . (٢) ويتحدث غالب عن هذا الدور فيقول : ان المصادر جميعها
تتفق على ان محمد بن اسماعيل استطاع ان يخرج سرا من المدينة
ويتوغل في شرقي المملكة الاسلامية . (٣) وقد ظل ينتقل من مكان الى مكان
حتى استقر في قرية من قرى الري ونسبت اليه هذه القرية فيما بعد وسُميت
بمحمد اباد ويقول النشار انه كان يرجو من رحلته هذه عدة امور وهي :

- (١) اتخاذ دار هجرة وقد اصبحت هذه عقيدة عند الاسماعيليه .
- (٢) ان يكون بعيدا عن عيون الخليفة في الحجاز فيستطيع بسهولة
ان يبيت دعائه .
- (٣) فشله في الحجاز امام عمه القوي موسى الكاظم واتباعه من الامامية
الذين لم يستجيبوا لمحمد بن اسماعيل كثيرا .
- (٤) كانت الحجاز مليئة بالعلماء والفقهاء في عصر العباسيين الزاهر
وفي هذا الجو العلمي لم تكن دعوة محمد بن اسماعيل
تجد آذانا صاغية لاسيما ان هذه الدعوة نهجت منهاجا باطنيا

(١) اسرار النطقاء لجعفر بن منصور (ص ٨٢) .
(٢) يعتبر الاستتار جزءا من عقيدة الاسماعيليه ويستخدم عادة للائمة
وحججهم وذلك حينما يحاطون بالخطر والتهديد بالقتل .
(٣) اعلام الاسماعيليه لغالب (ص ٤٤٨) .

غريبا على التفكير الاسلامى فى ذلك الوقت .

(٥) يبدو ان دعاة محمد بن اسماعيل قد انتشروا فى شرقى المملكة
الاسلامية ونشروا الدعوة هناك فذهب محمد بن اسماعيل فى رحلته
هذه الى ارض زرعت له من قبل .^(١)

وتشير بعض مصادر الاسماعيليه الى ان الرشيد ظل يطارد امام
الاسماعيليه الذى ظل بدوره ينتقل من مكان الى آخر فرارا من القبض عليه
حتى استقر آخر الامر فى مدينة فرغانة وبها توفي .^(٢)

ويرى الاسماعيليه ان الامامة ظلت مستمرة فى ابناؤ محمد بن
اسماعيل حتى ظهور عبيد الله المهدي اول ائمة دور الظهور .

بينما يرى اهل السنة ان محمد بن اسماعيل مات ولم يعقب احدا
من الاولاد ونستعرض بعض هذه الاقوال .

ففى كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى قوله : ان اصحاب الانساب
ذكروا فى كتبهم ان محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب .^(٣)
كما يقول ابن الاثير : ان الاسماعيليه ينسبون الى محمد بن
اسماعيل وفى كتاب الشجرة انه لم يعقب .^(٤)

وايضا الفزالى ذكر ذلك وقال : ان اهل المخوفة بالنسب اوردوا
فى كتاب الشجرة ان محمد بن اسماعيل مات ولا عقب له .^(٥)

ويقول الحمادى : ان آل القداح زعموا انهم من ولد محمد بن
اسماعيل بن جعفر الصادق وهاشا لله ما كان لمحمد بن اسماعيل من
ولد ولا عرف ذلك من الناس احد .^(٦)

(١) تاريخ الفكر الفلسفى للنشار (٢ : ٣٨٧-٣٨٨) .

(٢) عيون الاخبار لادريس (ص ٣٥١ - ٣٥٦) .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٤٧) .

(٤) اللباب لابن الاثير (١ : ٥٩) .

(٥) فضائح الباطنية للفزالى (ص ١٦) .

(٦) كشف اسرار الباطنية (ص ١٩) .

ونتيجة لهذا الخلاف بين اهل السنة والا سماعيلية حول عقب محمد ابن اسماعيل وامامة من بعده - تبدأ فترة من اشد الفترات غموضاً واستتاراً يصف محمد حسين هذه الفترة بقوله : انها فترة قمامضة اشد الغموض حتى ان بعض مؤرخى وكتاب الا سماعيلية تحدثوا عن هذه الفترة رمزا دون تصريح مما يجعل موضوع الحديث من دور الستر شاقا عسيرا على كل باحث فى تاريخ الا سماعيلية فان الشيعة عامة والا سماعيلية بوجه خاص اتخذوا التقبية مذهباً من مذاهبهم ^(١) كما يقول احدهم المستشرقين عن هذه الفترة : ان سلسلة الائمة بين محمد بن اسماعيل وسعيد مهدى مازالت مشكلة من اعقد المشاكل فى التاريخ الاسلامى فالمؤرخون السنة يروون لها روايات عديدة مختلفة والا سماعيليون وغيرهم ممن يعترف بحق الفاطميين الشرعى لا يبدوانهم متفقون فيما بينهم عليها ^(٢) .

كما يقول حسن ابراهيم : ان المؤرخين لم يصلوا بعد الى رأى قاطع عن نسب الفاطميين الى اسماعيل بن جعفر الصادق او الى ابن ميمون القداح ^(٣) .

والروايات حول هذه الفترة متعددة ومتضاربة فى آن واحد ومع التتبع والحصر لهذه الروايات فانى اجملها فى قولين :
الاول : رأى اهل السنة وخلاصته ان محمد بن اسماعيل مات ولا عقب له وتسلم الامامة حجة عبدالله بن ميمون القداح وظلت مستمرة فى اعقابه المستورين حتى ظهر عبيد الله المهدي واعلن امامته وعند ذلك حصل ما حصل من الخلافات والانشقاقات بين ائمة الا سماعيلية والقرامطة . ويقول اصحاب هذا الرأى ان فترة الاستتار لا تعد وكونها

(١) طائفة الا سماعيلية لمحمد حسين (ص ١٩) .

(٢) اصول الا سماعيلية لجرنارد لويس (ص ١٦١) .

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم (ص ٧٩) .

تعمية وتفظية لامامة القداحين الذين كانوا من اقرب الدعاة والصقهم
باسماعيل بن جعفر وابنه محمد وسلسلة الامامة كالتالى : عبيد الله
المهدى هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القداح .^(١)
الرأى الثانى : رأى الاسماعيليين وخلاصته ان الائمة من لادن
محمد بن اسماعيل الى الامام الظاهر عبيد الله المهدى يحتجرون من
نسل محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ولكن هؤلاء الائمة دخلوا فى
كهف التقية والاستتار ولبحوا لا يعرفون الا بالقابهم ولا يعرفهم
الا اقرب المقربين اليهم وان سبب ذلك المطاردة والقتل لهم من قبل
الخلافة العباسيين .

ومع اتفاق اصحاب هذا الرأى على ما قدمنا الا انهم كانوا
مختلفين اشد الاختلاف حول عدد الائمة فى فترة الاستتار واسمائهم
والقابهم واقدام الروايات الاسماعيلية التى تتحدث عن هؤلاء الائمة
رواية الداعى جعفر بن منصور اليمى وخلاصة ما جاء فيها : ان الامام
الاول بعد جعفر هو عبد الله بن جعفر ثم محمد بن عبد الله ثم عبد الله
ابن محمد فاحمد بن عبد الله ثم محمد بن احمد وكل هؤلاء تسموا بمحمد
خلا عبد الله بن جعفر فانه تسمى باسماعيل . ويضيف الداعى جعفر بن
الامام المهدى كتب اليه بنسبته على النحو الاتى : على بن الحسين
ابن احمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر الصادق .^(٢)

ويحدد النيسابورى عدد هؤلاء الائمة بثلاثة ويسمى الاول بعبد
الله الاكبر والثانى باحمد والثالث بالحسين وهو والد المهدى ويعد

(١) انظر الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٨) ، اتحاد الحنفى
للمقرئى (٢٢ : ١ - ٢٨) ، الفرق بين الفرق للبخارى
(ص ٢٦٦) ، تثبيت دلائل النبوة للهمدانى (٢ : ٥٩٧) .
(٢) انظر الى كتاب الحاكم بامر الله (ص ٦١) نقلا من كتاب الفرائض
وحدود الدين .

نقلته نقل الامامة الى ابنه عبيد الله المهدي الذي كان صغيرا فاستودع الامام مقلعه سعيد الخير حتى كبر حيث سلم الامامة لصاحبها^(١) . ويشاركه من حيث العدد صاحب زهر المعاني غير انه يسمى الامام الاول بعبد الله الرضى المستور والثاني باحمد التقى والثالث بالحسين المقتدى^(٢) .

ويرى اسماعيلي آخر ان محمد بن اسماعيل كان من ائمة عهد الستر وان سلسلة الائمة من بعده تجرى على النحو الاتي : محمد بن اسماعيل . فولده عبد الله . فولده احمد . فولده الحسين . فولده علي^(٣) ويعلق محمد حسين علي هذه الاختلافات بقوله : وهكذا نجد ان كل مؤرخ من مؤرخي الاسماعيلية تناول الحديث عن هذه الفترة بما يهدو له بحيث جاء حديثهم مضطربا اشد الاضطراب مختلفا اشد الاختلاف فهم مختلفون في اسما ائمة هذه الفترة ومختلفون ايضا في عددهم فبعضهم جعل الائمة ثلاثة وبعضهم قال انهم خمسة وبعضهم قال سبعة .

ويضيف قائلا : انه مادام مؤرخوا الاسماعيلية انفسهم لم يستطيعوا ان يعطونا صورة صحيحة عن ائمتهم في هذه الفترة فمن الطبيعي ان لا نجد مؤرخا من مؤرخي العرب اهتم بهم في هذه الفترة ومعنى هذا كله اننا لا نستطيع ان ندلي برأى صحيح من تاريخ الاسماعيلية في هذا الدور^(٤) .

-
- (١) انظر استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٥ - ٩٦) .
 - (٢) غاية المواليد من ورقة ٥٨ الى ٦٦ .
 - (٣) انظر الحاكم بامر الله لعنان (ص ٦٠) .
 - (٤) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٥ - ١٦) .

(٣) صلة الاسماعيلية بالحركة القرامطية :

من الامور الصعبة في الكتابة عن حركة القرامطة مدى الصلة والارتباط بينها وبين طائفتي الاسماعيلية والكتابة في هذا الموضوع تكتسب اهمية كبيرة من حيث تحديد خط بياني بين حركتين طالما اختلف المؤرخون في بيان العلاقة بينها ويحسن والحالة هذه ان اعرض الراء مجملتها ثم اتبع ذلك بالتفصيل .

فالمقریزی يذكر قصة اللقاء الذي تم بين مبعوث الامام الاسماعيلي حسين الاهوازي وبين حمدان قرمط وهي تفيد صراحة ان القرامطية فرع من فروع الاسماعيلية ^(١) والمقریزی يستند في هذه القصة الى رواية النويري وابن النديم ^(٢) ^(٣) .

اما ابن الجوزي فيذكر في مؤلفاته رأيين :

اولهما : يتمثل في معرض حديثه عن الباطنية والقايبها حيث يذكر ان للباطنية اسما ثانيا وهي : الاسماعيلية . والقرامطة . والباطنية والسيمية . والبابكية . والمحمرة والخرمية والتعليمية ^(٤) . فهو هنا يعتبر جميع هذه الاسماء انما تدل على حقيقة واحدة وهي الباطنية واما لفظ القرامطة فلا يعدو عن كونه اسما من اسماء الحركة الباطنية .

الرأي الثاني : يذكره عندما يتحدث عن القرامطة حيث يقول ان لهم القابا ثمانية وهي ما سبق ان ذكرته في رأيه الاول الا انه هنا يعتبر القرامط قاصلا وجميع هذه الالقاب انما تدل عليها وتتفرع منها ^(٥) .

وما ذكره ابن الجوزي في كلا الرأيين يعتبر خلطا واضحا بين

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥١-١٥٢) .

(٢) نهاية الارب للنويري (٢٣ : ورقة ٥٦-٥٧) .

(٣) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٨) .

(٤) تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص ١٠٢-١٠٦) .

(٥) القرامطة لابن الجوزي بتحقيق الصباغ (ص ٣٥) .

الحركات المتعددة فالباطنية اصطلاح شامل لجميع من يقول بان لكل ظاهر باطنا فيدخل في هذا القرامطة وغيرهم من الفرق الاخرى كالنصيرية والاسماعيلية والدروز . . . الخ وسبق ان فصلت القول في ذلك عند الحديث عن فرق الباطنية . كذلك البابكية والخرمية لا يحتبران اسماء لحركة القرامطة اطلاقا حيث انها حركات قامت قبل وجود القرامطة وظهورهم وكل حركة كانت تمثل وجهة نظر تختلف بها عن الاخرى فعلى هذا لا يسلم لابن الجوزي هذه الاطلاقات التي تكوّن عنده بل وعند غيره من العلماء كالغزالي (١) .

اما ابو الحسن الاشعري فيعتبر القرامطة فرقة من فرق الرفضية الامامية (٢) يشاركه في ذلك ابو الحسين الططى في هذه التسمية (٣) . ومن المعروف ان الامامية فرقة من فرق الشيعة تختلف مع الاسماعيلية اختلافا كبيرا ويعود اختلافهم الى الانقسام في الامة بعد موت جعفر الصادق كما ان الامامية ينفضون الاسماعيلية بغضاشديدا لانهم نازعوهام الامامة في اسماعيل وابنه بعد جعفر الصادق وعلى هذا فلا نعتبر القرامطة فرقة من فرق الامامية بحال .

والشاطبي عندما يعدد فرق الشيعة الفلاة يذكر الاسماعيلية ثم يقول انهم هم الباطنية والقرمطية والخرمية والسيحية (٤) . الخ فهو بذلك يعتبر ان فرقة الاسماعيلية لها اسماء متعددة من ضمنها القرمطية فالاسماعيلية والقرمطية عند الشاطبي اسمان لفرقة واحدة اما الايجي في كتابه المواقف فقد اعتبر القرامطة اصلا للاسماعيلية حيث يقول : ان الاسماعيلية طائفة من المجوس راموا عند شوكرمة

(١) فضائح الباطنية (ص ١١) .

(٢) مقالات الاسلاميين (ص ١٠٠) .

(٣) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع (ص ٨ - ٢٠) .

(٤) الاعتصام للشاطبي (٢ : ٢١٩) .

الاسلام تأويل الشرائع . . . ثم يقول ورأسهم حمدان قرمط^(١) ، ويرى نظام الملك الطوسي خلاف ذلك تماما حيث يعتبر ان الاسماعيلية اصل (مثلة في عبد الله بن ميمون) وان القرامطة فرع (مثلة في غلام محمد بن اسماعيل ويدعى المبارك) ولذا يقول : وكان لمحمد بن اسماعيل غلام يسمى مبارك يكتب خطا دقيقا يقال له المقرمط . ولهذا لقب بقرمطويه حتى صار يعرف به وكان لمبارك هذا صديق من الاهواز يدعى عبد الله ابن ميمون القداح فاختلفا به يوما وقال له : يا مبارك كان مولاك محمد بن اسماعيل خليلي وقد اودعني اسراره فانخدع مبارك وحرض على معرفته تلك الاسرار فاقسمه عبد الله بن ميمون الا تبوح بشئ مما اقول الا لمن هو اهل له . ثم حدثه باحاديث مستعجمة على لسان الائمة . . . الخ^(٢)

وبعض مصادر الشيعة تعتبر القرامطة فرقة من المباركية وعلى رأس هؤلاء سعد القمي الذي يقول : وتشعبت بعد ذلك فرقة من المباركية من قال بامامة محمد بن اسماعيل تسمى القرامطة . . . ثم يضيف قائلا وكانوا في الاصل على مقالة المباركية ثم خالفوهم^(٣) .

وحيث ان كتاب الفرق اعتبروا المباركية فرقة اخرى غير القرامطة فلا يصح ان نعتبر القرامطة فرع من المباركية ومن هؤلاء الذين اعتبروا المباركية طائفة وحدها والقرامطة كذلك الشهرستاني^(٤) وابو الحسن الاشعري^(٥) والبغدادي^(٦) والحميري^(٧) . ولذا يقول لويس : ان

(١) المواقف للايجي نقلا من تعليقات محمد رشيد رضا على الاعتصام للشاطبي (٢: ٢١٢-٢١٣) ، ووهم الاستاذ عليان حينما نقل هذا الكلام ونسبه الى الشاطبي . انظر قرامطة العراق (ص ٤٦) ، وهو للايجي كما اثبتنا .

(٢) سياسة نامه للوزير نظام الملك الطوسي (ص ٢٥٨) .

(٣) كتاب المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمي (ص ٨٣) .

(٤) الملل والنحل (١: ١٦٨) .

(٥) مقالات الاسلاميين (١: ١٠١) .

(٦) الفرق بين الفرق (ص ٤٧) .

(٧) الحور العين للحميري (ص ١٦٢) .

لاعتقد بوجوب رفض هذا الزعم الذى يرى المبارك وقومطويه شخصا واحدا
للبيئات والدلائل القديمة الموثوق بها التى تنافيه ^(١) .

كما ان هناك من يربط بين القرامطة وبين الخرمية ويظهر ذلك
من قول صاحب المعين والحدائق : انه لم يكن فى الاسلام حادث اضر
بالاسلام والمسلمين من ظهور بابك الخرمى بتلك المقالة التى تفرع منها
القرامطة والباطنية الى اليوم ^(٢) .

وقد اشرنا سابقا الى ان الخرمية حركة قائمة بذاتها وتختلف كثيرا
من حركة القرامطة . وحينما ننظر الى الفترة التاريخية لهاتين الحركتين
نجد ان بينهما وقتا ليس بالقصير . فالخرمية ظهرت فى وقت متقدم بينما
تأخر ظهور القرامطة الى اواخر القرن الثالث .

بقى من هذه الراء ما اعتبره بعض الكتاب المعاصرين وبمـ
المستشرقين من ان حركة القرامطة تطور مباشر للكيسانية ^(٣) . ويقول
النشار فى ذلك انهم (اى القرامطة) بقوا دائما حنفية كيسانية الا فى
انات تحولوا فيها ظاهريا للمذهب الاسماعيلى او استخدموه ثم عادوا الى
الحنفية او الكيسانية ^(٤) .

اما كازانوف فيقول : يظهر ان عددا صغيرا من المتحسين ظل
متمسكا بالامامة الحنفية ثم انتهت بما يسمى بالقومطية ^(٥) .

كما يرى ان الوفاق قد تم بين الاسماعيلية وانصار محمد بن الحنفية

(١) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١١٤) .

(٢) المعين والحدائق لمجهول (١١٢ : ٤) .

(٣) احدى الطوائف الشيعية التى كانت تنادى بالامامة محمد بن الحنفية
وبانائه من بعده واطلق عليها هذا الاسم نسبة الى احد زعماء
الفرقة الذى يدعى كيسان .

(٤) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام (٢ : ٤٨٤) .

(٥) مقدمة اصول الاسماعيلية للدكتور عبد العزيز الدورى (ص ١٩) .

(١) في شخص القرامطة بسبب الرغبة الملحة في القضاء على الحباسيين .
 واصحاب هذا الرأي استندوا على كتاب ذكره كل من الطبرى وابن
 سنان في تاريخهما وحكياه عن القرامطة .^(٢)

(١) قرامطة العراق لعليان (ص ٤٢) .
 (٢) نص هذا الكتاب كما ذكره الطبرى وابن سنان " وكان فيما حكوا عن
 هؤلاء القرامطة من مذهبهم ان جاءوا بكتاب فيه : بسم الله الرحمن
 الرحيم يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة داعية
 الى المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو احمد بن
 محمد بن الحنفية وهو جبريل وذكر ان المسيح تصور له في جسيم
 انسان وقال له انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة
 وانك روح القدس وانك يحيى بن زكريا وعرفه ان الصلاة اربع
 ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها وان الاذان
 في كل صلاة ان يقول الله اكبر اربع مرات اشهد ان لا اله الا الله
 مرتين اشهد ان آدم رسول الله اشهد ان نوحا رسول الله
 اشهد ان ابراهيم رسول الله اشهد ان موسى رسول الله
 واشهد ان عيسى رسول الله واشهد ان محمدا رسول الله
 واشهد ان احمد بن محمد بن الحنفية رسول الله وان يقرأ في
 كل ركعة الاستفتاح وهي في المنزل على احمد بن محمد بن
 الحنفية والقبلة الى بيت المقدس والحج الى بيت المقدس ويوم
 الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء والسورة الحمد لله بكلماته
 وتعالى باسمه المتخذ لا ولياءه باولياءه قل ان الالهة مواقيت
 للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام
 وباطنها ولياى الذين عرفوا عبادى سبيلى لتقون يا اولى الالباب
 وانا الذى لا اسأل عما افعل وانا العظيم الحكيم وانا الذى ابلو
 عبادى وامتحان خلقى فمن صبر على بلائى ونعمتى واختبارى القيته
 في جنتى واخلدته في نعمتى ومن زال عن امرى وكذب رسلنى
 اخلدته مهانا في عذابى واتمت اجلى واظهرت امرى على السنة
 رسلى وانا الذى لم يصل على جبار الا وضعت ولا عزيز الا اذلته
 وليس الذى اصر على امره وداوم على جهالته وقالوا لن نرجع عليه
 عاكفين وبه مؤمنين اولئك هم الكافرون ثم يركع ويقول في ركوعه
 سبحان ربى رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون يقولها مرتين
 فاذا سجد قال اللهم اعلى مرتين اللهم اعظم مرتين ومن شراعه =

كما انه من المحتمل انهم استندوا الى ما اورده القاضي عبد الجبار عن ابي سعيد الجنابي من قوله : انه رسول الامين الامام حجة الله على خلقه وهو محمد بن عبدالله بن محمد بن الحنفية وهو مقيم في بعض هذه الجبال وهو المهدي وانه في سنة ثلاثمائة للهجرة يخرج ويملك الارض كلها ^(١).

والرد على هذا واضح جدا حيث ان عبدالله بن محمد بن الحنفية المعروف بابي هاشم مات دون عقب فليس هناك وجود لمن يسمى بمحمد بن عبدالله بن محمد بن الحنفية ^(٢).

اما الاستناد الى ما جاء في الكتاب الذي ذكره الطبري وابن سنل فضعيف وقد ابدى الاستاذ عليان ^(٣) بعض الملاحظات الجيدة حول هذا الكتاب وهي :

- (١) اشير فيه الى ان القرامطة كانوا ينادون بامامة احمد بن محمد بن الحنفية مع ان الثابت ان القرامطة كانوا ممن استجابوا للحسين الا هوazy الذي اتفق المؤرخون على انه كان داعيا اسماعيليا ^(٤) ، وظلوا على وفائهم للامام الاسماعيلى حتى آخر عهدهم بالعراق ^(٥) .
- (٢) نص على ان الصلاة المفروضة هي صلاتان فقط وان الخمر حلال . . .

= ان الصوم يومان في السنة يوم المهرجان والنوروز وان النبيذ حرام والخمر حلال ولا غسل من جنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة وان من حاربه وجب قتله ومن لم يحاربه ممن خالفه اخذت منه الجزية ولا يؤكل كل ذي ناب ولا كل ذي مخلب . تاريخ الامم للطبري (٨ : ١٦١-١٦٢) ، تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ١١-١٢) الا انه ذكر التكبيرات ثلاثا ولم يذكر الحج .

- (١) تثبت دلائل النبوة للهمداني (١ : ٣٧٩) .
- (٢) الكيسانية في التاريخ والادب لوداد القاضي (ص ٢٩٩) .
- (٣) قرامطة العراق لعليان (ص ٤٣ - ٤٤) .
- (٤) نهاية الارب للنويري (٢٣ : ورقة ٥٦-٥٧) .
- (٥) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٩٤) .

والمعروف ان اولئك الذين استجابوا للداعي الهوازي وعرفوا فيما بعد باسم القرامطة كانوا ممن اعجبوا بتقواه وورعه وكثرة تصبده الذي وصل الى حد اقامة خمسين صلاة في اليوم والليلة (١) . ولو صح انهم كانوا يؤمنون بما جاء في الكتاب المذكور لما استحسّنوا ذلك العمل من الهوازي ناهيك عن الاعجاب به .

(٣) من المحتمل ان يكون هذا الكتاب من وضع زكرويه بن مهروييه وابنائهم بعد ان اصطدموا بزعيم الاسماعيليه في مسلمية سنة ٢٩١ (٢) ولما كان زكرويه وابناؤه فشلوا في انتسابهم الى محمد بن اسماعيل فانهم حاولوا بضرب الدعوة الاسماعيلية والعباسيين معا وكانت وسيلتهم الدعوة لاحمد بن الحنفية لهدحضا بها دعوة الاسماعيليه الحسينيين وكذلك ليتخذوا منها سلاحا يشهرونه في وجه العباسيين واختاروا احمد بالذات دون اخيه ابي هاشم بن محمد بن الحنفية لان الاخير كان قد تنازل عن حقه في الخلافة للعباسيين . وما يؤيد ذلك ان الفرج بن عثمان الذي ورد الكتاب على لسانه - هو نفسه زكرويه بن مهروييه كما ذكر ذلك ابن خلدون (٣) .

واضافة الى ما ذكره عليان فان من المعروف عن الحركة القرمطية انها استوعبت عناصر دينية متباينة ومجموعة ائمة اسماعيلية وكيسانية وان بعض العقائد المنسوبة الى هؤلاء الائمة تتصل بالكيسانية والاسماعيليه وقد احتفظ بها بعض الاتباع الذين دخلوا في الدعوة القرمطية (٤) . وليس من المستبعد ان فريقا من الكيسانية وجد في حركه

(١) تاريخ الام للطبري (٨ : ١٦٠) .

(٢) مجلة كلية الاداب - استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٦-٩٧) .

(٣) الصبر لا بن خلدون (٤ : ١٨١) .

(٤) مقدمة اصول الاسماعيليه للدكتور عبد العزيز الدوري (ص ٢١) .

القرامطة الوسيلة التي طال بحثهم عنها لاجل قلب الخلافة العباسية وذلك بعد مرور ما يزيد على قرن ونصف وهم ينتظرون رجعة محمد بسن الحنفية حتى يمضوا من حدوث تلك الرجعة فما كان منهم الا ان تحولوا الى اراء القرامطة لا سيما انه كان بين القرامطة انشقاقات داخلية حيث وجد الكيسانية لهم مكانا بينهم وقد بقى في اذهانهم بعض عقائدهم الاولى ومنها القول بامامة احد افراد بيت ابن الحنفية ^(١) . وما تقدم يتضح خطأ ما ذهب اليه كل من كازانوف والنشار من ان القرامطة كانوا كيسانية وانهم اعتنقوا مبدأ الكيسانية الحنفية ولم يتحولوا عنه الا في بعض الفترات ظاهريا .

وبعد عرض الراء مجلة ندخل الموضوع بشئ من التفصيل على غرار ما كتبنا عن القرامطة تاريخيا حيث ابدأ الحديث من قرامطة العراق ومدى صلتهم واختلافهم مع زعماء الاسماعيلية منتقلا بعد ذلك الى قرامطة الشام ثم قرامطة البحرين واخيرا قرامطة اليمن .

(١) انظر بحث الكيسانية في التاريخ والادب لوداد القاضي (ص ٢٩٧-٢٩٨) .

(١) قرامطة العراق :

مما لا خلاف فيه ان نشأة القرامطة في العراق وظهرهم كحركة قائمة لها كيان لموس اقترن بمجهود احد دعاة الاسماعيلية ويدعى بالحسين الهوازي حيث وفد الى سواد الكوفة سنة ٢٦٤ هـ وقابل حمدان قرمط ولقنه اصول الدعوة الاسماعيلية ومن خلال هذه المقابلة اخذ عليه العهد للامام الاسماعيلى (١) .

وذكر الطبرى عن الحسين الهوازي انه قبض عليه من قبل احد الولاة للعباسيين ولكنه تمكن من الفرار والهروب الى بلاد الشام (٢) . وقد استخلف على الدعوة وامورها في سواد الكوفة تلميذه حمدان قرمط وعلى يده انتشرت تلك الحركة المشهورة التي ظلت لا تعرف الا باسمه . ظل حمدان ومعه حمدان على صلة تامة بزعما الاسماعيلية ففى مسلمية يتلقون تعاليمهم ويدعون لهم بالطاعة والولاة وحيث ان هذه الحقيقة ماثرة خلاف بين المؤرخين والكتاب فلا بد من التدايل على تلك الصلة المستمرة بين قرامطة العراق وزعما الاسماعيلية والادلة التي تثبت ذلك كثيرة منها :

(١) ان الداعي الاسماعيلى حسين الهوازي لما حضرته الوفاة

(١) هذه البداية لحركة القرامطة ذكرها جمع من المؤرخين والعلماء وسيأتى البحث فيها في الباب الثانى وفيه قصة اللقاء بين حمدان قرمط والداعي الاسماعيلى نقلا من اتعاظ الحنفى للمقرئى (١) : (١٥٢-١٥١) ، وقد ذكرها ايضا النويزى في نهاية الارب (٢٣) : ورقة (٥٦) اما باقى المؤرخين فذكروها لكنهم لم يصرحوا باسم الحسين الهوازي مكتفين بقولهم قدم رجل من هوزستان الى سواد الكوفة ومن هؤلاء الطبرى في تاريخه (٨ : ١٥٩-١٦٠) وابن الاثير في الكامل (٦ : ٦٩-٧٠) ، وابن الجوزى في تبيين ابليس (ص ١٠٤) ، والغزالي في فضائح الباطنية (ص ١٢) وقالوا عن الهوازي انه احد دعاة الباطنية .

(٢) انظر تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٦٠) .

١- حسب ما نقله النويري ^(١) - أو هرب الى الشام - حسب رواية الطبري ^(٢) - عين حمدان قرمط خلفا له في مواصلة الدعوة وذلك دليل على ثقته به واخلاصه للمذهب الاسماعيلى .

(٢) ان زعماء الاسماعيلية كانوا يتدخلون تدخلا مباشرا في اختيار الرؤساء لحركة القرامطة في العراق ^(٤) .

(٣) المساعدات المالية التي كان يتلقاها القرامطة في سواد الكوفة من زعماء الاسماعيلية في سلمية فعبد الله بن ميمون ارسل الى القرامطة جزءا من الهبة المالية الكبيرة التي حصل عليها من محمد بن الحسين (دندان) للاتفاق على الدعوة هناك .

(٤) ان زعماء الاسماعيلية اعتبروا الحركة القرمطية نشأت تحت ظل ائمتهم فنجد ان زعيم الاسماعيلية يأمر احد اتباعه بالاقامة في بلدة الطالقان ليكون اقرب للاتصال بحمدان قرمط المقيم في گلوانى ^(٥) .

ولذا فان كتابات حمدان قرمط الى زعماء الاسماعيلية انما كانت ترد عن طريق هذا الرجل المقيم في الطالقان حتى انه لم انقطعت المكاتبة بين حمدان والامام الاسماعيلى شخص هذا الرجل يسأل عن سبب ذلك واخذ يعاتب الدعاة في قطع رسالتهم ^(٦) .

(٥) كان شعار الدعوة الاسماعيلية مخالفا - بطبيعة الحال - للشعار العباسى اللون الاسود فمنذ الفترات الاولى للدعوة الاسماعيلية

(١) نهاية الارب (٢٣ : ٥٧) .

(٢) تاريخ الامم (٨ : ١٦٠) .

(٣) انظر نهاية الارب للنويري (٢٣ : ورقة ٥٦) ، اتعاط الحنفيا

للمقرئى (١ : ١٥٥) .

(٤) استتار الامام للنيسابورى من مجلة كلية الاداب (ص ٩٥ - ٩٦) .

(٥) الفهرست لابن النديم (١ : ١٨٩) ، كتاب الحاكم بامر الله (ص ٩٩) .

(٦) اتعاط الحنفيا للمقرئى (١ : ١٦٧ - ١٦٨) .

(١) اتخذ عبدالله بن ميمون اللون الابيض شعاراً للدعوة الاسماعيلية.

وفي آخر ثورة لقرامطة العراق سنة ٣١٦ هـ ذكر ابن الاثير ان
قوادهم كانوا يحملون اعلاماً بيضاء وانهم كانوا يدعون للمهدي (٢).

وهذا ما يؤكد بقاء الصلة والاستمرار بين ائمة الاسماعيلية وقرامطة
العراق حيث التمسك بالشعار الاسماعيلي والدعوة للائمة .

ولحسن هذه الصلة بين قرامطة العراق والاسماعيلية فقد اشكل
على كثير من المؤرخين والكتاب ما اورده كل من النويري والمقريزي من
ارتداد القرامطة عن الدعوة الاسماعيلية وقطعهم لها نهائياً من العراق .
وحيث انه لم ينقل لنا عن خلاف وقع بين هذين الفرعين سوى هذه
الرواية فسوف انقلها ثم ناقشها مع العرض لتفسيرات الباحثين حول ذلك .

يقول النويري : ان حمدان قرط كان يكاتب من بسمية فلما توفى
من كان في وقته وجلس ابنه من بعده كتب الى حمدان كتاباً فلم
ورد الكتاب قرأه وانكر ما فيه وتبين ان ما فيه من الفاظ قد تغيرت عليه
فاستراب وفطن ان حادثة حدثت فانفذ حمدان قرط داعيته حمدان على
عجل ليتعرف على واقع الامر وكشف سر هذا التفسير المفاجئ فسار
عبدان ولما وصل عرف بموت الطاغية الذي كانوا يكاثرونه وهنا اجتمع بابنه
وسأله عن الحجة وعن الامام بعده الذي يدعو اليه فقال الابن ومن
الامام ؟ قال عبدان : محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان
الذي كان ابوك يدعو اليه وكان حجة فانكر ذلك عليه وقال محمد بن
اسماعيل لا اصل له ولا يكون الامام غير ابي وهو من ولد ميمون بن ديسان
وانا اقوم مقامه (٣) .

ويذكر المقريزي مضمون هذه الرواية ويضيف على ما ذكره النويري

(١) كتاب عبيد الله المهدي لحسن ابراهيم وطه شرف (ص ٥٩) .

(٢) الكامل لابن الاثير (١٩٤ : ٦) .

(٣) نهاية الارب للنويري (٢٣ : ورقة ٧٠-٧١) .

ان حمدان قرط لما عرف الخبر عن طريق عبدان جمع الدعاة وامرهم
بقطع الدعوة هنقا من قول صاحب سلمية : لاحق لمحمد بن اسماعيل
في هذا الامر ولا امامة .

وكان قرط انما يدعو الى امامة محمد بن اسماعيل فلما قطعوهما
من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم لانها امتدت في سائر
الاقطار . ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين كانوا بسلمية .

ثم يضيف المقرئ قائل ان عبدان عرف الرجل الذي كان يقيم في
الطالقان بقطع الدعوة عن ائمة الاسماعيلية وانهم (اي القرامطة) لن
يعودوا فيها وانه (اي عبدان) تاب من هذه الدعوة حقيقة ^(١) .

تعددت آراء الكتاب والباحثين حول التفسير لهذا الانفصال
الذي حدث بين قرامطة العراق وزعماء الاسماعيلية حتى ان بعض الكتاب
ذكر اكثر من رأى ففي كتاب عبيد الله المهدي لحسن ابراهيم حسن وطه
شرف تفسيرات عدة وهي :

(١) ان الامام المستور لم يكن معروفا لدى القرامطة وان الذي يعرفونه
ويتراسلون معه انما هو الحجة الذي يقر في مكاتبات مع القرامطة
انه نائب عن الامام فلما اعلن عبيد الله المهدي امامته وخرج من
دور الاستتار الى الظهور كان مفاجأة للقرامطة فقطعوا الدعوة ^(٢)
واختلفوا مع الاسماعيليين .

وهذا التفسير غير صحيح لانه يتعارض مع الرواية التي ذكرها لنا
المقرئ والنويري ومؤداهما : ان حمدان قرط كان يعرف الامام الاسماعيلي
ويكاتبه ويعرف اسلوبه من خلال كتاباته ولا ادل على ذلك من انه لما
مات هذا الامام وخلفه ابنه وكتب الى حمدان انكر منه اشياء وبعث احد
دعائه ليعرف الخبر ولما ذهب عبدان عرف موت الذي كانوا يكاتبونه ^(٣) .

(١) اتعاظ الحنفا للمقرئ (١ : ١٦٨) .

(٢) انظر كتاب عبيد الله المهدي لحسن ابراهيم وطه شرف (ص ٨٥) .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقرئ (١ : ١٦٧) .

(٢) ان قرامطة العراق وعلى رأسهم حمدان كانوا من الكيسانية اعتنقوا المبدأ الاسماعيلى فترة من الوقت لكنهم فى الاخير رجعوا الى عقيدتهم الاولى (الكيسانية) منتهزين فرصة انتقال الامامة من شخص لاخر وفى النهاية انتقضوا على الدعوة الاسماعيليه .^(١)

ومن يذهب ايضا الى هذا الرأى النشار حيث ذكر عن حمدان وعبدان واتباعهما انهم تخلوا عن الدعوة الاسماعيليه وكانوا الى الكيسانية.^(٢) ويقرب من هذا الرأى ما ذكره الدورى من ان انفصال حمدان واتباعه عن الدعوة الاسماعيليه راجع الى التباين والاختلاف بالمبادئ ، فالقرامطة كانوا ينتظرون عودة محمد بن اسماعيل وان هذه الدعوة تعتبر تصهيدا لرجوعه فعندهم انه لا معنى للامام المستور .^(٣)

والحقيقة ان القرامطة حينما انفصلوا عن الاسماعيليه لم يرفعوا مبادئ فكرية مغايرة للدعوة الاسماعيليه والمصادر التى بين ايدينا لا تشير الى اى شىء من ذلك .

هذا وسبق ان بينت خطأ من يقول بان القرامطة كانوا كيسانية وانهم رجعوا اليها ودعت ذلك بالادلة فيما مضى من البحث .
(٣) ان عبيد الله المهدي لم يكن اماما وانما هو من القداحين الذين يعتبرون حجة للامام ولذا لما اعلنت امامته ثار القرامطة وعلى رأسهم حمدان وعز عليهم ان يروا على عرش الامامة اماما لا يمت الى العلويين بنسب كما انهم فوجئوا بهذا الانتساب لمعرفتهم بان عبيد الله من نسل ميمون القداح .^(٤)

-
- (١) انظر كتاب عبيد الله المهدي لحسن ابراهيم (ص ٩٤) .
(٢) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام (٢ : ٤٦١) .
(٣) انظر دراسات فى العصور العباسية المتأخرة لعبيد المعزى الدورى (ص ١٦٢) .
(٤) انظر كتاب عبيد الله المهدي لحسن ابراهيم وله شرف (ص ٩٣) .

ومن التفاسير الاخرى ان بعض الكتاب المحاصرين يرى ان المعضلة الرئيسية التي حطت في طياتها بذور الفرقة بين الاسماعيليين والقرامطة هي مرحلة التستر عينها ، التي حالت دون استمرار التماس بين الفئتين واطلاعهما على الاهداف العليا . فلقد كان الامام الاسماعيلي محاطا بالسرية التامة ومعزل الا عن المقربين المخلصين له . . . ثم يضيف صاحب هذا القول بانه لم يتسن لجميع الاتباع ان يقفوا على اخبار امامهم ولا محل اقامته . . . هذا في دور الستروما ان انتهى هذا الدور ، وتناهى للقرامطة ان الامام هو عبيد الله المهدي حتى التمس عليهم الامر لانهم لا يزالون يدينون بالطاعة والولاء لمحمد بن اسماعيل (١) .

ولكن يؤخذ على هذا التفسير انه اعتبر زعما القرامطة من الاشخاص المبعدين عن الائمة واخبارهم بينما يعتبر من امثال حمدان قرمط وحمدان من المخلصين للدعوة والمقربين من ائمة الاسماعيلية . كما ان هذا التفسير لا يتلاءم وقرامطة العراق وانما ينطبق على قرامطة الشام وما حصل بينهم وبين الامام عبيد الله المهدي من خلافات وانشقاقات .

ويقرب من هذا التفسير ما رآه بندلي جوزي بقوله : ويظهر لى ان زعما القرامطة لم يكونوا مطلقين على اغراض رؤسا الحركة السريية اما لانهم لم يبلغوا الدرجة الاخيرة من التكريس ، او لانه لم يكن يسمح لهم بالوصول اليها ان لم يكن يصل اليها الا القليلون (٢) .

ويرى اسماعيلي آخران حمدان كان ثوريا فنيفا لا يستطيع الصبر على الضيم ولا يستكين الى الظلم ولهذا فان اجتهاداته واختبارات قادته الى ركوب مراكب الاخطار باعلانه الثورة المبكرة على الخلافة العباسية دون الرجوع الى مركز الائمة في سلمية وهي التي توصي بالترسيـث

(١) انظر اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٥٨ - ٥٩) .

(٢) تاريخ الحركات الفكرية لبندلي جوزي (ص ١٦٠) .

وتكرهس الجهود . . . ثم يضيف قائلاً ان سلمية لم تكن راضية عن هذا الاجراء الذى فعله حمدان ولم تبارك تلك الخطوة (١).

وهذا التفسير فيه قلب للحقيقة والواقع فبينما المصادر تذكر هذا الخلاف وتمزوه الى زعماء الاسماعيلية وما احدثوه من تهديل وتغيير فى الامامة (٢) نجد صاحب هذا الرأى يصرفه عن مصدره واساسه مدعيًا ان القرامطة وعلى رأسهم حمدان هم الذين احدثوا هذا الخلاف اذن فهذا التفسير لا يستحق مناقشة اكثر مما ذكرت .

وبعد سرد هذه التفسيرات ورد ما لا يتلاءم مع الادلة والاحداث نجد ان من اقرب التفسيرات لهذا الانفصال هو التفسير الثالث ومؤداه : ان عبيد الله المهدي لم يكن اماماً وانما هو من القداحين فثورة القرامطة واختلافهم مع زعماء سلمية ام يحصل الابداع اعلان عبيد الله اماماً فكان هذا الاعلان مفاجأة لهم باعتبار ان عبيد الله المهدي لا يمت الى العلويين بنسب وترجيحنا لهذا التفسير يدفعنا الى ذكر الادلة التى تنفى انتساب عبيد الله المهدي ونسبه الى آل البيت، ومن اقدم الروايات من نسب عبيد الله رواية ابن عبد الله محمد بن علي بن رزام الكوفي ونقل هذه الرواية ابن التديم فى كتابه الفهرست فهو يقول - بعد الحديث عن انتشار الدعوة لاسماعيليين وتنقل رئاستها من شخص لاخر - ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون وكان الحسين مات فى حياة ابيه وممن قبل سعيد انتشرت الدعوة فى بنى العليص الكلبين ولم يزل عبد الله وولده بعد خروجهم من البصرة يدعون انهم من ولد فقيل وكانوا قد احكموا النسب بالبصرة فمن ولد عبد الله انتشرت الدعوة ففى

(١) القرامطة لعارف تامر (ص ١٢٠-١٢١) .

(٢) انظر نهائية الاربللنويرى (٢٣ : ورقة ٧٠-٧١) ، اتماظ الحنفا

للمقرىزى (١ : ١٦٧-١٦٨) .

الارض . . . ثم يضيف قائلاً ان سعيد خرج الى مصر فادعى انه علوى فاطمى وتسمى بعبيد الله . . . ولكنه لما نظر الى ان ما ادعاه من النسب لا يقبل منه اظهر غلاما حدثا وزعم انه من ولد محمد بن اسماعيل وهو القيم بالامر بعد عبيد الله ^(١) .

كما ينقل لنا المقرئ دليلاً آخر ويعزوه الى علوى هاشمى فى القرن الرابع ويدعى بالشريف العابد المعروف باخى محسن ومؤدى هذه الرواية ان القوم (اى العبيدين) من ولد ديسان الثنوى وان ديسان ولد له ابن اسمه ميمون القداح وانه ولد لميمون ابن واسمه عبد الله وهذا اذا الابن ادعى انه ولد عقيل بن ابي طالب واخذ يدعى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وولد لعبد الله ابن يسمى احمد وولد لاحمد ولدان هما الحسين ومحمد ثم هلك احمد فخلفه ابنه الحسين فى الدعوة فلما هلك الحسين خلفه اخوه احمد وكان للحسين ابن اسمه سعيد فبقيت له الدعوة حتى كبر ولما تولى الامامة هرب الى المغرب سرا وصار صاحب الامر فيها وتسمى بعبيد الله وتكنى بابى محمد وتلقب بالمهدى وصار اما علوى من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق قال : (اى الشريف اخو محسن) فعبيد الله - الملقب بالمهدى - هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديسان الثنوى الاهوازى واصلهم من المجوس ^(٢) .

اما القاضى ابي بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ فيقول : ان القداح جد عبيد الله كان مجوسيا وان عبيد الله دخل المغرب وادعى انه علوى ولم يعرفه احد من علماء النسب وكان باطنياً خبيثاً . . . الخ ^(٣) ويقول ابن حزم بعد ذكره لادعاء عبيد الله المهدى : وكل

(١) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٨ - ٢٣٩) .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا للمقرئ (١ : ٢٢٠ - ٢٨) .

(٣) كتاب الحاكم بامر الله (ص ٥١) .

هذه دعوى مفتضحة لان محمد بن اسماعيل ابن جعفر لم يكن له قط ولد يسمى الحسين وهذا كذب فاحش ولان مثل هذا النسب لا يخفى على من له اقل علم بالنسب ولا يجهل اهله الا جاهل .^(١)

ويقول البيروني في كتابه الاثار الباقية " فلا يحتاج في تصحيحه (اي النسب) الى بذل الاموال والجمل كما بذلها عبيد الله بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القداح لنقباة العلوية لما كذبوا اعتزاه اليهم ايام خروجه بالمغرب حتى ارضاهم واسكتهم .^(٢)

اما ابن خلكان فيذكر الاختلاف في نسبه ويرجح القول بانكسار نسبة عبيد الله الى آل البيت حيث يقول : (ان اهل العلم بالانساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب)^(٣) .

اما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول عن الحميديين ان اهل العلم بالانساب اتفقوا على براءتهم من نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان نسبهم متصل بالمجوس واليهود .^(٤)

وفي موضع آخر ذكر ان اهل العلم بالانساب وجمهورهم يعلمون انه ليس لبني عبد الله بن ميمون نسب صحيح . وقد شهد بذلك طوائف اهل العلم من اهل الفقه والحدیث والكلام والانساب . وثبت في ذلك محاضر شرعية . وهذا مذكور في كتب عظيمة من كتب المسلمين بل ذلك ما تواتر عند اهل العلم .^(٥)

اما ادلة المؤيد بن فيقول عنان عنها في كتابه الحاكم بامر الله : ان ما يلفت النظر في الكتابات الاسماعيلية لوضاحتها من ذكر نسب

(١) جمهرة انساب العرب لابن حزم (ص ٦١) .

(٢) الاثار الباقية (ص ٣٩) ، نقلا من وفيات الاعيان (٣ : ١١٧) .

(٣) وفيات الاعيان (٣ : ١١٧ - ١١٨) .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨ : ٤٨٣) .

(٥) المرجع السابق (٣١ : ٩٤) .

(١) الفاطميين فيما خلا روايتين وردتا عرضا وفيما خلا هاتين الروايتين الموجزتين فان معظم الروايات الاسماعيليه المفصلة عن نسبة الخلفاء الفاطميين ترجع الى عصور متأخرة كرواية الخطاب المتوفى سنة ٥٣٣هـ ورواية عماد الدين ابريس المتوفى سنة ٨٧٢هـ ورواية الحسن بن نوح المتوفى سنة ٩٣٩هـ، كما ان هذه الروايات صدر معظمها من دعاة الاسماعيليه في الهند وفارس واليمن ولم تصدر بمصر موطن الخلفاء الفاطميين انفسهم اية رواية تؤيد نسبهم .

(٢) وان اول ما يلاحظ على الخلفاء الفاطميين انهم لم يذكرهم نسبته مفصلة في اية مناسبة من المناسبات الرسمية وحينما سأل المعز عن نسبه قال لمن سأله من الاشراف سنمقد مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم وقال : هل يبق من رؤسائكم احد فقالوا : لم يبق معتبر فسل عند ذلك نصف سيفه وقال : هذا نسبي ونشر عليهم ذهبها وقال : هذا حسبي .

ويقول عنان في كتابه الحاكم بامر الله : وما له مفرى عميق في ذلك ان القاضي النعمان صديق المعز وداعيته الاكبر لم يذكر لنا في اى كتاب من كتبه العديدة شيئا عن نسبة الخلفاء الفاطميين فهو يلزم الصمت ازا نسبة عبيد الله وابنائهم وآبائهم مع انه كان معاصرا لابن رزام الذى ينسب الفاطميين الى ميمون القداح ولا بن النديم صاحب الفهرست الذى ينقل روايته وقد كان بلاريب بمركزه وعلمه وصلته الوثيقة

(١) وهما رواية الداعي جعفر بن منصور اليمن عن نسبة المهدي وترجع هذه الرواية الى اوائل القرن الرابع والثانية رواية الداعي حميد الدين الكرمانى عن نسبة الحاكم بامر الله وترجع الى اوائل القرن الخامس .

(٢) انظر كتاب الحاكم بامر الله لمحمد عنان (ص ٧٣) .

(٣) وفيات الاعيان لابن خلكان (٨٢ : ٣) .

بأولى الامرا وثق من يستطيع ان يدفع هذا الطعن في نسب الخلفاء
 الفاطميين^(١) ولكنه لم يفعل ذلك وهذا مثار استغراب وتساؤل .
 وما قدمنا من الادلة يتضح ان عبيد الله المهدي دعي لا يت السى
 العلويين بنسب وهذا ما دفع بالقرامطة الى الانفصال عن الدعوة الاسماعيليه
 ورفضهم للامتثال بأوامر زعماء سلمية .
 ونصل بعد سرد هذه الآراء وترجيح الرأي الاخير بان قرامطية
 العراق حينما انفصلوا عن زعماء الاسماعيليه لم يرفعوا شعارات ومبادئ
 مغايرة لعقائد الاسماعيليه بل ان ما حصل بينهما حول الامامة فقط واحقيسة
 آل البيت بها من نسل محمد بن اسماعيل .

(١) الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان (ص ٧٣) .

(٢) قرامطة الشام :

ما لا شك فيه ان قرامطة الشام جزء لا يتجزأ من قرامطة العراق
وبجهودهم انتشرت الحركة في الشام على يد آل زكرويه الذين تربوا على
يد حمدان قرمط وعبدان الكاتب فمهرويه من اوائل من استجاب الى
حمدان (١) .

اما ابنه زكرويه فهو احد من تبع عبدان حيث نصبه داعيا على
اقليم نهرهدوما والاه واصبح زكرويه يبعث الدعاة من قبله (٢) .

واول خلاف حصل بين قرامطة العراق وقرامطة الشام بعد موت
حمدان قرمط وتولى عبدان لزعامة القرامطة حيث كانت لزكرويه اليد الطولى
في القضاء على عبدان وفي ذلك يقول المقرئ : ان زكرويه باطن على
قتل عبدان بمساعدة جماعة من قرابته وثقاته وبيتوه ليلا وقتلوه (٣) .

وبعد المؤامرة على قتل عبدان فر زكرويه بن مهرويه لان الدعاة
 واصحاب قرمط طلبوه ليقتلوه فاستتر ويقول المقرئ مشيرا الى نتائج هذه
المؤامرة : ان القوم كلهم خالفوه (اي زكرويه) الا اصل دعوتهم (٤) .

من هنا حصل الخلاف والفرقة بين قرامطة العراق وقرامطة الشام
فاصبح لزكرويه وابناؤه نشاط في الشام بعيد عن نشاط القرامطة
بالعراق ولكن هذا الخلاف لم يتوقف عند هذا الحد بل امتد الى زعامة
الاسماعيلية حيث قام الحسين بن زكرويه باحداث دامية مع مركز الدعوة
الاسماعيلية في سلمية فخرج على الامام الاسماعيلى وطارده وقضى على
اقربائه فنكل بهم اشد تنكيل قتل وتشريدا وسيأتى ذكر ذلك مفصلا فى
الباب الثانى (٥) .

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥٥) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق (١ : ١٦٨) .

(٤) المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٥) راجع هذه الاحداث عند ترجمة الحسين بن زكرويه بالباب الثانى .

ونستنتج من هذه الاحداث ان الخلاف بين قرامطة الشام وزعماء الاسماعيلية ظهر منذ انفصال اسرة آل زكرويه عن قرامطة العراق وان هذا الخلاف وصل نهايته حتى اصبح قرامطة الشام يعيشون بمعزل عن جميع الفئات سواء مركز الدعوة الاسماعيلية في سلمية او قرامطة العراق الذين اخذوا يطاردون زكرويه الى سنة ثمان وثمانين ومائتين ليقتلوه (١) ولكنه استتر عنهم .

او قرامطة البحرين الذين رفضوا التعاون مع حركة آل زكرويه في معاركهم ضد الدولة العباسية باعتبارهم خارجين على الامام الاسماعيلى يقول دى غويه ٣ ان قرامطة العراق وقرامطة البحرين رفضوا الاعتراف بكل ما ادعاه ابناء زكرويه (٢) .

ولا شك ان عدم تعاون هؤلاء معهم يعطى دليلا واضحا على ان قرامطة الشام لا يعترفون بامامة زعماء سلمية كما اعترف بها قرامطة العراق والبحرين ولذا نادوا على انفسهم بالامامة وانهم اصحاب الحق فيها وسيأتى بيان الادلة على ذلك (٣) .

ومن الواضح جدا لدى المتتبع لزعماء قرامطة الشام في كل ثورة قاموا بها انهم لم يرفعوا شعارات فكرية وعقائدية تميزهم عن غيرهم بل كانوا اصحاب شعوزة وتمويه وادعاءات كاذبة موهوا بها على السذج من بادية الشام الذين لا هدف لهم الا السلب والنهب . وهذا يتضح لنا طبيعة حركة قرامطة الشام وانها لا تعدو عن كونها حركة ثورية يتطلع قادتها الى الزعامة واتباعها الى كسب الاموال والمتاع بأسلوب السلب والنهب ويقول عارف تامر عنهم :

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٨) .

(٢) قرامطة العراق لعليان (ص ٨٥) .

(٣) راجع ترجمة الحسين بن زكرويه في الباب الثانى .

ان انصارها كانوا من قبائل البدو الذين لا توطئهم روابط اجتماعية
اوسياسية او تعاون وثيق في سبيل الهدف .^(١)

(١) القرامطة لعارف تامر (ص ١٣٧) .

(٣) قرامطة البحرين :

تعتبر حركة القرامطة في البحرين امتداداً للدعوة القرمطية في العراق بل جزءاً لا يتجزأ منها فاول من نشر الدعوة هناك تربي علي بن عبدان واخذ الدعوة عنه حتى صار داعية من كبار الدعاة في المذهب.^(١) يقول ابن حوقل - مشيراً الى بداية ابي سعيد الجنابي - انه تعلق بدعوة القرامطة من قبل عبدان الكاتب وانه عينه للدعوة في جنوب فارس ولكنه اضطر للهرب بسبب تتبع الشرطة له فكتب اليه حمدان بالشخص اليه ولما اجتمع به وعينه رأى منه نافذاً فيما يكلفه ورأى مآدار عليه ليس من قبله هو فانفذه الى البحرين وامره بالدعوة هناك وايده بوجه القوة من المال والكتب وغيرهما.^(٢)

ويقول عنه في موضع آخر : ان ابا سعيد يعتبر من اتباع حمدان وعبدان المخلصين.^(٣)

ويؤكد البغدادي ذلك بقوله : ثم ظهر بعد حمدان قوم في الدعوة الى البدعة ابو سعيد الجنابي الذي كان من المستجيبين لحمدان وتغلب على ناحية البحرين.^(٤)

اذن فدعوة القرامطة في البحرين ما هي الا شجرة من غرس قرامطة العراق وامتداد لحركتهم التي ظلت على صلة وثيقة بالائمة الاسماعيليين اما صلة قرامطة البحرين بالائمة العبيديين فاختلفت حسب زمامة افراد الحركة .

فالفترة الاولى - وتتمثل في حكم ابي سعيد الجنابي وابنائهم من بعده - ظل الائمة العبيديون يمدون القرامطة بالافكار والاراء والتعاليم

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ١٥٩ - ١٦٠) .

(٢) المسالك والممالك لابن حوقل (ص ٢١٠) .

(٣) المرجع السابق (ص ٢١١) .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٦٧) .

والارشادات ويشرفون على احوالهم وتنظيماتهم كما ان القرامطة بدورهم في هذه الفترة كانوا يخضعون للائمة الخضوع التام ويسلمون وفــــق تعاليمهم ويشيرون الى ذلك بقوله : ان فورة القرامطة كانت مــــن ثمار وحى الائمة وقد لبثت موالية لهم مدى حين .^(١)

اما الفترة الثانية وتبدأ بعد وفاة ابي طاهر سنة ٣٣٢ هـ حيث ساد التوتر وساءت العلاقة بين الائمة العبيديين والقرامطة حتى وصل الخلاف حدته في فترة الحسن الاعظم الذي فجورها حرباً دموية مع ائمة الدولة العبيدية في مصر ،

ودراسة هذه الفترة وتحليل احداثها هو الذي يهمننا في هذا الفصل اما الفترة الاولى فهي تعطى الصورة الواضحة للقرامطة وصلتهم بالائمة .

ومظاهر الخلاف بين قرامطة البحرين والائمة في فترة التوتر ظهرت متعددة ومختلفة ومن هذه المظاهر :

(١) حذف اسم الامام الاسماعيلى من الخطبة ويبدو هذا واضحاً فى الحرمين الشريفين فعينما اغار القرامطة على مكة سنة ٣١٧ هـ ، اصبحت الخطبة لعبيد الله المهدي بدلا من الخليفة العباسى وبقي ذكره طوال فترة بقاء آل طاهر وحينما بدأ التوتر وساءت العلاقة بين قرامطة البحرين والامام العبيدي حذف اسمه من الخطبة واصبح القرامطة يخطبون لانفسهم . يقول ابن الاثير حينما ذكر بعض احداث سنة ٣٥٩ هـ ان الخطبة بمكة كانت للمطيع لله العباسى وللقرامطة الهجريين^(٢) ، وهذا فى الحقيقة يعتبر مظهراً من المظاهر الاولى فى الخلاف بين الفرعــــين الاسماعيلى والقرمطى .

(١) الحاكم بامر الله لعنان (ص ٢٨٨) .

(٢) الكامل لابن الاثير (٨ : ١٤٧) .

(٢) تدرج الامر بالقرامطة الى نبذ اسم الامام الاسماعيلى كليفة

حيث حذفوا اسمه من جميع المساجد التى تحت سيطرتهم
فحينما دخل الحسن القرمطى الشام اقام الدعوة فى مساجدها
للخليفة العباسى وامر بحذف اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة^(١)
وذكر الحاكم فى الخطبة كان - ولا زال - يمثل الولاة والتبعية
ولذا فقد اعتبر الائمة تصرف الحسن هذا بمثابة الخروج عليهم
والتكر لتعاليمهم التى تنص على جعل الخطبة ابواقا لهم ما بين
ثناء عليهم ودعاء لهم فى الاعياد والجمع والمناسبات .

(٣) تظاهر القرامطة بالرجوع الى كثف الدولة العباسية والتباعد عن
الدولة العبيدية وكانت وسيلتهم فى اثبات ذلك بحض الهتافات
والشعارات التى يرفعونها فى المناسبات . يقول ابو المحاسن
ان القرمطى سار بجيشه الى الشام ومعه اعلام سود (شعار
العباسيين) واظهر ان الخليفة المطيع ولاءه وكتب على الاعلام
اسم المطيع عبد الكريم (الخليفة العباسى) وتحت مكتوب (السادة
الراجعون الى الحق)^(٢) .

كما يذكر المقرئى : ان القرامطة اقاموا الدعوة للمطيع لله
العباسى فى كل بلد فتحوه وسودوا اعلامهم ورجعوا عما كانوا
يمخرون به واظهروا انهم كامراة النواحي الذين من قبل
الخليفة العباسى^(٣) .

(٤) الدعاية الفكرية والاعلامية التى استخدمها القرامطة للحط من
قيمة الائمة فحينما دخل الحسن الاعصم دمشق لحن المعزز
الخليفة العبيدى - على منبر الجامع ولعن اياه وقال عنهم

(١) سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد سرور (ص ١٢٦) .

(٢) النجوم الزاهرة لابن المحاسن (٤ : ٧٤) .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٨٨) .

ان هؤلاء من ولد القداح وهم كذابون مخربون اعداء الاسلام

(١) ونحن اعلم بهم ومن عندنا خرج جدهم القداح .

(٥) واخيرا الحرب الدموية التي فجرها الحسن القومطي مع الائمة
المبيدين في اماكن متعددة شملت كلا من فلسطين والشام
ومصر وفي كثير من المعارك كانت الهزيمة تصاحب الجيش
المبيدي وفي النهاية وصل الحسن بجيوشه الجواراة اسوار القاهرة
واصبح يهدد المبيدين في عقرب اهرم .

يتحدث التويرى من مدى الاهتمام والخوف الذى أصاب المعز من جراء زحف القرامطة قائلا : ان جوهر (قائد الجيش) كتب الى المعز لدين الله . . . يخبره بما جرى على عسكره من القتال والحصار وان الحسن اخذ يقاتلهم على خندق عسكرهم وقد اشرف على اخذ مصر فقلق من ذلك قلقا شديدا وجمع من يقدر عليه وسار الى مصر وهو يظن انها تؤخذ قبل ان يصل اليها .^(١)

ان هذه المظاهر - التي تدل على وقوع الاختلاف وسوء العلاقة لا تعطى دليلا على نبذ القرامطة للدعوة الاسماعيلية حيث ان هذا الاختلاف وقع لفترة معينة وتحت زعامة شخص واحد فقط هو الحسن الاقصم . وان معرفة الاسباب الحقيقية لما وقع من احداث في هذه الفترة تعيننا على تفسير هذا الاختلاف وسوء العلاقة وتتلخص هذه الاسباب في امور ثلاثة :

(١) انقسام قرامطة البحرين الى فريقين : احدهما موال للائمة
 في مصر والمغرب وهذا الفريق يحظى بتأييدهم .
 والثاني مغالف لهم ويسمى الى الاستقلال الذاتي ومن الرجوع
 اليهم ولذا حاول الائمة مساعدة الفريق المالي لهم باذكار نار الحرب

(١) النجوم الزاهرة لابی المحاسن (٧٤ : ٤) •

(٢) نهاية الارب للنویری (٢٣: ٩٦) .

بين الفريقين والسعى لابعاد الفريق المخالف لهم لكن لم تنجح هذه المحاولات حيث تغلب هذا الفريق وحدث الخلاف . ويذكر ابن خلدون هذه الاحداث مشيرا الى دور الائمة العبيديين فيها يقول ان المعز ارسل الى ولد ابى طاهر وبنيه الذين ابعدوا الى جزيرة اوال يخبرهم باحقيتهم فى امارة القرامطة ولما علم الحسن بن احمد بذلك امر بحذف اسم المعز من الخطبة فى بلاد البحرين واقامة الدعوة للخليفة العباسى المطيع . بل يذكر ابن خلدون فى موضع آخر ان المعز كتب الى الحسن بالنفى والتوبيخ وهزله عن القرامطة وولى مكانه بنى ابى طاهر فخرجوا من اوال ونهبوا الاحساء فى غيبته^(١) .

فالقرامطة المناوون اعتبروا تصرفات المعز هذه اثارة للنزاع وتدخلا مباشرا فى شئونهم ونتج من ذلك حملة اعلامية على العبيديين تلاها حمل السيف عليهم ومقاتلتهم فى عقر دارهم .

(٢) ان القرامطة وعلى رأسهم الحسن الاقص سبقوا جيش العبيديين الى الشام وجرى صلح بينهم وبين حاكم الشام الحسن بن عبيد الله الاخشيدى ومن بنود الصلح دفع اتاوة للقرامطة تقدر بثلاثمائة الف دينار^(٢) .

ولكن الجيش العبيدى بقيادة جعفر بن فلاح تمكن من الاستيلاء على دمشق وابعاد الاخشيديين عن حكمها وطالب الحسن القرمطى بالاتاوة التى كان يدفعها الاخشيدى فرفض العبيديون اداها اليه فادى ذلك الى عداة سافريين الحسن القرمطى والعبيديين^(٣) . ومايدل على ذلك ايضا ما ذكره ابن خلدون من انه لما استولى جوهر على مصر وجعفر بن فلاح الكتانى على دمشق طالب الحسن

(١) العبر لابن خلدون (١٩٢ : ٤ - ١٩٣) .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١٨٦ : ١ - ١٨٧) .

(٣) سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد جمال الدين سرور (ص ٤٩) .

الاعصم بالضريبة التي كانت له على دمشق فمنعوه ونابذوه وكتب لــــه المعز من المغرب وأغلظ عليه ^(١) .

(٣) كان من سياسة العبيديين الاستيلاء على مصر والتثبيــــة ببلاد الشام وفي مثل هذه الحالة لابد وأن مطالع العبيديين اصطدمت بمطامع القرامطة الذين سبقوا العبيديين الى احتلال الشام .

ولذا لما ارسل المعز جيشه الى الشام بقيادة جعفر بن فلاح هب القرامطة والتحم جيشهم مع جيش العبيديين وبعد معركة شديدة انهزم العبيديون وقتل قائدهم جعفر .

وقد اعتبر المعز هذه المعركة من اسوأ ما فعله قرامطة البحرين بقيادة الحسن الاعصم - مع اسيادهم العبيديين فنراه يوجه للحسن خطابا شديدا باللهجة ويذكره بما فعل في هذه المعركة فيقول ضمن خطاب طويل : ثم لم يكفك ذلك حتى جمعت ارجاسك وانجاسك وحشدت اوباشك واقلاسك وسرت قاصدا الى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة وزويلة فقتلته وقتلتهم جرأة على الله وردا لامره واستبحت اموالهم وسبيت نساءهم . . . فقل بني الاصغر والترك والخزرم سرت امامك ولم ترجع واقمت على كفوك ولم تغلق ^(٢) . . .

اذن وبعد معرفة الاسباب الحقيقية للاحداث الدامية التي نرت بقرنها بين قرامطة البحرين وائمتهم العبيديين نصل الى نتيجة وهي : ان هذه الاحداث لا تعطى اى مستند او دليل على ان قرامطة البحرين نبذوا عقائدهم التي تلقوها وآمنوا بها من دعائهم ائمة الاسماعيلية كما ان هذه الاحداث طابعها نفى لكل طرف .

(١) العبر لابن خلدون (١٩٢ : ٤) .

(٢) اتعاظ الحنفا (١٩٨ : ١) .

فالعبيديون يريدون نشر المذهب الشيعي والقضاء على المذهب السني وذلك بتوسيع رقعة الدولة العبيدية على حساب الدولة العباسية .

وقرامطة البحرين يريدون ذلك ايضا مع الاستقلال الذاتي وفي سبيل الوصول الى هذا الهدف رفعوا بعض الشعارات واللافتات التي خدمتهم فترة من الوقت ربحوا من خلالها مساعدة بعض اعداء الدولة العبيدية من امثال البويهيين والعباسيين والحمدانيين .

ان الظروف والملابسات التي عاشها الحسن الاعصم بنظرتهم الاستقلالية عن اسياده العبيديين لا تتم له الا بان يلوح بمثل هذه التنازلات والشعارات الكاذبة في سبيل الاطماع السياسية الفردية وقد ادرك هذا الامراحد خلفاء بني العباس حيث يذكر ابو المحاسن ان الحسن الاعصم طلب من المطيع لله ان يعده بالمال والرجال ليخرج الحاكم العبيدي من الشام وامتنع الخليفة المطيع من ذلك قائلا : كلهم قرامطة وعلى دين واحد فاما المصريون (يعني بسني عبيد) فاماتوا السنن وقتلوا العلماء واما هؤلاء (يعني القرامطة) فقتلوا الحاج وقلعوا الحجر الاسود وفعلوا ما فعلوا ^(١) .

وحيث ان الخليفة ليس بيده حل ولا عقد فقد رحب البويهيون بالحسن القرمطي واعطوه مالا وسلاحا ^(٢) .

ويعلق احد المستشرقين (روسو) على اخطاء بعض الكتاب الذين يفرقون بين القرامطة والاسماعيلية من حيث المعتقد بقوله : هناك كثير من الكتاب يفرقون بين القرامطة والاسماعيلية ويجعلون من هذه الفرقة (القرامطة) فرقة قائمة بنفسها غير ان تلك الفرقة تتصل فقط بتكوينهم السياسي لا بالعقائد التي يعتقونها ^(٣) .

(١) النجوم الزاهرة لابن المحاسن (٧٤ : ٤) .

(٢) المرجع السابق (٧٤ : ٤) .

(٣) قرامطة العراق لعليان (ص ٥١) .

ومن الأدلة على أن تصرفات الحسن هذه من قبيل المناورات السياسية أنه اصطاح مع العبيديين ورجع إلى ولائهم وطمعهم . يقول ابن القلانيس : أن العزيز أنفذ النجب بالرسول والكتب للحسن القرمطي فلحقوه بطبرية وأعادوا عليه الرسائل بالصفح مما جرى منه والتماس ما يريد له ليلغفه له ويرجع إلى بلاده فأقام على أمره وتكررت المراسلات إليه ومنه والوسيط جوهر إلى أن تقرر الأمر على ثلاثين ألف دينار له ولا صحابه تحمل إليه كل سنة ويكونوا على الطاعة والموادعة وتوجه إليه جوهر وقاضى الرملة فاستخلفاه للعزيز على الوفاء والمصلحة وأخذوا له المواثيق المسدودة المؤكدة وأعطياه المال والخلق والحمالان وأنصرف إلى الأحساء ولم يزل المال المقرب للقرمطي يحمل إليه ففى كل سنة على يد ابى المنجا صاحبه إلى أن مات .^(١)

كما يذكر ذلك أيضا ابن خلدون بقوله عن العزيز أنه بعث إلى الأعمى القرمطي من يرد له ليلغفه له ويرجع إلى بلاده فأقام على أمره وتكررت المراسلات إليه ومنه والوسيط جوهر إلى أن تقرر الأمر على ثلاثين ألف دينار له ولا صحابه تحمل إليه كل سنة ويكونوا على الطاعة والموادعة وتوجه إليه جوهر وقاضى الرملة فاستخلفاه للعزيز على الوفاء والمصلحة وأخذوا له المواثيق المسدودة المؤكدة وأعطياه المال والخلق والحمالان وأنصرف إلى الأحساء ولم يزل المال المقرب للقرمطي يحمل إليه ففى كل سنة على يد ابى المنجا صاحبه إلى أن مات .^(٢)

كما أن القرامطة بعد وفاة الحسن رجعوا الرجوع الواضح إلى كف العبيديين وعملوا على محاربة العباسيين والقيام بهجمات على أراضى الدولة العباسية حيث هاجموا الكوفة وملكوها سنة ٣٢٥ هـ .^(٣)

(١) هو الخليفة الخامس من خلفاء الدولة العبيدية واسمه نزار بن المعز بن معد العبيدى الرافضى وقد تسلم الخلافة بعد وفاة والده سنة ٣٦٥ هـ ، وهى فترة الحرب بين القرامطة والعبيديين ومدة حكمه احدى وعشرون حيث توفى سنة ٣٨٦ هـ وجاء بمعه ابنه الحاكم . انظر دول الاسلام للذهبي (١ : ٢٣٤) .

(٢) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانيس (ص ٢٠ - ٢١) .

(٣) العبر لابن خلدون (٤ : ١١٠) .

(٤) اتعاظ الحنفا (١ : ٢٠٦) .

ويؤكد ابن خلدون رجوع القرامطة الى دعوة العبيد بين بقوله
ورجعوا الى دعوة العلوية ومহারية بنى بويه .^(١) ويذكر ابن حوقل فسى
احداث سنة ٣٦٧ هـ ما يؤكد على ذلك الرجوع فيقول : ان قرامطة
البحرين ارسلوا فى هذه السنة ضريبة سنوية الى الامام العبيدى .^(٢)

والخلاصة ان قرامطة البحرين من اول نشأتهم الى انقراضهم
وزوال دولتهم نهائيا كانوا على صلة وثيقة بالائمة العبيد بين ماعدا
فترة واحدة تتمثل فى حكم الحسن الاعصم وان الاسباب التى دفعته
الى التخلّى عن اسياده العبيد بين تتلخص فى امور ثلاثة :

- (١) موقف العبيد بين العدائى له ولا سره بصاحب ذلك ميلهم
مع آل ابي طاهر ومحاولة تثبيتهم لزمامة القرامطة فى البحرين .
- (٢) قطع الضريبة المالية التى كان يتلقاها الحسن من الاخشيديين
فى الشام .

(٣) تصادم المطامع السياسية بين العبيد بين وبين قرامطة البحرين
وعلى الرغم مما وقع من توتر وسوء علاقة بينهما فى فترة معينة فان
العقيدة والفكرة ظلت واحدة لم تختلف وفى رسالة المحز الى الحسن
الاعصم ما يؤكد ان القرامطة والاسماعيلية اعترفوا من محين واحد وانهم
(اى القرامطة) من الائمة استعدوا وعماليمهم وانكاههم .

(١) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩٤) .

(٢) اصول الاسماعيلية (ص ١٨٧) .

(٤) قراطة اليمن :

تمتاز الحركة القرمطية في اليمن عن غيرها من حركات القراطة الانفة الذكر بصلتها الواضحة والشديدة بالا سماعيلية حيث تولى الائمة بانفسهم بحث الدعاة اليها .

والدليل على ذلك ان اول داع اسماعيلي بحث الى اليمن كان على يد احد الائمة المستورين فيذكر القاضي النعمان وصية هذا الامام الى الداعي ابن حوشب قائلا له : الى عدن لانه فاقصد وعليها فاعتمد فمنا يظهر امرنا وفيها تعز دولتنا ومنها تفرق دعائنا^(١) .
ولما اجتمع على بن الفضل القرمطي بالامام الاسماعيلى^(٢) - بعد اخذ العهد عليه - وراه واختبر حاله قال لابي القاسم : هذا الذى كنا ننتظره ومن ثم اوصى كل واحد منهما وودعهما ودعا لهما وانصرفا عنه متوجهين الى اليمن^(٣) .

فالصلة بين ائمة الاسماعيلية وبين دعاة القراطة في اليمن واضحة لا محال للتدليل عليها وهذا ما جعل برنارد لويس يوجز الكلام حول ذلك بقوله : ان الدعوة في اليمن كانت منذ بدايتها حتى نهايتها على اتصال وثيق بالائمة انفسهم ولم تشق عن الفرقة الاسماعيلية الرئيسية ففى حال من الاحوال والصادر الاسماعيلية تحدثنا باسهاب عن ارسال الامام نفسه الداعيين اليها كما ان هذه المصادر تصف لنا اجتماعهما^(٤) بالامام ونشاطهما في اليمن^(٥) .

-
- (١) افتتاح الدعوة للنعمان (ص ٤١) .
 - (٢) عينت المراجع اسم هذا الامام وقد ذكرت ذلك عند الحديث عن على بن الفضل في الباب الثانى - الفصل الخاص .
 - (٣) انظر رسالة افتتاح الدعوة للنعمان (ص ٤١-٤٢) .
 - (٤) هما على بن الفضل القرمطي وابن حوشب الاسماعيلى .
 - (٥) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٦٦) .

انطلق الداعيان الى اليمن للدعوة الى المذهب الاسماعيلى ونشره هناك . ولكن بعد فترة اختلافا اختلافا كثيرا فابن حوشب ظل على ولائه لعبيد الله المهدي حتى توفي ^(١) .

اما على بن الفضل القرمطى فانه لما استحکم له الامر فى اجزاء كثيرة من اليمن خلع طاعة عبید الله المهدي ومن ثم بدأت هوة الخلاف تتسع بين القرامطة فى اليمن - بزعامة على بن الفضل - والائمة الاسماعيليين وقد جرت محاولات عدة من صاحبه ابن حوشب لارجاعه الى السـوـلا والتبعية للامام الاسماعيلى وكان يذكره قائلاً له : كيف تخلع طاعة من لم تل خيرا الا به وتترك الدعا له ؟ او ما تذكر ما بينك وبينه من المواثيق والمعهود ^(٢) .

فلم يلتفت الى قوله وكتب اليه : انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها ولى بابى سعيد الجنابى اسوة لانه خلع ميمونا وابنه ودعا الى نفسه وانا ادعو الى نفسى ^(٣) .

وهكذا يتضح لنا تيار القرامطة الموحد تجاه اعتنهم حيث اختلاف والصراع وما ذاك الا لان النفوس تربت عندهم على الانانية والاطماع التى اثرت تأثيرها البالغ فى الاتباع .

لم يكتف ابن الفضل بخلع طاعة امام الاسماعيلية بل نصب نفسه اماما وهدد صديقه الداع الاسماعيلى ابن حوشب بالحبس اذا لم يدخل فى طاعته وينزل على حكمه ^(٤) .

واخيرا اعد القرمطى جيشا كبيرا واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل

(١) سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد سرور (ص ٧٤) .

(٢) سياسة الفاطميين الخارجية (ص ٧٣) نقلا من انباء الزمن لابن المؤيد (ورقة ٣١) .

(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٣) .

(٤) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٣) .

ووقعت بين الطرفين حروب ومجازر^(١) وكانت النهاية ان اشتدت وطأتـه على ابن حوشب فارسل الى على بن الفضل فى طلب الصلح ولكنه ابى الا بعد ان يحقق له شرطا واحدا وهو بيعت احد ابنا^(٢) ابن حوشب ليكون دليلا على دخوله فى طاعة ابن الفضل ، واخيرا اجابه ابن حوشب الى طلبه وارسل اليه ولده واقام عنده سنة ثم رده اليه .

ويقول محمد سرور : ان هذا الصلح لم يؤد الى عودة الوفاق بينهما بل ظل كل واحد منهما يعمل مستقلا عن الآخر مما كان سببا فى اضعاف الدعوة الاسماعيلية فى بلاد اليمن .^(٣)

كانت ردود الاسماعيلين شديدة على ابن الفضل ولاغرو فى ذلك فهم كما قال الله تعالى " بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون " .^(٤)

يقول احد دعاة الاسماعيلية عن ابن الفضل : انه من آمن ثم كفر ودخل فى الدعوة ثم خرج منها واصر واستكبر وكثير ممن ظن بـه الخير خالف ما ظن فيه .^(٥)

كما ان قاضيهـم النعمان حكم عليه بالانسلاخ من امر الله وامر اوليائه وانه استحل المحارم ورفض الظاهر ودعا الناس الى الا باهات فلما اشتهر بذلك تبرأ منه ذلك الذى افسده فكان كما قال عز وجل ——— شأن ابليس اللعين " ان قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برى منك انى اخاف الله رب العالمين " .^(٦) فحارب ابا القاسم وكانت له امور يطول ذكرها ومات على ذلك من غيه وضلاله .^(٧)

(١) تفصيل هذه الممارك فى كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٥ -

٣٦) ، الكفاية والاعلام للخزرجى (ورقة ٢٦) .

(٢) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٦) .

(٣) سياسة الفاطميين (ص ٧٤) .

(٤) سورة الحشر : ١٤ .

(٥) عيون الاخبار للداعى ادريس (ص ٣٩٩) .

(٦) سورة الحشر : ١٦ .

(٧) افتتاح الدعوة للنعمان (ص ١٥٠) .

والحقيقة انه حينما يتضح لنا ما بين الاسماعيليه والقرامطة من
المهارات والخلافات ورى بعضهم بعضا بالكفر والانسلاخ من الدين
نجد ان الشبه واضح فيمن حكى الله عنهم بقوله تعالى " وقالست
اليهود ليست النصارى على شىء " وقالت النصارى ليست اليهود على
شىء " وهم يتلون الكتاب^(١) .

اما تحليل هذه الاحداث والخلافات . فالصادر الاسماعيليه
تعزو خروج بن الفضل على الدعوة الاسماعيليه وخلعه طاعة الامام
الاسماعيلى الى شخص اسمه فيروز صاحب المهدي في رحلته من الشام
الى المغرب لكنه افترق عنه من مصر مخالفا المهدي وفرها ربا الى
اليمن واجتمع بابن الفضل وما زال معه حتى افسده وفتته من الدعوة
الاسماعيليه^(٢) .

وعلى اعتبار صحة ما ذكرته هذه المصادر فانه ينبغي الا نغفل
المطامع الشخصية وحب الزعامة التي اتسم بها زعماء القرامطة في كل
مكان . ويتضح ذلك جليا من رد على بن الفضل القرمطي لزعميم
الاسماعيليه في اليمن - حينما كان يرأسه ويأمره بالعدول من مطامعه
والرجوع الى كف الدولة العبديية - قائلا له : انما هذه الدنيا
شاة ومن ظفر بها افترسها ولى بابى سعيد الجنابي اسوة لانه
خلع ميمونا وابنه ودعا الى نفسه وانا ادعوا الى نفسى^(٣) .

والخلاصة التي نصل اليها بعد استعراض هذه الاختلافات
ان القرامطة - على اختلاف اماكنهم وازمانهم - اتفقوا على امرين
هما :

(١) الخروج على زعماء الاسماعيليه في فترات متقطعة ولكنهم فنى

(١) سورة البقرة : ١١٣ .

(٢) سيرة جعفر الحاجب (ص ١١٥) من مجلة كلية الاداب .

(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٣) .

آخر الامر يرجعون الى طاعتهم وينضون تحت رايتهم .
(٢) ان القرامطة - سواء في العراق او الشام او البحرين او اليمن - لم
يرفعوا شعارات فكرية تميزهم عن الاسماعيليين مما دفعنا الى
تفسير هذه الاختلافات بانها اطماع سياسية وحب للزعامة
والسلطة وان الائمة لم يستطيعوا استيعاب هذه النزعات من
بعض زعماء القرامطة الذين خرجوا على ائمتهم .

الباب الثاني

تاريخ القرامطة

الفصل الاول : تعريف القرامطة وبداية عهدهم

الفصل الثاني : قرامطة العراق وزعمائهم

الفصل الثالث : زعماء قرامطة الشام

الفصل الرابع : قرامطة البحرين وزعمائهم

الفصل الخامس : الحركة القرمطية في اليمن

الفصل الاول

تعريف القرامة وبدائية عهدهم

اختلف المؤرخون في بيان تسمية القرامطة بهذا الاسم وذكر ابن الجوزي معظم هذه الآراء في كتابه المنتظم قائلا : واما سبب تسميتهم بالقرامطة ففي سبب ذلك ستة احوال :

احدها : انهم سموا بذلك لان اول من اسس لهم هذه النحلة محمد
الوراق المقرط وكان كوفيا .

والثاني : ان لهم رئيسا من السواد من الانباط يلقب بقرمطيوسه
فنسبوا اليه .

والثالث : ان قرط كان غلاما لاسماعيل بن جعفر فنسبوا اليه لانه
احدث لهم مقالا تهم .

والرابع : ان بعض دعائهم نزل برجل يقال له كرميته^(١) فلما رحل تسمى باسم قرمط بن الاشعث ثم ادخله في مذهبه .

والخامس : ان يعض دعائهم رجل يقال له كرمية فلما رحل تسمى باسم
ذلك الرجل ثم خفف الاسم ف قيل قرمط .

والسادس : انهم لقبوا بهذا نسبة الى رجل من دعائهم يقال لـ
حمدان بن قرط من اهل الكوفة حيث اعتنق المذهب الاسماعيلي على يد
احد دعاة الباطنية .^(٢)

وقال بالرأى الرابع كل من الطبرى وابو الفداء* وابن الوردى^(٣) وكلهم

(١) كلمة كرميته بالنبطية معناها احمر العينين وقد اطلق على حمدان "كرميه" لشدة حمرة عينيه ثم خفف هذا الاسم ف قيل قرمط .

انظر تاريخ الامم للطبرى (۸ : ۱۱۰) .

(۲) المنتظم لابن الجوزی (۵: ۱۱۱ - ۱۱۳) •

(٣) تاريخ الام (٨ : ١١٠) والمختصر في اخبار البشر (٢ : ٥٥) ، وتاريخ

• ابن الوردی (۱ : ۲۴۱) .

يجمعون على ان الداعي الهوازي لما قدم الكوفة نزل عند رجل من صفته انه احمر العينين شديد حمرتها وكان اهل القرية يسمونه كرميته وهو بالنبطية احمر العينين فسمى باسم الرجل الذى كان فى منزله ثم خفف قرمط وسمى اتباعه قرامطة . اما البغدادى وابن الاثير والغزالي والمقرئى والديلمى فهم يقولون : انهم لقبوا بذلك اللقب نسبة الى رجل يقال له حمدان قرمط وكان احد دعائهم فى بداية الامر حتى استجاب له جماعة فكان ان سمو قرامطة او قرمطية^(١) . وهذا ما ذكره ابن الجوزى فى الرأى السادس والمرجح من هذه الاقوال ان هذه التسمية تعود الى حمدان قرمط دون سواء خاصة اذا تذكرنا انه هو نفسه قرمط بن الاشعث وهو الذى نزل عنده الداعي الحسين الهوازي الذى جاء من ناحية خوزستان (الهواز) هذا فضلا عن ان القرامطة لم يكن لهم كيان قبل مقدم الهوازي الى سواد الكوفة ومقابلته لحمدان قرمط الذى تزعم الجماعة التى استجابت له كذلك لم يعرف لاسماعيل بن جعفر عامل يقال له قرمط^(٢) .

فلفظ القرامطة انما هو اصطلاح اطلق على الفرقة التى نشأت على يد حمدان وسوف يتضح هذا الامر اكثر عند الحديث عن تاريخ القرامطة ولا سيما عن حياة حمدان زعيم القرامطة الاول . وكما اختلف الباحثون حول تسمية القرامطة فانهم ايضا اختلفوا حول المعنى والمدلول لعبارة " قرامطة " .

فيرى البعض ان هذه صفة لحمدان حيث كان قصير القامة يقرمط فى سيره اذا مشى . اى يقارب بين خطواته . . وقيل لقب بذلك لانه كان احمر البشرة تشبيها له بالقرمذ وهو الطوب الاحمر الاجر^(٣) .

-
- (١) الفرق بين الفرق (ص ٢٦٦) ، اللباب لابن الاثير (٣ : ٢٨) ، فضائل الباطنية (ص ١٢) ، اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٥٢) ، بيان مذهب الباطنية للديلمى (ص ٢٢) .
- (٢) قرامطة العراق لعليان (ص ٣٠) .
- (٣) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ٢٦) ، الحركات الباطنية لغالب (ص ١٣٣) .

وفسر دى غويه كلمة قرامطة تفسيراً لغوياً فيقال قرمط الرجل فى خطـوه
 اذا قارب بين قدميه وقرمط الكاتب اذا قارب فى كتابته بين السطور ويقال
 ان حمدان بن الاشعث سمي قرمط لقصر قامته ورجليه . ويرى الفيروز ابادى
 ان هذا اللفظ مأخوذ من اقرمط اى غضب وتقبض . ويرى ايفانوف ان كرامـطة
 كلمة معروفة عند اهالى بلاد العراق الجنوبية ولم تستعمل فى العربية ومعناها
 الفلاح او القروى ثم عريت الى قرمط ويرجح غالب هذا الرأى قائلاً : ان هذا
 المعنى لا يزال يستخدم الى الان عند سكان جنوب العراق كما انه يتفق وطبيعة
 الحركة القرمطية فقد كانت فى جوهرها " ثورة الفلاحين " .

وذكر انستاس الكرملى سبب اختلاف العلماء فى تأويل اسم القرامـطة
 بقوله : ان اللفظة آرامية نبطية من قرمطونا - بضم القاف وتسكين الـمـرـا
 اى المدلس الخبيث المكارم المحتال او من (قرمطا) وهو التدليس والخبث والمكر
 والاحتيال لما اشتهر عنهم من هذه الامور .

ويقول الحميرى : ان القرمطة عند اهل اليمن عبارة عن الخدقة وصاحبها
 عندهم قرمطى فجمعه قرامطة .

وعلى اية حال فالقرمطان لم تكن باسمها بل بمعناها انما نشأت على
 يد حمدان بن الاشعث السلقب بقرمط فى سواد الكوفة فى العقود الاخيرة من
 القرن الثالث الهجرى واصبحت فى كتب اهل السنة والجماعة تمثل الهرطقة
 والاحاد والتحلل والفوضى .

اما القرامطة انفسهم فقد اعتبروا القرمطة الحركة العظيمة التى تظهر بين
 الحين والحين تلقى فى العالم الاسلامى بذور الاصلاح .

-
- (١) قرامطة العراق لعليان (ص ٣١) .
 - (٢) القاموس المحيط (٢ : ٣٧٩) .
 - (٣) الحركات السرية لغالب (ص ١٦٠) .
 - (٤) بلوغ المرام للمرشى (ص ٣٤٠) .
 - (٥) الحور العين للحميرى (ص ٢٠٠) .
 - (٦) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام للنشار (ص ٤٣٧) .

ويقول ماسينيون ان كلمة قرامطة تعنى بمدلولها الواسع : الهرطقة العظيمة التى اكتسحت العالم الاسلامى بين القرنين التاسع والثانى عشر الميلادى لتأمين الاصلاح والعدل الاجتماعى على اساس المساواة^(١). وجد يبر بالذكر ان القرامطة يسمون انفسهم " المؤمنين المنصورون بالله والناصرين لدينه والمصلحون فى الارض"^(٢). وهذه دعوى كاذبة حيث ان قتل المسلمين والاعتداء على حرماهم والمقدسات الاسلامية والسلب والنهب من اعمال القرامطة التى اشتهروا بها دون سواهم ولذا يقول احد المستشرقين ان اسم القرامطة اصبح اسما قبيحا ومشهرا بهم نتيجة لثوراتهم فى سوريا والعراق ونتيجة لاعمال قائد البحرين ابو سعيد الجنابى وولده ابو طاهر الذى غزا العراق عدة مرات ونهب مكة وحمل الحجر الاسود بعيدا عن الكعبة^(٣). وسوف نتضح هذه الاحداث والحقائق اكثر فيما سيأتى من البحث .

والخلاصة ان لفظ القرامطة يعتبر علما على مذهب معين له عقائده ونظمه التى تميزه عن سائر المذاهب ولذا يقول ابن العديم : ان لفظ قرامطة يعتبر نسبة الى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام ويكون بهذا عزوه الى مذهب باطل لا الى رجل^(٤) كما يقول السمعاني : ان القرمطى نسبة الى مذهب منموم ورأى خبيث^(٥).

ويشاركه ابن الاثير على ذلك ويقول : ان هذه النسبة تنصب على المذهب المذموم الذى يعرف القائلون به بالقرامطة^(٦).

-
- (١) مقدمة اصول الاسماعيليه للدورى (ص ٢٤) .
 - (٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٧٤) ، المسالك والممالك للبكرى (ورقة ٢٢١) .
 - (٣) الموسوعة البريطانية (١٣ : ٢٤٠) .
 - (٤) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٧١) .
 - (٥) الانساب للسمعاني ورقة (٤٤٨) .
 - (٦) اللباب لابن الاثير (٣ : ٢٨) .

بداية القرامطة وظهورهم .

انفرد المسعودي عن غيره بالقول بأن دعوة القرامطة بدأت سنة ٣٦٠ هـ وانطلقت الدعوة من اصبهان^(١) . وهذا مخالف للحقيقة والواقع فمن حيث الزمان اخر خروجهم الى فترة كانوا فيها في اوج قوتهم ولا سيما قرامطة البحرين ومن حيث المكان فالدعوة انما بدأت في سواد الكوفة وليست باصبهان كما اتفق على ذلك المؤرخون وكتاب المقالات هذا مع العلم ان المسعودي وينفس الكتاب سطر ما يخالف رأيه هذا من حيث الزمان والمكان فاثبت احداثا متعددة للقرامطة قبل هذا التاريخ بكثير^(٢) .

ويقابل تطرف المسعودي تطرف للدليمي في التقديم حيث يرى ان اصل هذه الدعوة ظهور ميمون القداح في الكوفة سنة ستا وسبعين ومائة ٢٦٦ هـ^(٣) . ويرى جمهور المؤرخين ان هذه الدعوة وصلت الى العراق عن طريق الداعي الاسماعيلي حسين الاهوازي وفي مقدمة هؤلاء المؤرخين الطبري الذي ذكر ان بدأ امرهم قدوم الاهوازي الى سواد الكوفة حيث قابل حمدان ونزل عنده وآمن بدعوته ولما فر الاهوازي خلفه حمدان قرمط في الدعوة بسواد الكوفة^(٤) .

ويذكر النويري نفس هذه الحادثة مع اختلافات طفيفة عن رواية الطبري ويحدد هذه البعثة بعام ٢٦٤ هـ^(٥) .

اما ابن النديم فانه يرى ان عبد الله بن ميمون القداح هو الذي قابل حمدان قرمط واستجاب له واصبح داعية في المذهب ويحدد ذلك بعام احدى وستين ومائتين للهجرة ٢٦١ هـ^(٦) .

-
- (١) التنبيه للمسعودي (ص ٣٤٢) .
 - (٢) نفس المرجع السابق (ص ٣٣٠ - ٣٣١) .
 - (٣) بيان مذهب الباطنية للدليمي (ص ٤) .
 - (٤) تاريخ الامم للطبري (٨: ١٥٩: ١٦٠) .
 - (٥) نهاية الاربعة للنويري (٢٣: ٥٦) .
 - (٦) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٨) .

ويرى الطوسى ان دعوة القرامطة ابتدأت وانتشرت على يد غلام هجazy اسمه مبارك ويلقب بقرمطويه . وقد عرف اسرار المذهب وتعاليمه من عبدالله بن ميمون ثم افترقا وقصد مبارك الكوفة لنشر الدعوة القرمطية هناك ^(١) .

وقد انفرد الطوسى بهذه الرواية مع العلم ان المبارك شخص آخر غير قرمط فالاول تنتسب اليه فرقة المباركية اما الثانى فتنتسب اليه حركة القرامطة ^(٢) .

والراجع من هذه الاراء ان بداية القرامطة انما كان على يد الداعى حسين الاهوازى من سواد الكوفة بتوجيه من الامام الاسماعيلى فى سلمية وان ذلك فى سنة اربع وستين ومائتين ٢٦٤ هـ . حيث قابل هذا الداعى حمدان قرمط ولقنه اصول الدعوة واصبح اصلا من اصول الدعوة الاسماعيلية .

^(٣) وهذا مااتفق عليه جمع من المؤرخين القدامى كالطبرى والنويرى والمقريزى وان انطلاق الدعوة وانتشارها من الكوفة ليس مصادفة او عبثا فبيئة الكوفة مناسبة تماما فهى اولا معادية للعباسيين علوية فى ميولها كما انها مجمع للثقافات والاديان القديمة . وهى مركز الخلو الذى استغله العباسيون ثم ناوأوه وضربوه فاتجه ضدهم .

والكوفة ايضا مركز ثقافى هام انتشرت فيها الفلسفة اليونانية وحركة الزندقة بين المثقفين فوسعت الشكوك بينهم وزعمت آراءهم الدينية وبالنسبة للعامة انتشرت بينهم الاساطير والخرافات مما جعلهم على استعداد لنسب عقائدهم متى تبين لهم ان المصلحة تقتضى ذلك ^(٤) . وقد صرح الفزالى بهذه الحقيقة قائلا : والماضى الجاهل يظن ان التلبس بالاديان والعقائد مثل المواصلات والمعاقبات الاختيارية فيصلها مرة بحكم المصلحة ويقطعها اخرى ^(٥) .

(١) سياست نامه للطوسى (ص ٢٥٨ - ٢٥٩) .

(٢) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ١٠٠ - ١٠١) .

(٣) انظر تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٥٩) ، نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٥٦) ،

اتعاظ الحنفا (١ : ١٥١ - ١٥٢) .

(٤) مقدمة اصول الاسماعيلية للدورى (ص ٧ - ٨) .

(٥) فضائح الباطنية للفزالى

كما ان سؤالا حوال الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة الكوفة ساعد كثيرا على نجاح دعوة القرامطة وانتشارها هناك .

ومما هو معروف ان الكوفة تعتبر موطننا من مواطن التشيع الرئيسية مما يسهل على القرامطة نشر دعوتهم حيث العقول مهيأة ولا سيما ان دعوة القرامطة تنشر - في بدايتها - مبادئ الشيعة الامامية وتدعو لامام من آل البيت . ويقول عليان : ان الداعي الهوازي لم يجد صعوبة في نشر دعوته بسواد الكوفة لان العقول كانت مهيأة تماما لتقبل دعوته فأدى مهمته في سهولة ويسر ويبدو انه كان لديه الكثير من المعلومات عن منطقة الكوفة واهلها وذلك كما يتضح من المحادثة التي جرت بينه وبين حمدان (١) .

اما ظهور القرامطة وبدء ثورتهم علنا فقد تعددت حوله الروايات واختلفت فاكثر المؤرخين يحددون ظهورهم بحام ثمانى وسبعين ومائتين (٢) ٢٧٨ هـ . ويرى ابن ابيك وصاحب العميون والحدائق ان ظهورهم في عام اربع وستين ومائتين ٢٦٤ هـ . اما المقرئى فانه لا يحدد فترة زمنية لظهورهم وانما يذكر تواريخ متعددة للفرقات التي مر بها بناء الحركة القرامطية فيحدد لقاء الهوازي بحمدان سنة اربع وستين ومائتين ٢٦٤ هـ . ثم يمضى بالحدث عن حمدان وتنظيمه للدعوة وجمع الاموال وشراء السلاح واعداده وذلك في فترة زمنية مقدارها اثني عشرة سنة اي انه فرغ من هذه الامور سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة . اما اجتماع القرامطة وبناء دار لهجرتهم وانتقالهم اليها فهذا كان سنة سبع وسبعين ومائتين . ويفهم من هذا (٣)

-
- (١) قرامطة العراق لعبد الفتاح عليان (ص ٢١) .
 (٢) تاريخ الام للطبرى (١٥٩: ٨) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١: ٦١) ، دول الاسلام للذهبي (١: ١٦٨) ، المختصر لابن الفدا (٢: ٥٥) ، تاريخ ابن الوردي (١: ٢٤١) ، العبر لابن خلدون (٤: ١٨١) ، المنتظم لابن الجوزي (٥: ١١٠) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٦٦) ، تاريخ اخبار القرامطة (ص ٧) ، امرأة الجنان (٢: ١٩٢) .
 (٣) العميون والحدائق لمجهول (٤: ١٢٧) ، كنز الدرر (٦: ٤٦) .
 (٤) اتماظ الحنفا للمقرئى (١: ١٥٣ - ١٥٧ - ١٥٨) .

ان ظهورهم وعلان قيامهم على الدولة العباسية عند المقریزی بعد هذه الفترة الزمنية .

ويرى احد المستشرقين ان ظهور القرامطة بدأ بشن الفارات على مناوئهم ويحدد ذلك بحام سبع وسبعين ومائتين ٢٧٧ هـ .^(١)

وهناك رأى لا حد الكتاب المعاصرين يلفت فيه نظر الباحثين الى الفترة المبكرة لظهور القرامطة من حيث الزمان والمكان يقول فيه : مع التقدير لهذه الاراء الا انه يبدو لي من خلال اطلاعي على عدد كبير من المخطوطات القديمة في التاريخ وغيره واخص بالذكر سيرة الهادي الى الحق ومادون حول سيرة منصور اليمن ان حركة القرامطة انطلقت في البداية في شبه الجزيرة المنطقة الجبلية القريبة من نجران فمنذ فترات مبكرة من القرن الثاني للهجرة اصبحت هذه المنطقة مسرحا لنشاط عدد كبير من رجالات البيت العلوي الذين كانت غالبيتهم من اصل حسني .^(٢)

وحيث ان اكثر المؤرخين متفقون على ان بداية الحركة سنة ثمان وسبعين ومائتين للهجرة فهو ما ارجحه ما سلف من الاراء المتعددة والله اعلم .

(١) دائرة المعارف الاسلامية (٨ : ٧٧) .
 (٢) تاريخ العرب والاسلام لزار (ص ٣٠٢) .

الفصل الثانى

قرامطة العراق وزعمائهم

من بد يهيات الامور ان ظهور قرامطة العراق لم يحصل فجأة وبطريقة
سحرية وانما سبق ذلك جهد عظيم لنشر فكرتهم بجهد ونشاط حتى كثر اتباعهم
 واصبحوا جماعة كبيرة اقل ما يقدم الفرد لهذه الدعوة ماله ونفسه .
وان الظروف التى عمل من خلالها دعاة القرامطة ساعدتهم كثيرا على
الظهور حتى اصبحوا بذلك قوة كبيرة يحسب لها الف حساب .

ولا بد من الاشارة الى ان من سنن الله الكونية انه بقدر ما تتمسك هذه
الامة بدينها ويهيمن هذا الدين على جميع شئون الحياة عقيدة وسلوكا
واقتصادا وسياسة ومنهج حياة . فى هذه الحالة تكون قادرة على البقاء
والاستمرار امام اعداءها حتى النصر الذى ضمنه الله لها . قال تعالى
" ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم " (١)

والامة الاسلامية واجهت - قديما وحديثا - الوانا متعددة وانماط
مختلفة من المؤامرات والحركات الهدامة باء بعضها بالفشل لتمسك الامة
بدينها ونجحت بعضها . وامانا الان حركة القرامطة التى كتب الله لها
ان تتسلط على الامة فترة من الزمن وبناء على ما قدمنا فنجلحها له عوامل
متعددة :

- (١) فراغ فكرى وجهادى عند المسلمين فى تلك الفترة مكن القرامطة وامثالهم
من دعاة الهدم والتخريب من ملء هذا الفراغ بمعتقداتهم المسمومة .
- (٢) ظلم واستبداد من جانب الحكام والامراء على الضعفاء والمعوزين
ويتضح ذلك ان معظم القرامطة هم من العبيد والاجراء لدى امراء
النواحي ولا سيما فى سواد الكوفة الذى انطلق منه القرامطة .

(٣) ضعف الخلافة وتلاعب الوزراء بالخلفاء مما أدى الى تشتت الامم والتعاس عن الجهاد في سبيل الله .

ان هذه العوامل كلها متوفرة في الفترة الاولى لظهور القرامطة مما أدى - بطبيعة الحال - الى انتشار دعوتهم وتغلبيهم فترة من الزمن وهذه العوامل من جانب المسلمين وتقصيرهم اما الجانب الاخر فهو راجع الى القرامطة انفسهم حيث النشاط في الدعوة والتضحية بالمال والنفس والعمل الجماعي المنظم .

والحركات - ايا كانت - لا يمكن ان تظهر وتقوم ويصبح لها كيان ملموس ومهم في واقع الحياة الا بالجهود الجماعية الدائبة المستمرة ومع ذلك فالكثير من المؤرخين المسلمين ينسبون الحركات الى اشخاص وافراد معينين ولا يدركون الجهود الجماعية التي تقوم بها جماعات متكاثفة ومتراصة وتستغرق فترة طويلة لتتخذ شكلا معيناً . بل هم ينسبون نظم الحركة وتعقيداتھا الى اشخاص وافراد كما فعلوا بنسبة الحركة الاسماعيلية الى ميمون القداح وابنه عبد الله في حين ان الحركة الاسماعيلية استغرقت وقتا طويلا وساهمت في بنائها جهود الكثيرين حتى اتخذت شكلها المعروف (١) . ومن خلال الجهود الجماعية يبرز بعض الافراد الذين عملوا وتفانوا اكثر من غيرهم . ونحن اذا تأملنا ذلك في حركة القرامطة نجد اشخاصا برزوا وظهروا واقترب بهم الكثير من الاحداث وذلك كشخصية حمدان قرمط التي لا تذكر - غالبا - الا وقد قرن بها حركة القرامطة .

ومثل هؤلاء الافراد يعتبر وجودهم اساسا من اساس الدعوة ومصدرا من مصادر قوتها . واذا ما قتل احدهم او مات فانه يترك فراغا كبيرا له اثر كبير على اخفاق الحركة وضعفها وذلك لما لهم من دور فكري او قيادي . وسوف اتتبع - من خلال الفصول القادمة - مثل هؤلاء الافراد مستقصيا التعريف بهم وبحياتهم وما قاموا به في سبيل الدعوة ونشرها مع التركيز على الناحية الفكرية والقيادية .

(١) مقدمة اصول الاسماعيلية للدوري (ص ٩ - ١٠) .

وحيث ان جهد القرامطة وعلمهم لم يكن محصورا في بقعة واحدة بل
عرف ما يسمى بقرامطة العراق . وقرامطة الشام . وقرامطة البحرين وقرامطة
اليمن فاني سأحدث عن زعمائهم على ضوء هذا التقسيم بادئا بزعماء قرامطة
العراق وعلى رأسهم المؤسس الحقيقي لحركة القرامطة والذي اقترنت الحركة
باسمه حيث لم يعرف لهذا اللفظ (القرامطة) اي اطلاق او اعتبار قبل ظهوره .

(١) حمدان قرمط

~~~~~

مؤسس الحركة القرمطية وداعيتهم الاول يسمى بحمدان بن الاشعث ويلقب بقرمط<sup>(١)</sup> : عاش في سواد الكوفة حيث كان يحمل اجيرا واكارا لا حمد الاغنيا<sup>(٢)</sup> من اهالى الكوفة وقيل ان اصله من كوزستان<sup>(٣)</sup> . وقيل ان حمدان من قرية من قرى واسط<sup>(٣)</sup> من بالدعوة الاسماعيلية على يد الداعي الاسماعيلى حسين الاهوازى حيث كان مهياً لقبولها .

وتروى مصادر عدة قصة المقاتلة التى تمت بين حمدان والاهوازى حيث خرج الثانى داعية الى العراق فلقى حمدان بن الاشعث بسواد الكوفة ومعه ثور ينقل عليه فتماشيا ساعة فقال حمدان للحسين :

انى اراك جئت من سفر بعيد وانت معى فاركب ثورى هذا . فقال الحسين : لم اؤمر بذلك . فقال له حمدان : كأنك تحمل بأمر لك . قال نعم . قال : ومن يأمرك وينهاك .

قال : مالكى ومالكك ومن له الدنيا والاخرة . فبهت حمدان يفكر ثم قال له : يا هذا مايلك ماذكرته الا الله . قال : صدقت والله يهب ملكه لمن يشاء .

قال حمدان للحسين فما تريد فى القرية التى سألتنى عنها ؟ قال له :

( ١ ) ورد فى عدة مصادر سبب تلقيبه بذلك فالطبرى يقول ان حمدان كان

احمر العينين وسمى لذلك قرمط . تاريخ الامم للطبرى ( ٨ : ١٦٠ ) . وقيل لقب بهذا اللقب لانه كان قصيرا متقارب الخطو ويذكر السمعانى حديثا نقله عن ابي القاسم الطبرانى وهوان النجى صلى الله عليه وسلم رأى عامر بن ربيعة يمشى فقال انه ليقرمط فى مشيه . الانساب للسمعانى ( ورقة ٤٤٨ ) ، والتفسير الثانى يتناسب مع اللفظة حيث ذكر الفيروزبادى

فى قاموسه ان القرمطة هى تقارب الخطو . انظر ( ٢ : ٣٧٩ ) .

( ٢ ) الاعلام للزركلى ( ٦ : ٤٥ ) .

( ٣ ) الفرق الاسلامية لمجهول ( ورقة ٦٨ ) .

دفع الى جراب فيه علم وسر من اسرار الله وامرت ان اشفى هذه القرية واغنى  
اهلها واستنقذهم واطلهم املك اصحابهم .

وابتدا يدعو حمدان حتى قال له : يا هذا نشدتك الله الا رفعت الى  
من هذا العلم الذى معك وانقذتنى ينقذك الله . قال له : لا يجوز ذلك  
او آخذ عليك عهدا وميثاقا اخذه الله على النبيين والمرسلين والقي اليك  
ما ينفعك . فما زال يضرع اليه حتى جلسا فى بعض الطريق واخذ عليه العهد .  
فقال له قرط : قم معى الى منزلى حتى تجلس فيه فان لى اخوانا اصير بهم  
اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى .

فصار معه الى منزله واخذ على الناس العهد واقام الاهوازى بمنزل  
حمدان قرط فاعجبه امره وعظمه . وكان الحسين على غاية ما يكون من الخشوع  
صائما نهاره قائما ليله فكان المغبوط من اخذه الى منزله ليلة وكان يخطط لهم  
الثياب ويكتسب بذلك فكانوا يتبركون به وبخياطته واستحكمت ثقة الناس به  
وثقته هو بحمدان قرط وسكونه اليه فظهر له امره<sup>(١)</sup> حتى ان الحسين لما  
قاربت منيته عين حمدان خلفا له واخذ على اكثر اهل السواد<sup>(٢)</sup> .

ومن هذا اللقاء وحمدان قد بدأ حياة جديدة من العمل المثمر  
والمستمر فى سبيل فكرته ومبدأه حتى صار اصلا من اصول الدعوة الاسماعيلية .  
ورواية لقاء الاهوازى بحمدان تكاد تكون محل اجماع من المؤرخين  
وكتاب المقالات حيث ذكرها الطبرى وابن الجوزى وابن كثير وابن الاثير  
والنويرى والغزالي<sup>(٣)</sup> .

ومن الجدير بالذكر ان حمدان كان قبل لقاءه مع الاهوازى سنة ٢٦٤ هـ  
احد دعاة الباطنية<sup>(٤)</sup> فليس الشخص فارغا بل كان عنده دعوة وفكرة ويدل على

- 
- (١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١: ١٥١ - ١٥٢) .  
(٢) المرجع السابق (ص ١٥٥) ، مذاهب الاسماعيليين لبدوى (٢: ١٠٤) .  
(٣) تاريخ الامم للطبرى (٨: ١٥٩ - ١٦٠) ، المنتظم (٥: ١١٣) ، البداية  
والنهاية لابن كثير (١١: ٦٢) ، الكامل (٦: ٦٩) ، نهاية الارب للنويرى  
(٢٣: ٥٥ - ٥٦) ، فضائح الباطنية (ص ١٢) .  
(٤) فضائح الباطنية للغزالي (ص ١٣) .



ذلك ان حمدان حينما قبل الدخول والانضمام فى الدعوة الاسماعيلىة  
واخذ الاهوازى العهد عليه . طلب حمدان منه الذهاب الى بيته وقال له :  
ان لى اخوانا اصيرهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى .<sup>(١)</sup>

وقد يفهم من الرواية التى ذكرنا ان لقاء الحسين بحمدان مجرد  
مصادفة على قارة الطريق لكن الامر ليس كذلك بل ان هذا اللقاء امر مدبر  
ومتعمد لان الداعى ذهب الى قرية حمدان واقام بها بل اقام فى بيت حمدان  
ولم يذهب الى القرية التى سأل عنها خاصة وانه - كما ادعى - مأموور  
بانقاذها .

والاهوازى ايضا كان يعلم مدى تحمس حمدان للحمل والدعوة  
فجاءت المقابلة معه فى وقتها المناسب حيث وجده الاهوازى شعلة متوقدة  
من الحماس يحمل بين جنبيه قلبا نابضا مستجيبا ولذا تم اقناعه بسرعة  
وكانت النتيجة ان انضم حمدان الى ركب الدعوة الاسماعيلىة واخذ الاهوازى  
العهد عليه بعد ساعة من لقاءهما على الطريق .<sup>(٢)</sup>

وتذكر المصادر ان الاهوازى لما اخذت دعوته فى الانتشار والذيعوع  
ولا سيما بين العمال والاجراء تساهل هؤلاء فى اعمالهم الزراعية واستنابوا  
احد كبار الملاك ووجدوا ان السبب فى ذلك الاهوازى حيث فرض عليهم  
خمسين صلاقة اليوم والليلة . واتجه الملاك - وهم اصحاب السلطة - الى  
البحث عن الاهوازى والقبض عليه واخيرا قبضوا عليه ولكنه تمكن من الهرب  
والاختفاء حيث خلفه فى مسئولية الدعوة حمدان قرمط الذى واصل الدعوة فى  
سواد الكوفة وادى نشاطه الى انتشار دعوة القرامطة هنالك .<sup>(٣)</sup>

اصبح حمدان الداعى الاول والمسئول المباشر عن شئون الدعوة فى  
القطر العراقى يماونوه بعض الدعاة الذين اشتهروا بكون اتباعه كمهرويه بن

( ١ ) نهاية الارب للنويرى ( ٢٣ : ٥٦ - ٥٧ ) ، اتحاظ الحنفا ( ١ : ١٥٢ ) .

( ٢ ) انظر قرامطة العراق لعليان ( ص ٢١ ) .

( ٣ ) تاريخ الام للطبرى ( ٨ : ١٦٠ ) ، نهاية الارب للنويرى ( ٢٣ : ٥٧ ) .

ذكرويه السلماى وجلندى الرازى وعكرمة البابلى واسحاق السورانى وعطيف  
النيلى وعبدان الكاتب - وهو اشهرهم - واخذ هؤلاء الدعاة يدعون ويأخذون  
على الناس حتى كثروا وانتشروا بسواد الكوفة والسلطان لا يعلم من امرهم شيئا<sup>(١)</sup>  
واخذ حمدان يبعث الدعاة الى بطون العرب المتصلة بسواد الكوفة فدخل  
منهم طائفة ونصب فى هذه الطائفة دعاة فلم يتخلف عنه رفاعى ولا ضبى ولم  
يبق بطن من بطون العرب الا دخل فى الدعوة منه ناس كثير او قليل من بنى  
عابس وذهل وعتره وتيم الله وبنى ثعل وغيرهم من بنى شيان فقوى حمدان  
قرمط بذلك وانتشرت الدعوة واتسعت رقعتها<sup>(٢)</sup>.

وهكذا صادفت الدعوة على يد حمدان رواجاً عظيماً وانتشاراً واسعاً  
واخذ يبعث دعاة فى السواد يأخذون على الناس وكان من اكبر الدعاة لديه  
عبدان الكاتب . ولما رأى حمدان الاقبال على جمعيته قويا رتب لهم نظاماً  
دقيقاً يضمن نجاح الحركة وانتشارها . فكان دعاة يجوبون المناطق المحددة  
لهم مرة فى كل شهر ويبذلون قصارى جهدهم فى معرفة واستطلاع اخبار  
اشياهم واعدائهم معا . كما انه اتخذ من بين هؤلاء الدعاة اثنى عشر نقيباً  
لتنسيق الدعوة وتنظيم نشرها اسوة باستاذه ومعلمه الهوازى الذى اختار من  
بين اتباعه اثنى عشر نقيباً وقال لهم : انتم كهوارى عيسى بن مريم<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد احكم حمدان قرمط حركته بنظام اقتصادى جذاب فكمال الدعوة  
قائمة على جهود بشرية فلا بد لها من مال ينفذها وقد ابتدع لاتباعه  
المستجيبين له نظام الضرائب المتعددة بعد ان وعدهم ومناهم بأن  
الارض ستكون ملكاً لهم ويبنى ايديهم ولذا فلا حاجة لهم الى اموال يكتفون بها  
فى ميوتهم . ومن هذه الضرائب :

( ١ ) ضريبة الفطرة .

( ٢ ) وضريبة الهجرة .

( ١ ) اتعاظ الحنفا للمقرئ ( ١ : ١٥٥ ) .

( ٢ ) اتعاظ الحنفا للمقرئ ( ١ : ١٥٦ ) .

( ٣ ) نهاية الارب للنويرى ( ٢٣ : ٥٧ ) تاريخ الامم للطبرى ( ٨ : ١٦٠ ) .

( ٣ ) وضريبة البلغة .

( ٤ ) وضريبة الخمس .

وقد استخدم التدرج في مطالبة اتباعه بذلك . ويبين المقريزي تفاصيل هذه الضرائب بقوله :

ان حمدان ابتداءً يفرض عليهم ان يؤدوا درهما عن كل واحد وسمى ذلك الفطرة على كل احد من الرجال والنساء فسارعوا الى ذلك .

فتركهم مديدة ثم فرض الهجرة وهو دينار على كل رأس ادرك وتلا قوله تعالى " خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك مسكن لهم والله سميع عليم " (١) . وقال : هذا تأويل هذا فدفعوا اليه وتعاونوا عليه فمن كان فقيرا اسعفه .

فتركهم مديدة ثم فرض عليهم " البلغة " وهي سبعة دنانير وزعم ان ذلك هو البرهان الذي اراد الله بقوله " قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " (٢) . وزعم ان ذلك بلاغ من يريد الايمان .

فلما توطأ له الامر فرض عليهم اخماس ما يملكون وما يتكسبون وتلا عليهم " واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسة " (٣) .

فقوموا جميع ما ينطكونه من ثوب وغيره وادوا ذلك اليه فكانت المرأة تخرج خمس ما تفرزل والرجل يخرج خمس ما يكسبه فلما تم ذلك فرض عليهم الالف وهو ان يجمعوا اموالهم في موضع واحد وان يكونوا فيه اسوة واحدة لا يفضل احد منهم صاحبه واخاه في ملم يملكه وتلا عليهم " واذكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فاصبحت بنعمته اخوانا " (٤) .

وعرفهم انه لا حاجة بهم الى اموال تكون معهم لان الارض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم وقال : هذه محتكم التي امتحنتم بها ليعلم

( ١ ) التوبة : ١١٣ .

( ٢ ) البقرة : ١١١ .

( ٣ ) الانفال : ٤١ .

( ٤ ) آل عمران : ١٠٣ .

كيف تعملون . وطالبهم بشراء السلاح واعداده وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين ٢٧٦ هـ .<sup>(١)</sup>

وهكذا نرى حمدان استطاع بذلك وما يتمتع به من مواهب طموحة ان يجذب الاتباع اليه وان يكون منهم جماعة تقدم كل ماتك في سبيل مبدأها وفكرتها . وحيث ان للقرآن سحره على النفوس وتأثيره على القلوب نرى حمدان يتذرع - كذبا - عند مطالبه بالآيات القرآنية موها ابتاه ان القرآن دستور ونظامه .

وما سهل عليهم دفع هذه الضرائب ما كان يمنيهم به ويعددهم بقوله ان الارض ستكون لهم دون غيرهم وهذا مصدر خداع كاذب اتخذ وسيلة لجذب الاتباع والافراد قديما وحديثا - كما ان حمدان كان مدركا لبعض النواحي النفسية لاتباعه حيث سلك في مطالبه المالية معهم مبدأ التدرج وبطريقة تصاعديّة كانت مثار اعجاب ودهش لهم وادعى لقبولهم واتباعهم لما يأمرهم به ولذلك وصل حماسهم ذروته فقدّموا هذه الضرائب المالية وادوها عن طيبة خاطر حتى اذا عجز احدهم عن تأديتها ادّلاها عنه غيره راضيا مسرورا وذلك نوع من التعاون والتقارب له اثر كبير في نجاح دعوتهم وانشارها .

هذا وان تسمية هذه الضرائب بالفطرة والهجرة والبلغة والخمس والالفه تسمية لها دلالات معينة ومثل هذه الالفاظ ما يشد الاتباع لدفعها لا سيما اذا تذكرنا ان حمدان يربط هذه المدلولات بالآيات القرآنية .

وقد استعمل جزء من هذه الضرائب وسيلة لنشر الدعوة حيث كان يوزع على الفقراء ويكسو العارى يدل على ذلك قول النويري : فمن كان فقيرا اسعفه .<sup>(٢)</sup>

هذا ولا بد من الاشارة الى ان كل هذه التدابير كانت في وسط الاتباع لا تظهر لغيرهم حيث ان حمدان حرص على ان تسير الحركة في عالم السرية ولا تظهر امام الخلافة العباسية الا بعد انتشار اتباعهم واستطاعتهم

( ١ ) اتعاظ الحنفا للمقريزي ( ١ : ١٥٦ - ١٥٧ ) .

( ٢ ) نهاية الارب للنويري ( ٢٣ : ٥٨ ) .

صد الهجمات عنهم يدل على ذلك قول المقرئى بعد ان تحدث عن نظم حمدان هذه قال : وكان ذلك كله فى سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة (١) وقد ظهر لنا فيما مضى ان خروج القرامطة وظهورهم وعلان ثورتهم انما كان سنة ٢٧٨ هـ وتدابير حمدان هذه تدل على انه كان منظما وصاحب تفكير يعرف كيف يبنى اتباعه ويوجههم كما يريد وذلك خلاف ما ذكره بعض المؤرخين - بكل بساطة - ان حمدان كان جاهلا او بقارا ورجلا بسيطا ساذجا . بينما يعتبر خلاف ذلك فيصفه المقرئى بانه ذكى داهية (٢) كما يصفه آخر بانه كان طموحا واسع الحيلة كيسا ذا كفاية عظيمة (٣).

ومن تدابير حمدان لاتباعه استحداث ما يسميه بنظام الالفة ومهمة هذا النظام اعداد الاتباع وتنظيم الكفاح ضد المخالفين وتهيئة الاجواء المناسبة لاتباعه حيث انصرف الجميع لخدمة الدعوة وتحقيق اهدافها بدلا من العمل لكسب قوتهم لان هذا النظام كفل للجميع حياة رغدة كما مكمن جميع القرامطة من حمل السلاح . واقام الدعاة فى كل قرية رجلا مختارا من ثقاتها يجمع عنده اموال اهل قريته من بقر وغنم وحلى ومتاع وغيره واخذ كل رجل منهم بالانكماش فى صناعته والكسب بجهده ليكون له الفضل فى رتبته وجمعت المرأة كسبها من مغزليها والصبى اجرة نظارته للطير واتوه به فلم يمتلك احد منهم الا سيفه وسلاحه (٤).

ويعتبر هذا النظام الذى سنه حمدان لاتباعه تطبيقا لمبادئ مزدك حول شيوعية الاموال والفا\* ما وهب الله للانسان من حقوق فردية . ولم يكتف حمدان بشيوعية المال بل ذهب الى اهدار كرامة الانسان ففرر شيوعية النساء معللا ذلك بانه من صحة الود والالفة بينهم وعن هذا يقول النويرى : ان القرامطة كانوا يجمعون النساء فى ليلة معروفة ويختلطن

( ١ ) اتعاظ الحنفا للمقرئى ( ١ : ١٥٧ ) .

( ٢ ) اتعاظ الحنفا ( ١ : ١٥٥ ) .

( ٣ ) دائرة المعارف الاسلامية ( ٨ : ٧٧ ) .

( ٤ ) اتعاظ الحنفا ( ١ : ١٥٧ ) .

بالرجال وذلك من صحة الود<sup>(١)</sup> .

ووصف احد المستشرقين<sup>(٢)</sup> دعوة حمدان هذه بقوله : لما فاز قرمسط بتنفيذ كل ذلك ووافقه عليه صاحبه امر الدعاة ان يجمعوا النساء في ليلة معروفة ومعينة بحيث يمكن للرجال ان يستمتعوا بهن في اختلاط وشيوع وكان يقول ان ذلك هو الكمال واقصى درجات الصداقة والاخاء . واحيانا كان الزوج يقدم زوجه بنفسه الى رفاقه متى سرهم ذلك .

وقد ذكر ابن الاثير وابن سنان حادثة تدل على هذا المنطلق البشع لدى القرامطة فذكروا ان الجنابي - مؤسس دولة القرامطة بالبحرين - قدم زوجته ليحيى بن ذكويه وامرها بعدم الامتناع<sup>(٣)</sup> .

وبين المقرئى ان حمدان كان يتدرج بلوامره هذه حتى اذا ما وثق من تطبيقها طالبهم بما هو اشد بعدا وانحرافا عن تعاليم الاسلام .

فمن اشتراكية الاموال الى شيوعية الاعراض يقول عن ذلك :

فلما استقام له ذلك ( اى تطبيق اشتراكية الاموال ) امر الدعاة ان يجمعوا النساء ليلة معروفة ويختلطن بالرجال ويتراكن ولا يتنافرن فان ذلك من صحة الود والالفة بينهم<sup>(٤)</sup> .

اما تعاليم حمدان الاعتقادية فانه لما تمكن من امورهم ووثق بطاعتهم وتبين مقدار عقولهم اخذ في تدريجهم واتاهم بحجج من مذهب التشوية<sup>(٥)</sup> فسلكوا معه في ذلك حتى يقضى على ما كان يأمرهم به في مبدأ امرهم من الخشوع والورع والتقوى وظهر منهم بعد تدوين كثير اباحه الاموال والفروج والخفاء عن الصوم والصلاة والفرائض واخبرهم ان ذلك كله موضوع عنهم . وان اموال المخالفين ودماءهم حلال لهم وان معرفة صاحب الحق - اى امامهم محمد

( ١ ) نهاية الارب للنويرى ( ٢٣ : ٥٩ ) .

( ٢ ) دى ساس نقل من تاريخ الجمعيات السرية لمحمد عنان ( ص ٣٤ - ٣٥ ) .

( ٣ ) الكامل لابن الاثير ( ٩٣ : ٦ ) ، تاريخ اخبار القرامطة ( ص ١٤ ) .

( ٤ ) اتعاظ الحنفا ( ١ : ١٥٧ ) .

( ٥ ) مذهب من مذاهب الفرس القديمة و خلاصته القول بالهين اثنين الى الخير

وهو النور واله للشر وهو الظلمة . انظر الملل والنحل للشهرستانى ( ٤٩٢ : ٤ ) .

ابن اسماعيل - تغنى عن كل شىء ولا يخاف معه اثم ولا عذاب وان هذا الامام هو المهدي الذي يظهر ويقيم الحق وان البيعة له وان ما يجمع من الاموال مخزونة له . . .<sup>(١)</sup>

ويصف النويرى حالة القرامطة بعد هذه التعاليم وتلك التربية بقوله :  
وظهر فى كثير منهم الفجور وسط بعضهم ايدى بهم لسفك الدماء وقتلوا جماعة  
من اظهر خلافا لهم فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم  
فأظهر موافقتهم كثير من مجاورهم جزعا منهم<sup>(٢)</sup> ويشاركه المقرئى فى ذلك<sup>(٣)</sup> .

ويقول عنان : انه نتيجة لهذه التربية وتلك التعاليم التى ابتدئ بها  
حمدان قرمط سرعان ما تحول القرامطة الى عصاية هائلة من السفاكين والاشقياء  
تقتل خصوصها وتستحل اموالهم واعراضهم وتنشر الدمار والرعب فيما حولها  
من الانحاء<sup>(٤)</sup> .

وبعد انتشار الدعوة واتساع رقعتها اخذوا فى دور الظهور حيث  
اجتمع الدعاة واتفقوا على ان يجعلوا لهم موطئا يكون وطنهم ودار هجرة  
يهاجرون اليها ويجتمعون بها فاخترت من سواد الكوفة قرية فحازوا اليها  
صخرا عظيما وبنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانية اذرع ومن ورائه خندق عظيم  
وفرغوا من ذلك فى اسرع وقت وبنوا فيها البناء العظيم وانتقل اليها الرجال  
والنساء من كل مكان وسميت دار الهجرة وذلك فى سنة سبع وسبعين ومائتين  
٢٧٧ هـ . فلم يبق حينئذ احد الا خافهم ولا بقى احد يخافونه لقوتهم  
وتمكثهم من البلاد<sup>(٥)</sup> .

ولا شك ان اعمالهم هذه كانت تسير فى طى الخفاء وقد استفادوا من

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥٨) .

(٢) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٦٩) .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٥٨) .

(٤) تاريخ الجمعيات السرية لمحمد عنان (ص ٣٥) .

(٥) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٦٩) ، اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٥٨) .

اخطاء من سبقهم والذين عجلوا بالظهور قبل اوانه كحركة الهزيمة وشوورة الزنج ويذكر المقرئى بعض العوامل التى ساعدت على انتشار دعوة القرامطة وقوتها فى ابان ظهورها يقول : وكان الذى اعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج وصاحب الزنج بالبصرة وقصر يد السلطان وخراب العراق وتركه وركوب الاعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر وتلاف الرجـال (١) وفساد البلدان فتمكن هؤلاء وبسطوا ايدى بهم فى البلاد وعلت كلمتهم .

ولما تهياً الامر لحمدان وكثر اتباعه اعلن ثورته فى اول امره بشكل بسيط ثم ظهرت تلك الثورة بشكل قوى ومفاجى . وذلك فى عام ٢٨٧ هـ فى مكان اسمه جنبلا بين الكوفة وواسط فهاجم المسلمين وقتل النساء والاطفال واحرق الدور وسار بدر عامل الخليفة المعتضد الى القرامطة وشتتهم ووقع فيهم مقتلة كبيرة الا انه لم يفن حركتهم لانه - على ما يقال - كان بحاجة الى العمال والمزارعين ليقوموا بشئون الارض والعمل فعادت الدعوة ثانية وعادت الثورة عام ٢٨٩ هـ .

شعر الخليفة وبعد فترة بخطورة الحال فوجه اليهم جيشا كبيرا وظفر بهم واخذ رئيسا لهم يعترف بابى الفوارس قام به المعتضد فعذب ثم قتل (٢) .

( ١ ) المرجع السابق ( ص ١٥٩ ) .

( ٢ ) انظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير ( ٩٥ : ٦ - ١٠٠ ) وفى نفـس الصفحة الاخيرة يذكر ابن الاثير نص المناظرة الجريئة التى جرت بين الخليفة العباسى المعتضد وبين ابى الفوارس وهى تدل على شجاعة القرامطة ورباطة جأشهم وتمسكهم بأرائهم ومعتقداتهم فى اقسى الظروف وهذه نص المناظرة . قال الخليفة لما احضرا با الفوارس بين ايدى اخبرنى هل تزعمون ان روح الله تعالى وارواح انبيائه تحل فى اجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل ؟ فقال له : يا هذا ان حلت روح الله فينا فما يضرك . وان حلت روح ابليس فما ينفعك فلا تسأل عمالا يعينيك وسل عما يخصك قال : ما تقول فيما يخصنى ؟ قال اقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وابوكم العباس حى فهل طلب الخلافة ام هل بايعه احد من الصحابة ؟ ثم مات ابو بكر =



وهنا يحدث امر غريب وهو ان حركة القرامطة في العراق تختفى وتسكت الى امد بعيد بينما تنفجر وتظهر في اماكن اخرى بعيدة في الشام وفلسطين البحرين وفي اليمن . ويظل الخفاء يحيط بقرامطة العراق حتى سنة ٣١٦ هـ ، حينما قاموا بثورتهم الكبرى .

ومهما يكن من امر فان حمدان اختلف مع قيادة الدعوة الاسماعيلية فسي سلمية مركز الدعوة الاصلية<sup>(١)</sup> وفي وسط هذه الاحداث الخاضعة لاختفى حمدان وقتل عبادان وتختلف الروايات وتتعدد حول نهايتهما فالبعض يرى ان زعماء الاسماعيلية الحقوا بالضرر بهما وانهم دبروا مع آل زكرويه القضاء عليهما<sup>(٢)</sup> . ويرى البعض الاخر ان نهاية حمدان بالذات كانت طبيعية وانه توفي لكبر سنه . ويذكر الحمادي ان حمدان قتل ببغداد<sup>(٤)</sup> ويقرب من ذلك قول الزركلي انه قبض عليه عامل الرحبة سنة ٢٩٣ هـ وقتله المكتفي بالله الخليفة العباسي<sup>(٥)</sup> وقيل انه رحل الى الشام ومات فيها بعد ذلك<sup>(٦)</sup> .

= فاستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص الىه ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة انفس ولم يوص اليه ولا ادخله فيهم فيماذا تستحقون الخلافة ؟ وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها فأمر المعتضد به فقتل .

( ١ ) يذكر المقرئ خلافا اساسيا حدث بين زعماء الاسماعيلية في سلمية وحمدان قرط حول الامامة حيث يرى حمدان ان الامام الحقيقي محمد بن اسماعيل اما زعماء سلمية فانكروا امامته وكانت النتيجة ان جمع حمدان الدعوة وامرهم بقطع الدعوة عن زعماء سلمية . انظر اتعاظ الحنفية ( ١٦٧ : ١ - ١٦٨ ) .

( ٢ ) نهاية الارب للنويري ( ٢٣ : ٧٠ ) ، اتعاظ الحنفية للمقرئ ( ١ : ١٦٨ ) .

( ٣ ) قرامطة العراق لعليان ( ص ٨٣ ) نقلا عن المستشرق الفرنسي دي غويه .

( ٤ ) كشف اسرار الباطنية للحمادي ( ص ١٨ ) .

( ٥ ) الاعلام للزركلي ( ٦ : ٣٥ - ٣٦ ) .

( ٦ ) دائرة المعارف الاسلامية ( ٨ : ٧٧ ) .

وهكذا نرى الغموض يحيط في آخر حياة حمدان قرمط وتلك سنة من سنن الله عز وجل في المتأمرين والهدامين الذين يعيشون في الأرض فسادا . وقد ترك من بعده اتباعا له آخروا بتعاليمه وساروا على نهجه وطريقته ففسس الضلال والهدم . وعلى رأس هؤلاء " عبدان الذي يعتبر من الصق الاتباع به واكثرهم خدمة لدعوته .

## ( ٢ ) عبدان الكاتب

~~~~~

لكل حركة من الحركات نظام فكري تقوم على اساسه تلك الحركة ويواكبها في كل تحركاتها ونظمها ولا تقوم الحركات ويتجمع الافراد الا على ذلك . ونحن حينما ندرس اى مذهب من المذاهب فاننا نجد اتباعه والمؤمنين به يقدمون فى سبيله كل ما يملكون ويستطيعون فبعضهم يقدم خدمة فكرية وبعضهم يقدم دورا قياديا والبعض الاخر يقدم دورا تربويا وهكذا تتوزع الجهود والاعمال حسب المواهب والطاقات .

وحيثما نتبع دعاة القرامطة نجد بعضهم يبرز فى ناحية تخدم الدعوة والبعض الاخر يبرز فى ناحية اخرى ومن ابرز دعاةهم فى المجال الفكرى وانشطهم بلا منازع عبدان القرمطى والملقب بعبدان الكاتب لكثرة ما كتب والف فى المذهب ولذا يصفه البعض بأنه عقل القرامطة الاول (١) .

والحقيقة ان حياته العلمية وظروف نشأته بقيت مجهولة الى اليوم ومع التتبع للمصادر والمراجع لا نجد الانتفا قليلة تلقى الضوء على حياة هذا الرجل وسوف اتتبع هذه النتفا القليلة لعلها تعطينا بعض الحقائق عن هذه الشخصية التى تأتى بالدرجة الثانية بعد حمدان قرمط .

اشتهر عبدان بالتأليف والتصنيف للمذهب ويصفه ابن النديم بقوله : انه اكثر الجماعة كتابا وتصنيفا (٢) ولكثرة ما ألف فى المذهب فقد استفله بعض دعاة القرامطة حيث ينسبون كتاباتهم الى عبدان ليضمنوا لها الذىوع والانتشار . وما ذلك الا لشهرته فى التأليف ويقول ابن النديم عن ذلك وكل من عمل كتابا نحله اياه اى نسبه الى عبدان ومن امثلة ذلك ما فعله ابن اخت عبدان وهو عيسى بن موسى الذى كان يشتري بعض الكتب من الوراقين وينسبها الى خاله عبدان . يقول النويرى عن ذلك العيب : واقام عيسى

(١) قرامطة العراق لعليان (ص ٨٣) .

(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٢٤٠) .

(٣) المرجع السابق بنفس الصفحة .

ببغداد . . يعمل كتباً يجمع فيها ما يأخذه من كتب يشتريها من الوراقين . .
ورتب كتباً نسبها الى عبدان الداعي ليوهم الناس ان عبدان كان احد العلماء
بكل فلسفة وغيرها وانه يعلم ما يكون قبل وقوعه .^(١)

ومثل هذا العبث والخلط والاضطراب يجعلنا نشك في اى كتاب ينسب
للقرامطة ولا سيما لعبدان ومن امثلة ذلك ما ذكرته احدى الباحثات من انـه
يوجد بمكتبة تامر كتاب الميزان لعبدان^(٢) اضافة الى ذلك ان ابن النديم ذكر
جميع مؤلفات عبدان مارأى منها وما لم ير ولم يذكر هذا الكتاب . يقول : ولعبدان
فهرست يحتوى على ما صنفه من الكتب فمن ذلك :

(١) كتاب الرحا والدولاب

(٢) كتاب الحدود والاسناد

(٣) كتاب اللامع

(٤) كتاب الزاهر

(٥) كتاب الميدان

ومن كتبه الكبار :

(١) كتاب النيران

(٢) كتاب الملاحم

(٣) كتاب المقصد

ويقول عن هذه الكتب الثلاثة الاخيرة انها بلغتنا وهي الموجودة
والمتداولة وياقى ما فى الفهرست (اى الخمسة الاولى) فيقول عنها قل مارأيناها^(٣)
او عرفنا انسان انه رآها^(٤) ويقول بدوى : ولم يصلنا شئ من مؤلفات عـبدان^(٥)
حتى الان .

(١) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٩٢) .

(٢) الخلفية العقائدية لحركة القرامطة (ص ٢٠٣) .

(٣) وقد وهم الاستاذ عليان حينما اعتبرها سبعة . انظر قرامطة العراق
(ص ٦٢) .

(٤) الفهرست لابن النديم (ص ٢٤٠) .

(٥) مذاهب الاسلاميين للدكتور بدوى (٢ : ١٨٧) .

ونتيجة لهذا التحريف والشموذة اخطأ بعض الكتاب فنسبوا كتاب :
البلاغ السابع الى عبدان^(١) مع العلم ان ابن النديم قال عنه : ولهم - اى للاسماعيلية
البلاغات السبعة ومن ضمنها البلاغ السابع الذى يوجد فيه نتيجة المذهب والكشف
الاكبر ويقول عنه : قد قرأته ورأيت فيها مراما عظيما من اباحة المحظورات والوضع من
الشرائع واصحابها^(٢) .

وهكذا يتضح لنا شهرة عبدان ونشاطه الفكرى خدمة لمذهبه ولا ريب ان
الدعوة صادفت على يده كثيرا من الذيوع والانتشار فدعاة القرامطة المشهورين
اخذوا الدعوة عنه وذلك كآبى سعيد الجنابى مؤسس دولة القرامطة فى البحرين
وزكرويه بن مهرويه زعيم قرامطة الشمال^(٣) .

ويقول المقرئى : ان من قبل عبدان جماعة دعاة متفرقون فى عملهم
فداعيته على فرات باد فلى الحسن بن ايمن . وداعيته على طسوح تستر رجل
يعرف بالبورانى وداعيته على جهة اخرى المعروف بالوليد وفى اخرى : ابوالفوارس
ويضيف المقرئى بان هؤلاء رؤساء دعاة عبدان ولهم دعاة تحت ايديهم فكان كل
داع يدور فى عمله ويتعاهده فى كل شهر مرة^(٤) .

ويوضح النويرى اسلوبا خاصا لعبدان فى دعوته فيقول : انه كان فطنا
خبثا خارجا عن طهقة نظرائه من اهل السواد ذان فهم وحذق وكان يعمى
عند نفسه على حد قد نصب له من غير ان يجاوز الى غيره من خلع الاسلام
ولا يظهر غير التشيع والعلم ويدعو الى الامام من آل رسول الله محمد بن اسماعيل
ابن جعفر^(٥) .

(١) انظر قرامطة العراق لعليان (ص ٦٣) حيث ذكر ان المستشرق ماسينيون
اعتبر هذا الكتاب من مؤلفات عبدان . وكذلك المزاولى حيث قال : ويبدو
لى ان هذا الكتاب من تأليف عبدان تلميذ قرمط . انظر حاشية سياسة
نامه للطوسى (ص ٢٧٩) .

(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٢٤٠) .

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم (ص ٣٨٨) .

(٤) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٥٥) .

(٥) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٢٦) .

٢. وكان حمدان قرمط يوجهه في بعض المهمات الاساسية للدعوة فحينما مات الامام الاسماعيلي ارسله حمدان الى مقر الامة - الذي كان لا يعرفه ولا يتصل به الا المقربين - ليعرف خبر الامام ومن خلفه في رئاسة الدعوة فأدى مهمته هذه بنشاط واستجابة سريعة خلاف ابن طليح الذي طلب حمدان منه الذهاب فامتنع .^(١)

ولما كان يتمتع به عیدان من نشاط وبراءة في سبيل الدعوة ونشرها فانه الشخص الوحيد الذي كان صهيئاً لخلافة حمدان قرمط في رئاسة الدعوة ويبدل على ذلك قول ابن النديم : فاما اليمين وفارس والاحسا فان الدعاة صاروا الى هناك من جهة عیدان خليفة حمدان قرمط وصهره .^(٢)

ولكن هل تولى عیدان زعامة القرامطة ام كانت نهايته قبل توليها ؟ وللاجابة على ذلك فان المصادر لا تلقى على ذلك الا نزرا يسيرا من الاخبار ولكن يدولى - من خلال هذا النزير اليسير - ان ثمة صراعا خفياً حدث بين زعماء القرامطة بالعراق حول رئاسة الطائفة بعد حمدان وكان عیدان وزكرويه يطمعان في تلك الرئاسة . فعیدان كان عقل القرامطة المفكر والرجل الذي اعتنق الدعوة على يديه مشاهير القرامطة ولذلك كان من الطبيعي ان يخلف حمدان قرمط .

وكان ذكرويه ينافس عیدان على تلك الزعامة ويعتقد انه احق به لان اباه كان من دعاة ائمة الاسماعيلية الاوائل واحد انصارها قبل حمدان قرمط نفسه وكان شعور آل ذكرويه باصالتهم في الدعوة على هذا النحو مدعاة لطموحهم ذلك الطموح الذي دفعهم الى قتل عیدان حتى يصفولهم الجولتولى زعامة القرامطة بالعراق^(٣) وما يدل على ذلك ما ذكره المقرئى من ان مبعوث الامام الاسماعيلي لما جاء مستفسرا عن انقطاع المكاتبة بين قيادة الدعوة في سلمية

(١) اتماظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٦٧ - ١٦٨) .

(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٩) .

(٣) قرامطة العراق لعليان (ص ٨٣) .

وبين القرامطة مضى الى عبدان فعاتبه وعاتب الدعاة على انقطاع كتبهم ولكن عبدان عرفه بقطيعهم للدعوة وانهم لن يعودوا فيها فانصرف هذا المبعوث الى زكرويه بن مهرويه فاستجاب له وقال ان هذا لا يتم مع عبدان لانه داعى الى البلد كله والدعاة من قبله والوجه ان نحتال على عبدان حتى نقتله . وباطن على ذلك جماعة من قرابته وثقاته وقال لهم : ان عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة . فبيتوه ليلا وقتلوه وذلك فى سنة ست وثمانين ومائتين للهجرة^(١) .

ولعل الدكتور بدوى اعتمد على هذه الرواية فذكر ان وفاة عبدان انما كانت عام ست وثمانين ومائتين ٢٨٦ هـ^(٢) .

وبعد موت حمدان وقتل عبدان يتوقف النشاط القرمطى فى العراق وتخفت ثوراتهم فترة طويلة الى ان قاموا بثورتهم الكبرى سنة ٣١٦ هـ . حيث تجمعوا من جديد حول قائدين احدهما يدعى يعيس بن موسى وهو ابن اخ عبدان والاخر حريث بن مسعود . ويقول ابن الاثير ان الذى شجعهم على ذلك هو انتصارات قرامطة البحرين بزعامة ابي طاهر القرمطى ويشير الى انهم كانوا يكتمون اعتقادهم فلما اجتمعوا اظهروا اعتقادهم واجتمع منهم بسواد^(٣) واسط اكثر من عشرة آلاف رجل ولوا امرهم حريث بن مسعود .

سار القائد الاول عيسى بن موسى مع اتباعه الى الكوفة ونزل بظاهرها وجبى الخراج وطرد عمال الخليفة العباسى المقتدر من السواد ووجه دعائه الى جميع من بالسواد من القرامطة فاستجابوا له وتوافدوا اليه . وقد هاجمته جيوش الخليفة بقيادة صافى البصرى وانتهى الامر بالقبض عليه وسجنه فى بغداد^(٤) .

-
- (١) اتماظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٨) .
 (٢) مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى (٢ : ١٨٥) .
 (٣) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٩٤) .
 (٤) المرجع السابق بنفس الصفحة .

اما حريث بن مسعود فخرج بواسط ووقع الهزيمة باحد الجيوش العباسية التي تصدت له واستولى على مؤنه وعتاده مما مكه من الصمود طويلا ثم مضى الى اعمال الموفق^(١) واستولى على تلك الناحية وبني بها دار هجرة وكان اتباعه ينهبون ويسبون ويقتلون وتقلد حريمهم والى واسط وقاتلهم ولكنهم هزموه فسير المقتدر بالله^(٢) اليهم هارون بن غريب فوقع بهم الهزيمة وقتل كثيرا منهم واسر منهم كثير وحمل قائد هم حريث بن مسعود الى مدينة السلام حيث قتل هو والا سرى ثم صلبوا واخذت اعلامهم وكانت بيضا ومكتوب عليها قوله تعالى "ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين"^(٣).

ويسمى المسعودى هؤلاء الشوار بالقرامطة البقلية ويعمل ذلك بانه اسم ديانى عندهم ويقول ان جمهور هؤلاء من بنى نهل وبني رفاعه^(٤) ويعتبر هؤلاء النهاية لقرامطة العراق حيث لم تقم لهم بعد ذلك قائمة . يقول ابن الاثير بعد ذكره ثورات هؤلاء : واضمحل امر من بالسواد منهم وكفى الله الناس شرهم^(٥).

لكن هذا لا يعنى انتهاء نشاط القرامطة في اماكن اخرى بل ظل نشاطهم مستمرا ودعوتهم قائمة لا سيما قرامطة البحرين حيث بقيت دولتهم الى حوالى نهاية القرن الخامس وهذا ما سأطرق اليه في الفصل الرابع .
اما قرامطة الشمال وكفاحهم فهذا ما سأحدث عنه في الفصل الاتي .

-
- (١) نهر كبير حفره الموفق ابي احمد الناصر لدين الله بن المتوكل على الله واخى الخليفة المعتمد وقد نسب اليه وهو قرب مدينة واسط . انظر معجم البلدان لياقوت (٥ : ٢٢٤ - ٢٢٥) .
- (٢) الخليفة الحادى عشر بعد المأمون واسمه ايو الفضل جعفر بن محمد تولى الخلافة يوم مات اخوه المكتفى سنة خمس وتسعين ومائتين وعصره ثلاث عشرة سنة مدة خلافته اربعا وعشرين سنة حيث توفي سنة عشرين وثلاثمائة . انظر مختصر التاريخ لابن الكازرونى (ص ١٧٢ - ١٧٣) .
- (٣) انظر صلة تاريخ الطبرى لعريب (٨ : ٩٥ - ٩٧) ، الكامل لابن الاثير (٦ : ١٩٤) اما الاية فهي من سورة القصص آية رقم (٥) .
- (٤) التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٣٨ - ٣٣٩) .
- (٥) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٩٤) .

الفصل الثالث

زعما قرامطة الشام

لم تتوقف حركة القرامطة بعد موت حمدان وقتل عيدان بل تحول نشاطهم نحو الشمال على يد زكرويه بن مهرويه وابنائهم وهؤلاء يطلق على حركتهم اسم حركة الجزيرة المراقية والشام^(١) كما يطلق عليهم قرامطة الشام وبعض المستشرقين يسمون حركة القرامطة بالشام حركة الهلال الخصيب^(٢) . ولغرابية هذه الحركة في الادوار التي مرت بها لا بد من الاشارة الى بعض خصائصها المميزة لها عن حركات القرامطة الاخرى واستطيع ان اجمل هذه الميزات بامور ثلاثة :

الامر الاول :

انها قامت - اى حركة قرامطة الشام - على حساب توقف الحركة القرمطية في العراق وانتقلت الى الشام بين الاعراب والبدو والرحل في فترة غامضة حيث تبدوا الاحداث متشابكة ومتناقضة في آن واحد فموت حمدان رئيس الحركة القرمطية وقتل عيدان كلها كانت جسرا ومعبرا لانتقال النشاط القرمطى من الشام الى العراق ولكن هل كان ذلك لصالح الحركة حيث ابعادها عن مركز الخلافة بغداد ام ان ذلك مجرد تطاحن وتنازع حول القيادة ؟ ذلك ماختلف حوله التفسيرات :

كما ان خلاف قادة القرامطة في الشام مع زعماء الاسماعيليين وتمردهم على تعاليمهم من الاشياء التي يكتنفها الغموض لا سيما اذا تذكرنا ان زكرويه

(١) تاريخ الاسلام لحسن ابراهيم (٣ : ١٩٧) .

(٢) اصول الاسماعيليين لبرنارد لويس (ص ٧٧) ومن الجدير بالذكر ان هذه

الاسماء من تقسيمات المستعمرين للمناطق الاسلامية ومن ذلك تسميتهم

لجزء من الدول العربية بالشرق الاوسط .

(١) اتفق مع مبعوث الامام الاسماعيلى على قتل عیدان والتخلص منه .

ولتفسير ذلك كله فان احد الكتاب ذكر ان ثمة صراعا خفيا حدث بين زعماء القرامطة بالعراق حول رئاسة الطائفة بعد حمدان وكان عیدان وذكرويه يطمحان فى تلك الرئاسة . . فذكرويه ينافس عیدان على الزعامة ويعتقد انه احق بها لان اياه كان من دعاة ائمة الاسماعيلية الاوائل . وكان شعور آل زكرويه باصالتهم فى الدعوة على هذا النحو مدعاة لطموحهم ذلك الطموح الذى دفعهم الى قتل عیدان حتى يصفولهم الجولتولى زعامة القرامطة بالعراق . . (٢)

ومن الشواهد التى تؤيد قيام مثل هذا الصراع بين آل زكرويه وعیدان ذلك الجفاء الذى كان بينهم وبين قرامطة العراق من انصار عیدان عندما وقفوا على ما فعله آل زكرويه بزعيمهم حيث طلبوا زكرويه بن مهرويه ليقتله . . فاستتر وتنقل فى القرى والقرامطة تطلبه الى سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة . (٣) كما ان القرامطة - اتباع عیدان - خالفوه كلها ولذا لما طلب منهم الانضمام الى حركته رفضوا ولم ينضم منهم احد يقول ابن الاثير وابن سنان ان زكرويه بن مهرويه سعى فى استغواء قرامطة السواد فلم يجبه منهم احد الا فخذ من بنى العليص ومواليهم . (٤)

وكذلك يقول احد المستشرقين : ان قرامطة العراق وقرامطة البحرين رفضوا الاعتراف بكل ما ادعاه ابناؤه زكرويه . (٥)

ويستخلص مما سبق ان قتل عیدان وموت حمدان وما تلى ذلك من زعامة زكرويه وابنائهم للحركة هذه الامور كلها ولدت استياء عاما لدى القرامطة فى العراق ما جعل زكرويه ينقل الحركة الى يادية الشام التى وجد فيها

(١) سوف اذكر حادثة زعماء القرامطة الشام مع الامام الاسماعيلى ومحاولتهم قتله بشيء من التفصيل عند الحديث عن شخصية الحسين بن زكرويه .

(٢) انظر قرامطة العراق لعليان (ص ٨٣) .

(٣) اتعاط الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٨) .

(٤) الكامل لابن الاثير (٦ : ٩٩) ، تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ١٧) .

(٥) دى غويه فى مذكراته عن قرامطة البحرين (ص ٥٨) .

كل تقبل وخاصة من الاعراب الذين لاهم لهم الا قطع الطرق والسلب والنهب وعن هؤلاء يقول الطبرى : وكانت جماعة من كلب تخفر الطريق على السبر بالسماوه فيما بين الكوفة ودمشق فارسل زكرويه اولاده اليهم فبايعوهم وخالطوهم وانتموا الى على بن ابي طالب والى محمد بن اسماعيل بن جعفر وذكروا انهم خائفون من السلطان وانهم ملجأون اليهم قبلوهم على ذلك ثم دبوا فيهم بالدعاة الى رأى القرطبة^(١).

ومع هذا فان بعض اهل الشام قد تأثروا بالتحاليم الاسماعيلية بحكم قريبهم من سلميه مقر الائمة الاسماعيليين ولذا يذكر النيسابورى : ان يحيى بن زكرويه - والذى يسميه بابي القاسم بن ابي محمد - لما خرج بالبحث عن الامام وقع اختياره على القاصيين دون غيرهم من القبائل وذلك لان الدعاة كانت تدعو فيهم وان الدعوة قد انتشرت بينهم وقد عاقده هؤلاء وحالفوه وثاروا معه^(٢).

الامر الثانى :

ان هذه الحركة لم تجد الذيوع والانتشار والقبول الا فى وسط البدو والرحل والاعراب الجفاة الذين لاهم لهم الا السلب والنهب . يصف ابن الاثير تأييد البدو للحسين بن زكرويه بقوله : انه دعا الناس فاجابه اكثر اهل البوادي وغيرهم فاشتدت شوكته^(٣).

كما يصف ابن سنان ذلك - مبينا بعض اهداف هؤلاء الاعراب - بقوله انه لما عقد البيعة لنفسه على القرامطة دعاهم الى ما كان اخوه يدعوه اليه فاشتدت شوكته ورغبت البوادي بالنهب فانتالت عليه انشبالا^(٤).

ويقول عليان عن انصار قرامطة الشام : انهم كانوا يقاتلون مع - اى زكرويه - حبا فى الفنائم والاسلاب وليس انتصارا لمذهبه وكثيرا ما كذبوا

(١) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ٢١٤) .

(٢) استتار الامام للنيسابورى (ص ٩٧) .

(٣) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٠٤) .

(٤) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٧٠) .

ينفضون من حول دعاته في ساعة العسرة حين يلوح الخطر كما حدث بالنسبة للحسين بن زكرويه حيث رفض انصاره مواصلة القتال معه ضد العباسيين فاضطره ذلك الى الهرب نحو العراق . وكما حدث بالنسبة للداعي ابي غانم الذي وصل امر اتباعه معه الى حد قتلهم اياه .^(١)

ويحكم ان اتباع هذه الحركة من تلك الطبقة كان الجهل - بطبيعة الحال - مسيطرا عليهم مما جعلهم يتقبلون التمويه والشعوذة التي كان ينادى بها زعماءهم يقول الطبري : ان ابن زكرويه المسمى بيحيى والمكنى بابى القاسم لقبوه الشيخ على امر احتال فيهم ولقب به نفسه . وزعم ان ناقتة التي يركبها مأمورة وانهم اذا تبعوها في مسيرها ظفروا وتكهن لهم واظهر عضدا له ناقصة وذكر انها آية .^(٢)

كما موه على اتباعه قبل موته بقوله لهم : بايعوا لآخي فاني غدا اطلع الى السماء اقيم بها اربعين يوما وآتى اليكم فبايعوا له على اربعين يوما لا غير .^(٣) كما ان اخاه الحسين اظهر شامة في وجهه ذكر انها آية ولقب ابن عم له بالمدثر وذكر انه المعنى في السورة التي يذكر فيها المدثر .^(٤)

ويرى المستشرق ايفانوف : ان ابتعاد المهدي عن حركة آل زكرويه يرجع الى انه ما كان ليوافق علنا على ان يكون اولئك البدو والذين استجابوا لآل زكرويه مبشرين بظهور المهدي لان هؤلاء " يسفكون الدماء بينما كان الاسماعيليون يمنون الناس بان امامهم حين يظهر سيما لا الارض عدلا بعد ما طئت جورا " .^(٥)

وهكذا لم تقم دولة لآل زكرويه لعدم وجود قاعدة صلبة من المبادئ

(١) قرامطة العراق لعليان (ص ١٤٨ - ١٤٩) .

(٢) تاريخ الطبري (٨ : ٢١٤) .

(٣) استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٩) .

(٤) تاريخ الطبري (٨ : ٢١٥) .

(٥) انظر قرامطة العراق لعليان (ص ١١٠ - ١١١) نقلا عن ايفانوف .

والافكار فاتباعهم وجنودهم تربوا على الشحونة والمخاريق الكاذبة التي وجدت لها رواجاً في مجتمع الاعراب حيث لا تربطهم روابط فكرية او هـستى تعاون فى سبيل هدف كريم وكانت النتيجة ان هذه الحركة لم تتمتع فترة طويلة حيث قضى عليها عام ٢٩٤هـ مع العلم انها ظهرت فى عام ٢٨٩هـ .

الامر الثالث :

ان نطاق حركة قرامطة الشام ضيق للغاية حيث كان محور نشاطها وحركتها اسرة واحدة هي اسرة آل زكرويه فما ان انتهت هذه الاسرة بالقضاء على زكرويه بن مهرويه سنة ٢٩٤ هـ الا كان يصحبة ذلك موت الحركة ونهايتها ولذا يقول المقرئى : ومات خبر القرامطة بموت زكرويه .^(١)

ان اصالة هذه الاسرة في الدعوة الاسماعيليه وجدت في عهد مبكره
فالمقریزی یشید بنشاط ابیہم مہرویہ حیث یعتبر من اتباع الدعویۃ الاسماعیلیۃ
الاوائل ومن کبار رجالہا .

كما انه من اوائل من استجاب لحمدان قورط ويصفه المقریزی بأَنَّهُ
 احد الدعاة الذين صارت لهم مرتبة في الثقة والدين وانه عظم قدره في اعين
 الناس .^(١)

ولشعورهم بهذه الاصاله في الدعوة وجهودهم في نشرها كانوا يترقبون
مركزا في عالم الدعوة الاسماعيليه ودفهم ذلك الى المؤامرة في قتل عبيدان
لانهم يرون احقيتهم عليه . كما ان عزل يحيى بن زكويه احدث لديهم صدمة
عنيفة دفعتهم الى قتل ابي الحسين الاسود نائب الامام الاسماعيلى المهدى
بل المؤامرة على قتل الامام المهدى نفسه .
(٣)

(۱) اتعاظ الحنفا للمقریزی (۱: ۱۷۹) •

(٢) المرجع السابق (١: ١٥٥-١٥٩) .

(۳) استتار الامام للنيسابوری (ص ۹۶) •

ولما لهذه الاحداث من اهمية بالغة في ايضاح ما بين القرامطة
والاسماعيلية فسوف نتعرض لها بالتفصيل عند الحديث عن شخصيات هذه
الاسرة التي اشتهر منها ثلاثة افراد وهم :

(١) يحيى بن زكرويه

(٢) الحسين بن زكرويه

(٣) والدهم زكرويه بن مهرويه

وقد كان لكل واحد من هؤلاء دور قيادي وعسكري دفعنى الى الحديث

بالتفصيل عن كل شخص على حده بدءاً بيحيى .

(١) يحيى بن زكرويه القرمطى

اختلف المؤرخون في تسمية هذا الشخص فالطبرى يقول : ان اسمه يحيى وكنيته ابو القاسم ولقبه الشيخ . وقد زعم لا تباعه من القرامطة انه ابو عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد . كما قيل انه زعم انه محمد بن عبد الله بن يحيى . كما قيل ايضا انه زعم انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ^(١) . واما ابن خلدون فيقول انه حول اسمه وادعى انه محمد بن عبد الله ^(٢) وانه كان يكتن هذا الاسم .

ويسميه ابن كثير بيحيى بن زكرويه بن مهرويه ^(٣) غير ان البغدادى يسميه بابى القاسم بن مهرويه ^(٤) ومن القاب المشهورة صاحب الجمل وصاحب الناقة ^(٥) . ان امامنا الان عدة اسما والقاب لشخصية واحدة فعلى ان عند التتبع لعماله وتحركاته الا نفعل هذا التعدد بل نجعله نصب اعيننا لكى نصل الى حقيقة الاحداث التى قام بها بعد التأكد من نسبتها اليه . ومن الملاحظ ان زعماء هذه الحركة يتغفون ويتسترون من خلال هذه المزاعم الكاذبة ويكون ذلك مدعاة للتمويه بالشخصية الحقيقية . وما يؤكد ذلك ما ذكره ابن سنان عن يحيى بن زكرويه بقوله : لما بايعه بعض الاعراب فى الشام زعم لهم انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل ^(٦) . بل ذكر المقرئى ان اباه زكرويه هو الذى امره بهذا الانتساب ^(٧) .

-
- (١) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ٢١٤) .
 - (٢) العبر لابن خلدون (٤ : ١٨٤) .
 - (٣) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٨٥) .
 - (٤) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٧٤) .
 - (٥) تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ٧٣ - ١١٠) .
 - (٦) المرجع السابق (ص ١٨) .
 - (٧) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٦٨) .

اتصف يحيى بكثرة الشعوذة والتمويه ومن مغاريقه انه كان يركب جملاً ويأمر اصحابه الا يقاتلوا حتى ينبعث الجمل من قبل نفسه وبين لهم انهم اذا فعلوا ذلك لم يهزموا وانه اذا اشار بيده الى ناحية اعدائه انهزموا^(١).

وكان يموه على اتباعه ويقول لهم : بايعوا لاخى فانى غدا اطلع السى السماء اقيم بها اربعين يوماً واتى اليكم^(٢).

كما تكهن لهم وظهر عضدا له ناقصة وزعم انه آية ومع اسفاهه فى مثل هذه الامور فقد وجد آذانا صاغية لمثل هذه الخزعيلات . يقول الطبرى : ان هذه التمويهات والادعاءات وجدت طريقها الى بعض الاعراب من بنى الاصبغ حيث اخلصوا له وتسموا بالفاطميين ودانوا بدينه^(٣).

ان العامل الاساسى لقبول مثل هذه الامور هو الجهل الذى سيطر على اهل البوادي بحيث اصبحوا لا يفقهون من حياتهم الا العبث والنهب والانفلات من جميع الاحكام وهذه الادعاءات والتمويهات لا تملك من امر البقاء شيئا وما كان لها ان تبقى غير انها وجدت مكانا صالحا لنموها ذلك المكان هو مجتمع جاهل متخلف .

اما مجتمع العلم والفقه فى الدين فلا تتسبب هذه اليه ولا تجد له نفاذا لان العلم يبدد الظلمات والاهام ويكشف الدجالين والمخترقين .

ومع ان عامل الجهل كان له اثر كبير فى نشر آراء يحيى القرمطى فلم يكف بهبل استخدم سلاحا آخر لمن عندهم اثاره من علم ذلك السلاح هو البطش والقوة ويدل على ما ذكرنا ان القرامطة حينما دخلوا الشام استخدموا القوة والعنف فاجتهدوا فى قلوب الناس الخوف بحيث اعتنق مبادئهم الكثير ممن حول دمشق خوفا وهلعا . يقول المسعودى : ان القرمطى لما حاصروا دمشق لمدة ثلاثة اشهر وعشرين يوماً يقاتل فيها اشد قتال تفرط اكثر من حول دمشق من الفوضى وغيرها^(٤).

-
- (١) المسالك والممالك للبكرى (ورقة ٢٢١) .
 - (٢) استتار الامام للنيسابورى (ص ٩٩) .
 - (٣) انظر تاريخ الامم للطبرى (٨ : ٢١٤) .
 - (٤) التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٢٢) .

اعمال القرمطى الاجرامية .

اجتمع اليه خلق كثير من بنى الاصبح واخلصوا له الى جانب اتباعه
الاوائل من بنى العليص ثم سار بهم الى ناحية الرقة سنة ٢٨٩ هـ فلقبهم
عالمها فاصطلمه القرمطى ومن معه من الجنود .^(١)

ثم دخلوا الرصافة فاحرقوا مسجدها ونهبوه . وساروا نحو الشام
يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها الى ان وردوا اطراف دمشق فاتصل خبره
بطعج بن جف وهو يومئذ امير دمشق فتهاون به وركب اليه وهو يظن انه
من بعض الاعراب بغير اهبة ولا عدة ومعه الجزاة والصقور كانه خارج الى الصيد
فلما صافه لقيه رجلا متلففا على الشر وذلك لما تقدم له من الظفر بجماعة
من اعيان الملوك فقاتله طعج فانهزم منه اقبح هزيمة ونهبت عساكره وعاد
طفج الى دمشق مكسورا فدخل قلوب الشاميين منه فزع شديد .^(٢)

بعد ذلك اجتمع الى القرمطى خلق كثير من الاعراب واتباع الفتن
فسار بهم الى دمشق .^(٤)

يقول ابن الاثير : ان القرمطى حصر دمشق سنة ٢٩٠ هـ وضيق على
اهلها وقتل اصحاب طعج فلم يبق منهم الا القليل واشرف اهلها على
الهلكة فاجتمع جماعة من اهل بغداد وانهاوا ذلك الى الخليفة فوعدهم
النجدة واعد المصريون اهل دمشق بيدر وغيره من القواد فقاتلوا الشيخ مقدم
القرامطة فقتل على باب دمشق .^(٥)

وينقل ابن ابى الازهر قال حدثني كاتبه المعروف باسماعيل بن النعمان
عن هذه الواقعة قال : فصرت اليه (اى القرمطى) مرة وهو راكب على نجيبه

(١) المرجع السابق بنفس الصفحة .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٩) .

(٣) النجوم الزاهرة لابن تفرى (٣ : ١٠٤) .

(٤) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٧٢) .

(٥) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٠٤) .

وعليه دراعة ملحم فقلت له قد اشتد الامر على اصحابنا وقد قربوا منك ففتح عن هذا الموضع الى غيره فلم يرد على جوابا ولم يثر نجيبه فعدت اليه ثانية فقلت له قم فانتهرني ولم يرم الى ان وافته زانة او قال حرية فسقط عن البعير وكاثرنا من يريد اخذه فمضنا منه وقتل زها* مائة انسان في ذلك الموضع . ثم اخذناه وتنحينا باجمعنا^(١) .

اما اتباعه الذين رباهم على الشعوذة والتمويه فلم يقتنعوا بموته يقول النيسابورى : فلما رجعوا واجتمع جميع الحساكر قالوا صاحبا صعد الى السماء^(٢) .

وكان يحيى بن زكرويه قد اوصى اتباعه بولاية امر القرامطة بعده الى اخيه الحسين بن زكرويه قائلا لهم : هذا اخى قد قدم ونحن بالفداة نلتقى للقتال فبايعوا لاهى فاني غدا اطلع الى السماء اقيم بها اربعين يوما واتى اليكم^(٣) .

(١) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٧٤) .

(٢) استتار الامام (ص ٩٩) .

(٣) المرجع السابق بنفس الصفحة .

(٢) الحسين بن زكرويه القرمطى

ولى الحسين بن زكرويه امور القرامطة بعد مقتل اخيه يحيى تنفيذا
للوصية التى اوصى بها اخوه يحيى وزعم لهم - كما زعم من قبله - انه احمد بن
عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهو ابن نيف وعشرين سنة^(١)
ونسب نفسه هكذا . وقيل ان اسمه احمد بن عبد الله بن محمد بن
جعفر وقيل محمد بن عبد الله بن جعفر . وقيل عبد الله بن احمد بن محمد بن
اسماعيل وقيل ان اسمه الحسين بن زكرويه بن مهرويه . وقيل ابن مهـرى^(٢)
الصوانى وقيل ان القرمطى من يهود نجران وانه دعى .
ويقول ابن سنان فى تاريخه عن الحسين : انه كثيرا ما يقع الاختلاف فى
اسمه ونسبه . ويعرف بابن المهزول - كما يلقب بصاحب الخال لانه كان على
خده الايمن خال^(٣) .

ومما يؤكد غموض هذه الشخصيات وتقلبها ما ذكره ابن ابى الا زهر حيث
سأل كاتب يحيى بن زكرويه القرمطى^(٤) قال هذا الذى اقمتموه مقامه هو اخوه ؟
فقال لا والله ما نعلم ذاك . غير انه وافانا قبل هذه الحادثة بيومين فسألناه
من انت من الامام ؟ فقال : انا اخوه ولم نسمع من الشيخ شيئا فى امـره^(٥)
ولقد زعم - كما زعم من قبله - القدرة على عمل المعجزات فظهر شامة بوجهـه
الاسود زعم انها آيته - فلقب بصاحب الشامة - كما زعم انه المهدي^(٦) .

كما انه اتاه ابن عمه عيسى بن المهدي^(٧) المسمى عبد الله بن احمد بن
محمد بن اسماعيل فلقبه المدثر وعهد اليه وزعم انه المدثر الذى فى القرآن .

-
- (١) تاريخ الامم والملوك للطبرى (٨ : ٢١٥) .
(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٦٩ - ٧٢) .
(٣) المرجع السابق (ص ٧١) .
(٤) هذا الكاتب يلقب بابى المحمد بن واسمه اسماعيل بن النعمان وهو واحد
رؤساء القرامطة الذين تركوا القرمطى الحسين وطلبوا الا مان من الخليفة
المباسى فانهم . تاريخ اخبار القرامطة (ص ٧٦) .
(٥) المرجع السابق (ص ٧٤) .
(٦) اخبار مكة للحنفى (ص ١٥٠ - ١٥١) .

(١)

ولقب غلاما من اهله المطوق وقلده قتل اسرى المسلمين .

وذكر ان ابي الزهر في تاريخه انه سأل ابا المحمد بن عن هـ هذه الشخصية الفاضلة " المطوق " فذكر انه رجل من اهل الموصل وانه صار الى الامام بزعمه فجعل يورق له ويسامره ولم يعرف قبل ذلك الوقت .^(٢)

قام الحسين باحداث دامية ومؤلمة تفوق من سبقه فبعد ان تجمع لديه الاتباع من ابطال السلب والنهب ضرب الحصار على دمشق ولم يفك الحصار حتى صالحه اهلها على خراج دفعوه اليه وانصرف عنهم .^(٣)

غير ان النيسابوري يذكر ان اهل حمص كتبوا الى الحسين قائلين له " اقدم علينا ودع دمشق فاننا في طاعتك " فقدم الى حمص بالمساكر وخلق عن دمشق .^(٤)

ومن هنا يتضح ان اهل حمص عندهم من الاستعداد لقبول دعوة القرطبي الامر الذي دفعهم بطلب قدومه اليهم وترك دمشق وعلان طاعتهم له وقد قوبل الحسين بمظاهر الترحيب يصف النيسابوري ذلك بقوله :

ولما قدم ابوهمزول الى حمص اطاعوه وسمعوا له . وقدم اليه مشايخ البلد في حمص وحماة مرحبين به حتى ان كبير دعاة المهدي ابو الحسين بن الاسود قدم مع من قدم من مشايخ حماة لعلان ولائهم للحسين بن زكرويه والسلام عليه .^(٥) كما ان الخطباء كانوا يرددون هذا الدعاء في الخطبة " اللهم اهدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهدي صاحب الوقت امير المؤمنين المهدي

(١) الكامل لابن الاثير (١٠٥ : ٦) .

(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت وابن المديم (ص ٧٦ - ٧٧) .

(٣) الكامل لابن الاثير (١٠٤ : ٦) ، المعبر لابن خلدون (١٨٥ : ٤) ،

البداية والنهاية لابن كثير (٩٦ : ١١) ، المنتظم لابن الجوزي

(٣٨ : ٦) ، المعيون والحدائق لمجهول (ص ١٨٤) .

(٤) استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٩) .

(٥) المرجع السابق (ص ١٠٠) .

اللهم املاً الارض به عدلاً وقسطاً ودم اللهم دمر اعداءه^(١) . وهذه الخطبة تدل دلالة واضحة على ان اهل حمص كانوا بانتظار الحسين بن زكرويه وانسه هو الامام المهدي المنتظر وسبق ان ذكرنا انه مهد لذلك بادعاءه الانتساب الى اسماعيل بن جعفر وقد اقرهم الحسين على ما في هذه الخطبة من النعوت والالقب التي تدعو الى الاقرار والمناذاة به اماماً واميراً لهم . وعدل ما يحتاج في الخطبة الى تعديل فاصدر امره بأن لا يدعو عليهم بل يدعوا لهم بالهداية والطاعة لأمه وان يجعل اعداءه له خاضعين وينصره على كل من يعاديه^(٢) . كما ان هذا التعديل يدل على ان القرطبي يحاول كسب قلوب الاعداء والتقرب الى اهالي بقية المدن السورية التي انتشرت فيها الدعوة الاسماعيلية .

الحسين بن زكرويه والامام العبيدي "عبيد الله المهدي" .

قام الحسين بن زكرويه باحداث دامية مع مركز الدعوة الاسماعيلية ففى سلميه وذلك بالخروج على الامام الاسماعيلى ومطاردته للقضاء عليه وماتبع ذلك من دخوله سلميه وتكليه باقرباء المهدي وسوف اتابع خطواته مستنداً فى ذلك على كتاب استتار الامام^(٣) وبعض الكتب التاريخية الاخرى .
يحدثنا النيسابورى بتفصيل دقيق عن هذه الحادثة قائلاً : ان اول

(١) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (٢٠) .

(٢) تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ٢٠) .

(٣) هذا الكتاب نشره المستشرق الروسى ايفانوف وهو من الكتب التى يحتفظ بها الاسماعيليه (البهرة) بالهند ولا يسمحوا لاحد بالاطلاع عليه الا لاتباع المذهب وبالرغم من ذلك فقد نشره ايفانوف وترجمه الدكتور محمد كامل حسين فى مجلة كلية الاداب سنة ١٩٣٦ م وينسب الى رجل اسماعيلى عاش فى اواخر القرن الرابع الهجرى واسمه احمد النيسابورى .

(٤) سوف اقتصر على النقاط الاساسية بالحادثة لطول كلامه فى ذلك .

(١) ماعمل المهدي ان نصب ابا الحسين الاسود حجة له فقال له قد قدمتك على جميع الدعاة فمن قدمت فهو المقدم ومن اخرت فهو المؤخر . . فأول ماعمل ابي الحسين خلع ابا القاسم (٢) عن دعوة الكوفة فغضب ابو القاسم واخوته غضبا شديدا فكتبوا الى المهدي كتابا يقولون فيه : لم نزع منا ابا الحسين دعوة الكوفة بلا ذنب ولا خيانة فلم يرد عليهم المهدي جوابا واجتمع الاخوان الثلاثة وتحالفوا وتعاهدوا على انهم ينحدرون الى سلمية فيقتلون البصري (٤) هذا الذي كلف ابا الحسين ان يفعل بنا هذا الفعل ولا نتركه .

فعمل المهدي بذلك عن طريق الدعاة المنتشرين فامر المهدي بالرحيل ولم يأخذ معه سوى ولده واثنين معه تاركا قصره بما فيه من الاموال والعبيد وباقي اسرته واقاربه فخرج مستخفيا متقللا حتى وصل الرملة فاقام فيها اما اولاد زكرويه فوصلوا الى سلمية وطلبوه فلم يجدوه . . ثم استقصوا اخباره وعرفوا مكانه وانه بالرملة مستخف وتفرق الثلاثة فمحمد ذهب الى المـسـراق ويحيى ذهب الى دمشق وحاصرها بعدما انضم اليه كثير من القبائل اما الحسين فقد مضى لمهمتهم الاساسية وهي مطاردة الامام الاسماعيلى وفعلوا وصل اليه وعرف الدار التى يسكن فيها عن طريق غلامه جعفر الحاجب فتبعه حتى وصل الى الدار فرحب به المهدي وعظم شأنه فقال الحسين له : يا مولانا خرجنا من بلدنا ندرور عليك واخى قد حضر دمشق بالعسكر لياخذها فارجع فقد استقام لك الامر . . . فان كنت لا تعضى انت فاكتب لاخى كتابا ليرضى عنى ، فكتب لاخيه كتابا ان ارض عنه . . وانا قادم فى اثر كتابى كما كتب لابي الحسين كتابا وامره ان يدفع لابي مهزول خمسمائة دينار فمضى حتى وصل الى ابي الحسين ودفع له الكتاب . . فدافعه ولم يعطه شيئا ثم مضى الى اخيه بدمشق واخبره بما جرى له واعطاه الكتاب . . ثم عقد يحيى

-
- (١) المقصود به امام الاسماعيلية (عبيد الله المهدي) .
 (٢) والمراد به يحيى بن زكرويه الاخ الاكبر للحسين بن زكرويه .
 (٣) وهم الحسين والفضل ويحيى .
 (٤) المراد به الامام العبيدى امام الاسماعيلية والمسمى بعبيد الله المهدي .

البيعة لا خيه الحسين بعده . . . ولما تسلم الحسين الامر ودانت له بعض مدن الشام مثل حمص وخطب له على منابرها مناديين بامامته جاءه اعيان حمص وحماء وفيهم ابو الحسين داعية المهدي فنظر اليه نظر فغضب ففزع وهرب وتمكن الحسين من احضاره ثم القضاء عليه . ثم بعد ذلك رحل الى سلمية مقر الدعوة الاسماعيلية فاول ما عمل اخذ مشايخ الهاشميين فكيلهم واخرجهم من دورهم الى العسكر وخلق عن طوائف المهدي ولكنه اطلق الهاشميين بتأثير من اتباعه ثم رحل الى دار ابي الحسين بحماة ودور بن عثمان فذهب جميع ما فيها للمهدي ولا يبق الحسين حيث كانت داره خزانة للمهدي . ودارت بعد ذلك بعض الممارك مع العباسيين اكتشف القرامطة من خلال بعض من اسروا من اعيان الجيش العباسي رسائل وجهها الهاشميون الذين بسلمية الى المعتضد ينتصرون به ويقولون له الحق اطفاء النار قبل ان تشتعل . ثم قضى على الهاشميين اثر ذلك ولما كان من الغد بعث خيل العسكر الى دورهم فاحرقوا النساء والصبيان والبنات والاطفال وكان عدد من فعل ذلك به مائة واحد واربعين نفسا . . . ثم بعث الى المهدي كتابا سرا يقول له اني قتلت اعداءك الذين عطوا على خروجك . . . فاقدم ولا تتأخر . وكان ذلك مكيدة منه . . . فلما قرأ المهدي الكتاب كتب اليه قد احسنت فيما عملته ولو لم تفعل هذا ما كنت من شيعتنا واوليائنا وانا قادم على اثر كتابي هذا فلما قرأ كتابه فرح به واطمعه فيه واقام ابو مهزول منتظرا قـدوم المهدي وفي هذه الاثناء وصل الى القرطبي خبر ان جيشا من بغداد قادم اليه فامر بخروج العسكر وبقي هو ومعه جماعة لم يخرجوا . . فلما ايس من المهدي وخاف ان يفوته ما يريد امر بجميع من في القصر من صفير وكبير من الرجال والنساء فقتلهم كلهم ورمى بهم في صهريج وكانوا ثمانين وثمانين نفسا^(١) . وهكذا نكبت سلمية على يد هذا القرطبي الفادر الذي لم يفلت من ظلمه الصبيان والاطفال والنساء . يصف الطبري اجرامه الكبير بقوله :

(١) انظر استتار الامام للنيسابوري من (ص ٩٦) الى (ص ١٠٥) .

انه قتل اهل سلمية اجمعين وقتل البهائم وصبيان الكتائب ثم خرج منها
وليس بها عين تطرف^(١). هذا وقد اتفق جمع من المؤرخين على ذكر دخول
القرمطي الى سلمية وما فعل باهلها من نهب وسلب وقتل وتشريد بسداً
بالهاشميين وانتهى بقصر المهدي ومن فيه من ابنائه واخوته واقاربه وعبيده
وامواله^(٢). ان هذه الاحداث تبدو في بادىء الامر متعارضة ومتشابهة
لان حركة القرامطة انما تمثل جزءاً من الدعوة الاسماعيليه من حيث الاهداف
والمبادئ.

اذن كيف نفسر تصرفات قرامطة الشام واحداثهم مع الامام الاسماعيلى ؟
ولاجابة على هذا السؤال فانى اقول : ان الكثير من كتبوا عن
الحركات الباطنية تحدث بعضهم بشئ من الاجاز عن تفسير هذه الاحداث
وتحليلها وسوف اسرد آراء من تعرضوا لتحليل هذه الاحداث بشئ من
الاجاز مينا ما اتضح لى انه التحليل الصحيح والواقعى لهذه الاحداث .
(١) فبعض الكتاب الاسماعيليين المعاصرين يعتبر هذه الاحداث من
جملة الخرافات التى رواها التاريخ والمؤرخون عن القرامطة^(٣).

ويقول مصطفى غالب : ان التاريخ لم يسجل اى عداً صريح او اضطهاد
مكشوف بين القرامطة والاسماعيليه . ثم يدل على ذلك بمسارعة القرامطة
للحاق بالامام عبيد الله المهدي حتى الرملة في فلسطين محاولين اقناعه
بالرجوع^(٤).

وحيث ان هذا الرأى لا يستحق المناقشة فانى سأعرض عنه مكتفياً
بالاشارة الى ناحيتين :

الاولى : ان اصحاب هذا الرأى لم يتحفونا بالمراجع التى استقوه منها
وذلك خلاف المنهج العلمى .

-
- (١) الطبرى (٨ : ٢١٨) .
(٢) سأذكر هؤلاء المؤرخين بعد قليل .
(٣) كتاب القرامطة لعارف تامر (ص ١٣٢) ، والحركات الباطنية لمصطفى
(٤) غالب (ص ١٤١) .
(٥) اعلام الاسماعيليه لمصطفى غالب (ص ٦٠) .

الثانية : ان كتب التاريخ قاطبة لم تغفل هذه الاحداث فنقل المؤرخون الكثير عنها بسطا وايجازاً^(١) حتى ان مخطوطات الاسماعيلية السرية ذكرت ذلك بتفصيل دقيق ولا ادل على هذا من مخطوطة استتار الامام للنيسابوري^(٢) الذي ذكر ان زهاب الحسين الى المهدي واللاحق به - محاولا بذلك اقناعه للرجوع - ما هو الا مكيدة ومؤامرة لقتله والقضاء عليه^(٣) . ومع هذا يستدل غالب - بفهم معكوس - بهذه الحادثة على انه لم يقع اى عداوة او اصطدام مكشوف بين قرامطة الشام والامام الاسماعيلى ولا اجد دافعا لانكار واخفاء مثل هذه الاحداث الا التعصب البغيض للقرامطة واظهارهم بمظهر المنقذ للبشرية من الظلم والظفیان ودفن ما بينهم وبين الاسماعيلية من خلاف .

(٢) ذكر المستشرق اليهودى لويس ان حركة الهلال الخصيب ما هى الا جزء من الدعوة الاسماعيلية يصرفها الامام المستور وتعمل فى سبيله وان الائمة المستورين خولوا زكرويه وابناؤه التسمى بالامامة كى يجسوا النبض ويميطوا العقبات الولىة او انهم قد احيون^(٤) .

ولقد ساق لويس نصين مستدلا بهما على ما ذكر :

الاول : من الطبرى حيث يقول ان زكرويه وابناؤه زعموا بانهم من ولد محمد بن اسماعيل وانهم مهديون وائمة . ويذكر بان يحيى بن زكرويه ادعى بأن له اتباعا فى افريقية .

والحقيقة ان هذا النص يرد على ما استدل به لويس بنرى زكرويه

(١) فذكر ذلك الطبرى فى تاريخه (٢١٨ : ٨) وابن الاثير فى الكامل (١٠٥ : ٦) ، وابن سنان فى تاريخ اخبار القرامطة (ص ٢١ - ٢٢) ، والمقرئى فى اتعاظ الحنفا (١ : ١٧١) ، وابن خلدون فى المعبر (٤ : ١٨٥) ، وابن الجوزى فى المنتظم (٦ : ٣٨) .

(٢) سبق ان ذكرت حادثة مطاردة القرامطة للامام الاسماعيلى نقلا عن هذه المخطوطة .

(٣) انظر استتار الامام (ص ٩٦) .

(٤) اصول الاسماعيلية (ص ١٦٤ - ١٦٥) .

وابناءه ينادون على انفسهم صراحة بالامامة وانهم اصحاب حق فيها . وقد
اكدوا ذلك بزعمهم انهم من ولد محمد بن اسماعيل .
اما الجزء الثاني من النص وهو ادعاء يحيى بن زكرويه ان له اتباعا
في افريقية .

فعبارة الطبري ليست كذلك وانما هي بحروفها كما يلي : وزعم ان له
(١) (اى يحيى بن زكرويه) بالسواد والمشرق والمغرب مائة الف تابع .
وهذه الدعوى ما هي الا تأكيد من القرمطي بان له اتباعا وانصارا
اعترفوا وآمنوا باحقية بالامامة على الحركة الاسماعيلية ومما يؤكد ذلك
ان الطبري ذكر هذه العبارة بعد ذكره لمزاعم القرمطي الانتساب الى
محمد بن اسماعيل لان الامامة من هذا البيت والى اسماعيل هذا تنسب
الاسماعيلية (٢) .

الثاني : ما ذكره بن سنان في الخطبة التي القيت في حمص وهي
بحروفها " اللهم اهدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهدي . صاحب الوقت امير
المؤمنين المهدي . اللهم املأ الارض به عدلا وقسطا ودمر اللهم دمر اعداءه " (٣) .
ان هذه الخطبة خير دليل واضح وصريح على ان الحسين بن زكرويه
قد اعلن امامته وانه هو الامام والمهدي المنتظر ولذا يقول ثابت (وخطب له
على منابرهما) اى للحسين بن زكرويه . ويؤكد ذلك ايضا انه لما دخل
حمص اقرهم على ما كانت الخطباء تخطب به من المناداة به اميرا للمؤمنين
وامرهم بتغيير آخر الخطبة بالدعاء لاعدائه بالهداية بدلا من الدعاء عليهم (٤)
اذن فرأى لويس منقوض بادلته هو فضلا عن الادلة الاخرى التي تناقض رأيه .

-
- (١) تاريخ الامم والملوك للطبري (٨ : ٢١٤) .
 - (٢) انظر الحركات الباطنية لمصطفى غالب (ص ٧١) .
 - (٣) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٢٠) .
 - (٤) انظر المرجع السابق من الصفحة نفسها .

(٣) فسر الدكتور محمد كامل حسين التصرفات الوحشية لزعماء القرامطة مع عبيد الله المهدي وآل بيته من الهاشميين . بانها لا تزيد عن حنق عليه وانتقام منه .^(١)

ان هذا التفسير تعوزه الادلة حيث اننا لو تأملنا خلفيات هذا الانتقام لنتضح لنا المحاولة المركزة من جانب الحسين القرمطي للقضاء على الامام المهدي والقضاء على اسرته من بعده بحيث لا يبقى على احد من سلالتهم ليتسنى لهؤلاء القرامطة الثوار حمل علم الامامة وتسلمهم له بعد خلو الساحة من امام مهدي ينظم الدعوة ويسيرها . اذن وبعد عرض هذه الاراء ومناقشتها بايجاز وضحت الحقيقة والتفسير لهذه الاحداث . وهى ان حركة القرامطة فى الشام بزعامة الحسين بن زكرويه ما هى الا حركة ثورية تريد القضاء على الامام الاسماعيلى وآل بيته من الهاشميين - كما يدعون - حتى يتسنى لهؤلاء الثوار زعامة الحركة الاسماعيلية وتسيير دفة امورها والادلة على ذلك كثيرة وهى كما يأتى :

(١) سبق ان اشرت فيما مضى الى اخلاص قرامطة البحرين للامام الاسماعيلى عبيد الله المهدي واعتقادهم امامته ولذا فقد رفضوا رفضا واضحا التعاون مع حركة آل زكرويه - رغم الحاجة - فى محاربتهم ضد الدولة العباسية باعتبار انهم خارجون على الامام الاسماعيلى .

وكذلك قرامطة العراق لم ينضم انهم الى قرامطة الشام غير نفر قليل والى ذلك يشير ابن الاثير بقوله : " ان زكرويه بن مهرويه سعى فى استغواء من بسواد الكوفة من القرامطة فلم يجبه منهم احد " .^(٢)

ويقول دى غويه " ان قرامطة العراق وقرامطة البحرين رفضوا الاعتراف بكل ما ادعاه ابنا زكرويه " .^(٣)

(١) مقدمة محمد كامل حسين على نشرة ايفانوف من مجلة كلية الاداب -

المجلد الرابع (٢ : ٩١) .

(٢) الكامل لابن الاثير (٦ : ٩٩) .

(٣) قرامطة العراق لمحمد عليان (ص ٨٥) .

ولا شك ان عدم تعاون هؤلاء معهم يؤيد ان قرامطة الشام كانوا على طرفي نقيض مع الامام الاسماعيلي وانهم غير معترفين بامامته عليهم بل انهم كانوا ينادون بامامتهم وانهم اصحاب الحق فيها .

(٢) موقف الامام الاسماعيلي منهم باعتبارهم خارجين على طاعته واوامره ولذا كان هذا مسترييا منهم ونتيجة ذلك ان كف حجة ابو الحسين الاسود بمنزلهم عن الدعوة وغضبوا لذلك فكتبوا الى المهدي فلم يرد عليهم جوابا فاجتمع الاخوة الثلاثة وتعاهدوا على قتله ^(١) .

وهذا يؤكد بوضوح المحاولة الجريئة منهم بالقضاء على امام الاسماعيليين حيث انه لا سبيل الى امامة الدعوة الاسماعيلية الا بالقضاء عليه وعلى عقبه .

(٣) الادعاءات المركزة والمتكررة من ابنا زكرويه - سوا يحيى او الحسين - بانتماءهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق وادعاءهم صراحة الامامة . فالحسين القرمطي لما دخل حمص دعا لنفسه وبيت ولاته في اعمالها وضرب الدنانير والدرهم وكتب عليها " المهدي المنصور امير المؤمنين " ^(٢) . كما كان يكتب الى اجناده وعاله بعبارات تنص على امامته صراحة .

فيروى لنا البكري عددا من هذه الرسائل وهذا نموذج منها في كتاباته الى اجناده وعاله : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله محمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله . الناصر لدين الله . القائم بامر الله . الحاكم بحكم الله . الذاب عن حرم الله . المختار من ولد رسول الله . امير المؤمنين وامام المسلمين ومذل الفارقين المارقين . وخليفة رب العالمين الخ هذه النعوت ^(٣) . ولا يمكن بحال ان يكون اماما الا بالقضاء على الامام عبيد الله المهدي وتسلم الامامة منه وقد فعل الحسين ذلك ففرض على آل بيت المهدي

(١) استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٦) .

(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٨٥) .

(٣) المسالك والممالك للبكري مخطوط ورقة ٢٢١ كما ذكر الطبري نماذج كثيرة من ذلك (ص ٢٢٢) و (ص ٢٢٣) من الجزء الثامن .

بعد ان اطمأن على بعد المهدي عن الشام وعدم رجوعه اليها ومن ثم
نصب نفسه اماما للاسماعيلية واخذت الرسائل من اتباعه تخاطبه بالامامة كما
كان هو يبعث نفسه بذلك .

(٤) كانت الخطبة في المناسبات وعلى المنابر منطلقا من المنطلقات
لا ثبات البيعة والامامة وقد ركز القرطبي واتباعه على ذلك فكان الخطباء
يردون هذه الخطبة - عند تغلب الحسين بن زكرويه على حمص - اللهم
اهدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهدي صاحب الوقت امير المؤمنين المهدي
اللهم املا الارض به عدلا وقسطا (١)

كما ان اتباعه يصفون عليه المهابة التي تحاط عادة بالائمة ويتخرجون
من اطلاق بعض الالفاظ عليه . فعندما قبض على الحسين ومعه المطوق
والمدثر وسأله الوالي هل اخذ منه شيء قال المطوق : اتخفى من الامام
مالا يحسن منه الاقرار به . وعندما دعي الخياط ليقطع للقرطبي ثيابا قال له
قم حتى اقدر الثوب عليك فقال المطوق للخياط : اتقول يا ابن اللخنة للامام
قم . وقد نقل الطبري كتاب عامل من عماله ارسله الى الحسين القرطبي فيه
من النعوت والاصاف مالا يطلق مثلها - عند الاسماعيلية - الا للائمة . (٢)

ومما مضى يتضح ان هدف قرامطة الشام زعامة الدعوة وحمل علم
الامامة وبعد طرد الامام على يد الحسين بن زكرويه اعلن امامته واخذ
يمعش في الارض فسادا . ونكبت به بلاد الشام بنشره الفزع والهلع بين
اهلها كي يدخلوا في طاعته .

يصف ابن سنان المآسى التي عطلها في بعليك حينما مر عليها قائلا :
انه استباح اهلها وقتل الذراري ولم يبق شريفا لشرفه ولا صغيرا لصفه
ولا امرأة لمحرمتها وقتل اهل الذمة . وفجروا بالنساء . ثم يضيف ابن سنان

(١) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٢٠) .

(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٧٧) .

(٣) تاريخ الام والملوك للطبري (٨ : ٢٢٣ - ٢٢٤) .

قائلا : وحدثني من كان معهم قال : وايت عصاما سيافه وقد اخذ من
بملك امرأة جميلة جدا ومعها طفل لها رضيع فرأيتة والله وقد فجر به
ثم اخذ الطفل بعد ذلك فرمى به نحو السماء ثم تلقاه بسيفه فرمى به
قطعتين . ثم عدل الى امه بذلك السيف بعينه فضربها به فبترها^(١) .

ونذكر ابن المذهب المعري في تاريخه ان القرمطي قتل بمصرة النعمان
بضعة عشر الفا واقام بها ينهب ويحرق ويقتل خمسة عشر يوما^(٢) .

ويقول المقرئ عنه^(٣) : انه لم يمر بقرية الا اخرجها ولم يدع فيها احدا
فخرب البلاد وقتل الناس ولم يقاومه احد وفنيت رجال طنج وبقى في عدة
سيرة فكانت القرامطة تقصد دمشق فلا يقاتلهم الا العامة وقد اشرفوا على
الهلكة .

ومن الطبيعي ان هذه المجازر الوحشية التي سببت اشاعة الخوف
والرعب والفوضى وتخريب البلاد ان تقض مضاجع الناس وتجعلهم يعيشون في
قلق ورعب ما دفعهم الى الكتابة الى والي العباسي يشكون منه ما لقوا من
الحسين بن زكرويه وانه خرب البلاد وقتل الناس جميعا بحيث لم يبق منهم
الا عدد يسير وخاصة اهل الشام^(٤) .

ولما اتصل عظيم خبرهم بالخليفة خرج بنفسه ومعه القواد والموالي
والفلان والجيش وصار الى الرقة واقام بها وانفذ الجيوش نحو القرامطة
وقد القاسم بن عبيد الله بن سليمان تدبير امر هذه الجيوش فوجه القاسم
محمد بن سليمان خليفة له على جميع القواد وامرهم بالسمع والطاعة^(٥) .

هذا وقد تعددت الجيوش على القرمطي وكان اول حولة مع القرمطي
ان المكتفي ارسل جيشا عدته عشرة آلاف مقاتل يقوده قائد هم ابو الاغر السلمي

(١) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٧٤ - ٧٥) .

(٢) تاريخ ابن الوردي (١ : ٣٤٧) .

(٣) اتعاظ الحنفا (١ : ١٧١) .

(٤) العميون والحدائق لمجهول (٤ : ١٨٥) .

(٥) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٧٥) .

فمضى ابو الاغر الى حلب فنزل وادى بطنان قريبا من حلب ونزل معه
جميع اصحابه فنزع جمع منهم ثيابهم ودخلوا الوادى يتبردون بحائه وكان يوما
شديد الحر فبينما هم كذلك ان وافى جيش القرمطى فكيسهم على تلك الحال
فقتل منهم خلقا كثيرا قدر بتسعة آلاف واقلت منهم الف رجل دخلوا حلب
وتحصنوا فيها^(١).

ولما سمع الخليفة بما جرى لابي الاغر سارع لنجدة كما اسرع الطولونيون
بارسال العساكر من مصر يقودها بدر الحماني^(٢).

وهكذا اجتمعت القوات العباسية مع العساكر المصرية على الحسين
القرمطى فساروا اليه فالتقوا على اثني عشر ميلا من حماة في موضع بينه وبين
سلمية فاشتدت الحرب بينهم وصد قوهم القتال ومنح الله من اكلتهم وقتل
منهم واسرا اكثر من عشرة آلاف رجل وشرذ الباقون في البوادي ولما رأى القرمطى
ذلك ورأى من بقى من القرامطة قد كاعوا عنه حمل اخا له يكنى ابا الفضل
مالا وتقدم اليه ان يلحق بالبوادي الى ان يظهر في موضع آخر فيصير اليه^(٣).

ولما اجتمع اليه من اقلت اخذ يعاتبهم على الهزيمة ويقول لهم: اتيتم
من قبل انفسكم وذنوبكم وانكم لم تصدقوا الله^(٤).

وبعد ذلك فر منهزما في نفر من اصحابه يريد الكوفة فاخذ بقريصة
تعرف بالدالية من مسقى الفرات وحمل الى بغداد واشهر وطيف به على
بمير ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو واصحابه الذين اخذوا معه يوم الاثنين
لسبع بقين من شهر ربيع الاول من سنة احدى وتسعين ومائتين^(٥).

غير ان اخاه ابا الفضل ظهر بالدالية من طريق الفرات واجتمع اليه
نفر من الاعراب والمتلصصة فسار بهم نحو دمشق وحارب اهل تلك الناحية

(١) تاريخ الام والملوك للطبرى (٨: ٢٢١ - ٢٢٢) ، العميون والحدائق
لمجهول (ص ١٨٥) .

(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٢: ٢٠٢) .

(٣) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٧٥) .

(٤) اتعاظ الحنفا (١: ١٧٢) .

(٥) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٩٠) .

فندب للخروج اليه الحسين بن همدان فخرج في جماعة كثيرة من الجند ولكن
القرمطي هزمه وسار الى هيت وحرقها بالنار بعد قتل اهلها .
ثم صار الى طبرية فامتنعوا من ادخاله فحاربهم حتى دخلها فقتل
عامة من بها من الرجال والنساء ونهبها .

ثم انصرف الى ناحية البادية فانفذ المكتفي جيشا عظيما فخاف اصحاب
القرمطي احاطة الجيوش بهم فقتل رجل منهم يعرف بابن الذيب ابا الفضل
غيلة وحمل رأسه الى المكتفي ^(١) .

بقى من رجال الحسين بن زكرويه صاحبه القاسم بن احمد الذي
استخلفه على من بقى من القرامطة بعد هزيمتهم وقال لهم اني مستخلفه عليكم
وكتبي ترد عليه بما يعمل فاسمعوا واطيعوا ، ولكنه - ابي القاسم - هرب الى
سواد الكوفة وقابل زكرويه بن مهرويه فاخبره بخبر القوم الذين استخلفه ابنه
عليهم وانهم اضطربوا فخافهم وتركهم . فلامه زكرويه على قدومه لوما شديدا
وقال له :

" الا كاتبتني قبل انصرافك الى ؟ " ثم ان زكرويه اعرض عنه مستعينا
برجل آخر من اصحابه ^(٢) .

وبعزل هذا الرجل الذي اعتبره زكرويه غير صالح للدعوة ينتهي
دور الحسين بن زكرويه ويخرج الاب من مخبأه لزعامة الحركة بعد ان قضى
على ابنائه الثلاثة .

(١) تاريخ الام والملوك للطبري (٢٣٦ : ٨) ، شذرات الذهب (٢ : ٢٠٧) .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ١٧٢ - ١٧٥) .

(٣) زكرويه بن مهرويه

لم يكن قتل ابنائه زكرويه الثلاثة نهاية المطاف مع حركة قرامطة الشمال لان الحركة تسير بتوجيه من زكرويه بن مهرويه الذي اعتبر ابنائه كمقدمة لخروجه وحملهم مسئولية الدعوة وقيادتها قبل الخروج .

وقبل الحديث عن ظهوره ثانية على مسرح الاحداث لابد من استعراض لجهوده في الدعوة قبل اختفائه وماحدث بعد ذلك من قتل عیدان - خليفة حمدان قرط - وما تلى ذلك من استتاره وتوجيهه للدعوة سرا من مخابئه .

فنقول ان زكرويه بن مهرويه كان من اوائل المحتقين للدعوة القرمطية حيث كان داعية لقرط ومن تلامذته (١) (٢) .

يقول عنه المقرئى : انه واحد من اتباع عیدان . وكان شابا ذكيا فطنا من قرية بسواد الكوفة على نهر همد ولذا فقد نصبه عیدان على اقليم هذا النهر وما والاها .

ويعتبره المقرئى من رؤساء دعاة عیدان حيث كان له دعاة متفرقون يعملون تحت يده وبإشرافه (٣) .

كما كان ابوه مهرويه بن زكرويه السلماني من اتباع الدعوة الاسماعيلية الاوائل ومن كبار رجالها فهو من استجاب الى حمدان قرط . ويصفه المقرئى بأنه احد الدعاة الذين صارت لهم مرتبة في الثقة والدين وانه عظم قدره في اعين الناس (٤) .

ولشعورهم بهذه الاصاله في الدعوة وجهودهم في نشرها كانوا يترقبون مركزا في عالم الدعوة الاسماعيلية دفعهم ذلك الى المؤامرة في قتل عیدان

-
- (١) تاريخ الطبرى (٨ : ٢١٤) ، العيون والحدائق لمجهول (ص ١٧٩) .
 - (٢) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٦٧) .
 - (٣) اتماظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٥٥) .
 - (٤) المرجع السابق (ص ١٥٥ - ١٥٦) .

خليفة حمدان قرمط لان زكرويه يرى احقيته عليه .

هذا وقد اتفق زكرويه مع جماعة من قرابته وثقاته على قتل عبدان وقال لهم : ان عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة . فبيتوه ليلا وقتلوه ^(١) .
وقد سبب ذلك غضب القرامطة عليه ومطاردتهم له للانتقام منه . والى ذلك يشير المقرئ بقوله : وطلب الدعاة واصحاب قرمط زكرويه بن مهرويـــــه ليقتلوه فاستتر ^(٢) .

اما موقف زعماء الاسماعيلية فتشير بعض المصادر الاسماعيلية الى انهم عندما بلغهم خبر مقتل عبدان خلعوا آل زكرويه واقصوهم عن رئاسة الدعوة بالكوفة وقد ذكر النيسابوري ذلك بعد ذكره قتل زوج اختهم بحجة انـــــه مبعوض لهم ومخالف لمولاهم ^(٣) .

ولما شعر زكرويه بانه معرض للقتل فر مختبئا الى بادية الشام وبدأ ينشر الدعوة بين الاعراب بواسطة ابنائه الذين تحدثوا عنهم فيما مضى . اما هو فقد اختفى في جب تحت الارض وانقطع فيه سنين طويلة ^(٤) .

يقول احد القرامطة عنه انه بقى مختفيا في منزلى وقد اعد لـــــه سرداب تحت الارض عليه باب حديد وكان لنا تنور فاذا جاءنا الطلب وضعنا التنور على باب السرداب وقامت امرأة تسخنه فمكث زكرويه كذلك اربع سنين ففى ايام المعتضد ثم انتقل من منزلى الى دار قد جعل فيها بيت وراء باب الدار فاذا فتح الباب نطبق على باب البيت فيدخل الداخل فلا يرى باب البيت الذى هو فيه فلم تزل هذه حاله حتى مات المعتضد ^(٥) .

وكان لهذا الاستتار اثر بالغ في حماس القرامطة في معاركهم وحروبهم كما انه اضفى على زكرويه شيئا من الهيبة عند اتباعه ولا يبعد ان يكون هذا

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٨) .

(٢) المرجع السابق بنفس الصفحة .

(٣) استتار الامام للنيسابورى (ص ٩٦) .

(٤) فلن خلدون يقدرها بعشرين سنة . العبر (٤ : ١٨٧) ، وعريب يقدرها

باربع سنين (ص ٨) .

(٥) صلة تاريخ الطبرى لعريب (ص ٨) .

الا ستار كان مدعاة للتبشير بظهوره كإمام للاسماعيلية حيث ان دعوة ابنائهم من قبله بنيت وتعددت اطوارها على هذا الاساس . وقد مهد لذلك بادعائه انه حجة الامام المنتظر وان الحجة الاولى قد توفى وهو ابنه الذى يقوم مقامه (١) كما يشير الطبرى الى ذلك بقوله :

واعلمهم ان مما اوحى اليه ان المعروف بالشيخ واخاه يقتلان وان امامه الذى يوحى اليه يظهر بعدهما ويظفر . (٢)

هذا ولم يكن اختفاه حائلا بينه وبين توجيه الدعوة ومتابعة احداثها فجنده يرسل الدعاة من مناه سرا الى البادية للتبشير به وبامامته ، ومن ابرز هؤلاء الدعاة رجل من اصحابه يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد ويكنى بأبى غانم . ولكنه - على منهج آل زكرويه فى التمويه - تسمى نصرا ليعمى امره وكلفه زكرويه بالذهاب الى احيا * كلب ودعوتهم . فدار عليهم ودعاهم . (٣)

يصف الطبرى مدى استجابة هؤلاء لهذا الداعية بقوله : فلم يقبله منهم احد سوى رجل من بنى زياد يسمى مقدام بن الكيال حيث استغوى له طوائف من الاصفيين المنتمين الى الفواطم وسواقط من العليبيين وصعاليك من سائر بطون حلب . (٤)

فسار بهم نحو الشام مستغلا انشغال الخليفة المكتفى بالمعارك فى مصر - حتى وصل الى بصرى وازدعات فحارب اهلها وسبى ذراريهم واخذ جميع اموالهم وقتل مقاتلتهم .

ثم سار يريد دمشق فخرج اليه جيش مع صالح بن الفضل فظهروا عليه وقتلوا عسكره واسروه فقتلوه ، وهموا بدخول دمشق فدافعهم اهلها فمضوا الى طبرية فنهبوها وقتلوا وسبوا النساء . (٥)

-
- (١) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٧٠) .
 - (٢) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٣١) .
 - (٣) ائعاظ الحنفا للمقرئزى (١ : ١٧٥) .
 - (٤) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٣٦) .
 - (٥) ائعاظ الحنفا للمقرئزى (١ : ١٧٥) .

وبعد ازهاق هذه الارواح وتخريب البلاد نرى اباغانم ومن معه من القرامطة لا يستقر لهم قرار ما دفع بالمكتفى الى ارسال عدة من الجيوش والقواد واخيرا لما احس القرامطة بتضييق الخناق عليهم ائتمروا بصاحبهم المعلم فوشوا عليه وفتكوا به وتفرد بقتله رجل من اتباعه يقال له الذئب بن القائم^(١).

وكان لقتل هذا الزعيم اثر كبير في هزيمتهم وتفرقهم حيث ان قوما من بنى كلب انكروا فعل الذئب وقتله المعلم ورضيه آخرون فاقتلوا قتالا شديدا (بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى)^(٢).

وعلى اثر ذلك افترقوا فرقتين .

فرقة رضيت بقتل ابي غانم فصاروا الى موضع يسمى عين التمر وهؤلاء ارسلوا وفدا الى السلطان العباسي يعتذرون ما كان منهم ويسألون اقرارهم في جوار بني اسد فاجيبوا الى ذلك .

اما الفرقة الثانية فقد تخلفت فانفذ زكرويه اليهم داعية له من اكبره اهل السواد يسمى القاسم بن احمد^(٣) فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال : انا رسول وليكم وهو عاتب عليكم فيما اقدم عليه الذئب بن القائم وانتم قد ارتددتم عن الدين . فاعتذروا وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم واعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب فقال لهم :

" قد جئتم الان بما لم يأتكم به احد تقدمنى . يقول لكم وليكم : قد حضر امركم وقرب ظهوركم الخ"^(٤).

واخذ زكرويه يعنيهم بالمزاعم الكاذبة عن طريق داعيته القاسم بن احمد

(١) تاريخ الطبرى (٢٣٨ : ٨) ، دول الاسلام للذهبي (١ : ١٧٧) ، التنبيه والاشراف للمسعودي (ص ٣٢٥) ، اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ١٧٦) .

(٢) سورة الحشر

(٣) سبق ان خلفه الحسين بن زكرويه على بقية القرامطة المنهزمين وقد تركهم حينما شك في اخلاصهم وجاء الى زكرويه فيبقى عنده حتى ارسله في هذه المرة .

(٤) تاريخ الطبرى (٢٣٨ : ٨) ، اتعاظ الحنفا (١ : ١٧٦) .

الذى يياشر الامور ويتولاها^(١) .

فزمع ان له بالكوفة اربعين الف رجل وفى سوادها اربعمائة الف رجل
وان يوم موعدهم الذى ذكره الله فى كتابه فى شأن موسى صلى الله عليه وسلم
وعده فرعون ان يقول : " موعدهم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى^(٢) " .

وهكذا اخذ يموه عليهم ويمنيهم ليقوى مزاعمهم حيث شعر بضعف اتباعه
امام الجيوش المتلاحقة فى الشام . ولذا نراه يأمرهم بترك بلاد الشام
ويطلب منهم التحول نحو الجنوب . يقول الطبرى : انه امرهم ان يخفوا امرهم
ويظهروا الانقلاص نحو الشام ويسيروا نحو الكوفة^(٣) .

حاول القرامطة غزو الكوفة سنة ٢٩٣ هـ لكنهم لم يتمكنوا من فتحها
حيث ان خطتهم الاجرامية ان يشنوا غارتهم على اهل الكوفة وهم فى صلاة
العيد . ولكن الله عز وجل خيب آمالهم حيث ناموا ولم توقظهم الا الشمس لطفا
من الله بالناس فلم يصلوا الى الكوفة الا وقد انقضت الصلاة وانصرف الناس وهم
متبددون فى ظاهر الكوفة^(٤) . وهكذا تبددت تلك المزاعم والادعاءات شأن
الموهين والكذابين .

ظهور زكرويه من مخبأه .

حظى القاسم بن احمد عند زكرويه واحتل مكانة لديه بحيث اصبح يتولى
الامور ويمضيها على رأيه ولما حضره جمعة من دعائه وخاصته اعلمهم - اى
زكرويه - ان القاسم بن احمد اعظم الناس عليهم منة وانه ردهم الى الديار
بعد خروجهم منه وانهم اذا امتثلوا امره انجز مواعيدهم ويلفهم آمالهم^(٥) .

(١) العبر لا بن خلدون (٤ : ١٨٧) .

(٢) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٣٨) . والاية من سورة طه .

(٣) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٣٨) .

(٤) اتعاظ الحنفا للمقرئ (١ : ١٧٧) .

(٥) تاريخ الطبرى (١ : ٢٤١) .

اما القاسم بن احمد فقد مهد لخروج زكرويه من مخبأه بمبالفته فـسى وصفه . وكان ذلك ما اضفى عليه شيئا من الهيبة . يروى المقرئى : ان القاسم ابن احمد لما ظهر زكرويه من مخبأه قال للعسكر " هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذى تنتظرونه " ولذا نجد هؤلاء الجبهة المستعبدين يترجلون لـه ويلصقون خدودهم بالارض ويطوفون به ويضربون له مضربا عظيما^(١) .

ويصف ابن سنان لحظة لقا زكرويه بانصاره قائلا : " فلما استخرجـوه حملوه وسموه ولى الله ولما رأوه سجدوا له^(٢) .

ان هذا الاستعباد والتذلل والخضوع مهانة وذلة بل انه كفر والحاد فلا يستحق اى مخلوق مهما كان امره ومقامه ان تحنى له الرؤوس او تذلل لـه النفوس . فالعبودية التى ترفع الانسان ليست عبودية البشر بعضهم لبعض انما هى العبودية لله عز وجل .

وما زادنى شرفا وتيها وكدت باخص اطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى وان صيرت احمد لى نبيا

وهكذا كلما ابتعدت الامة عن منهج الله عز وجل ذلت وخضعت للطواغيت والاصنام البشرية . وما تصرفات القرامطة مع رئيسهم زكرويه الا مثال بارز لذلك يقول الطبرى فى شأنهم :

واعترف لزكرويه جميع من رسخ حب الكفر فى قلبه من عربى ومولى ونبطى وغيرهم انه رئيسهم المقدم وكهفهم وملانهم واقتلوا بالنصر وبلغ الامل وسار بهم وهو محجوب عنهم يدعونه السيد ولا يبرزونه لمن فى عسكرهم^(٣) .

كما ان القرامطة اظهروا فى لقاءهم بزكرويه من الحماسة والسرور - شأن النفوس الضعيفة - ما جعله يوما خالدا ولذا فان احد المستشرقين يرى

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٧٧) .

(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٣٠) .

(٣) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٤١) .

ان حماس القرامطة فى هذا اليوم لم يبلغ مثله فى يوم من الايام وانه كـان
منقطع النظر^(١).

ووصف زكرويه بانه صاحبهم ووليهم الذى ينتظرونه وما اقترن بذلك من
السجود والخشوع له وازفء الهبة عليه يؤيد ما ذكرناه سابقا من ادعاء الامة
ومما يؤكد ذلك ايضا ان زكرويه زعم ان احمد بن محمد بن الحنفية قد بشر به^(٢)
كما ان من الناس من يسميه بالحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق^(٣).
كان ظهور زكرويه من مخبأه ايدانا بحرب دموية تمتاز عن ما قبلها
بالضراوة والوحشية فكانت اول جولة مع الجيش العباسى فى قرية تسمى الصوار
" فسير المكتفى جيشا عظيما^(٤) والتحم جيش الخليفة مع زكرويه والقرامطة فى يوم
الاثنين لتسع بقين من ذى الحجة سنة ٢٩٣ هـ واشتدت الحرب بينهم
ودارت الدائرة اول النهار على القرمطى واصحابه حتى كاد جيش الخليفة
ان يظفر بهم . وكان زكرويه قد كمن عليهم كميناً من خلفهم ولم يشعروا به
فلما انتصف النهار خرج الكمين على السواد فانتبهه ورأى اصحاب السلطان
السيف من ورائهم فانهزموا اقتبح هزيمة ووضع القرمطى واصحابه السيف فى
اصحاب السلطان فقتلوهم كيف شاؤوا وغنموا سوادهم ولم يسلم من رجال الخليفة
الا من دابته قوية او من اخن بالجراح فوضع نفسه بين القتلى واخذ للخليفة
من هذا المعسكر اكثر من ثلاثمائة جمازة عليها المال والسلاح وقتل - سوى
الفلان ومن كان فى السواد - الف وخمسمائة رجل ، وقويت القرامطة بهـذه
الغنائم^(٥).

ولما بلغ المكتفى خبر هذه الواقعة اعظمها فخاف على الحاج وبعث محمد
ابن اسحاق لحفظ حاج بيت الله وضم اليه خلقا عظيما وطلب القرامطة^(٦).

-
- (١) قرامطة العراق (ص ١٠١) .
 - (٢) العبر لابن خلدون (٤: ١٨٢) .
 - (٣) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ١٠١) .
 - (٤) اتعاظ الحنفا (١: ١٨٧) .
 - (٥) الكامل لابن الاثير (٦: ١١٤) ، تاريخ الامم والملوك للطبرى (٨: ٢٤٠) .
 - (٦) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١: ١٧٨) ، تاريخ بن سنان (ص ٣٠) .

ولكن زكرويه سلك سبيل التثقل وعدم اليقظة في مكان معين فنجده يرمي
من مكان المعركة السابقة الى نهر المثنية ومن ثم يرحل في سنة اربع وتسمين
وماثنين في المحرم من نهر المثنية الى طريق الحاج ليبدأ فترة مليئة بالقتل
والسلب والنهب لحجاج بيت الله الحرام ولترك المؤرخين ليحدثونا عن اعماله
الرهيبية التي بلغت من الوحشية والاجرام حدا لا يطاق بحيث لم يبق دار في
بغداد والكوفة وجميع انحاء العراق الا وفيها مصيبة وعبثة سائلة وضجيج وعويل^(١)
سار القرامطة من جهة المشرق حتى صاروا بما يسمى سلمان فاقاموا
بهذا الموضع يريدون قوافل الحجاج وكان لهم ثلاث قوافل :

اما الاولى : فوافت واقصة فانذرهم اهلها واخبروهم ان بينهم وبين
القرامطة اربعة اميال فارتحلوا ولم يقيموا فنجاوا اما القرطبي فصار الى واقصة
فسألهم عن القافلة فاخبروه انها لم تقم عندهم فاتهمهم بانذارهم فقتل من
الفلاحين بها جماعة وتحصن اهلها في حصنهم فاقام بها اياما ثم رحل^(٢) .

اما قافلة الخراسانية فقد اعترضهم زكرويه بالعقبة من طريق مكة فهاجمهم
حرما شديدا فلما رأى شدة بأسهم وانه لا طاقة له بهم سألهم هل فيكم
نائب السلطان فاجابوه مامعنا احد فقال : لست اريدكم . وقد اطمأنوا لقوله
وساروا ففكر عليهم في سيرهم واعمل فيهم السيف فلم ينج منهم احد الا الشريد^(٣)
وغنم ما كان معهم من زاد ومال وسبي النساء وشنع بالشيخ والاطفال .

اما الجيش العباسي فقد لقيه بعض المهزمين واخبروا قائده بالواقعة
وقالوا له ما بينك وبينهم الا القليل والليلة اوفى غد توافي القافلة الثانية
فان رأوا علما للسلطان قويت نفوسهم والله الله فيهم - وكانت النتيجة المخزية -
ان رجع القائد العباسي من ساعته وامر من معه بالرجوع وقال لا اعرض اصحاب
السلطان للقتل^(٤) .

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي (ص ١٢٩) .

(٢) تاريخ الطبري (٨ : ٢٤٤) .

(٣) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٣٢) .

(٤) تاريخ الام والملوك للطبري (٨ : ٢٤٤) .

اما القافلة الثانية : فان زكرويه رحل عن واقصة بعد ما غورمياهم —
 وملاً بركها وبارها بجيف الابل والدواب ووردوا منزل العقبة في يوم الاثنين
 لاثنتى عشرة خلت من المحرم فحاربهم اصحاب القافلة وجرت بينهم حرب
 شديدة اسفرت عن هزيمة الحجاج حيث وضع القرامطة السيف فيهم فقتلوههم
 عن آخرهم الا من استعبدوه ولحقوا المفلة منهم فاعطوهم الامان فرجعوا
 فقتلهم اجمعين وسبوا من النساء من احبوا وجمع القتلى فوضع بعضهم على
 بعض حتى صاروا كالتل العظيم .

وكان نساء القرامطة يطفن مع صبيانهم في القتلى يعرضون عليهم الماء
 فمن كلهم اجهزوا عليه .^(١)

ويقدر ابن العماد عدد القتلى في هذه المعركة بحشرين الفاً
 وان الجيش القرمطي اخذ من الاموال ما قيمته الف دينار .^(٢)

وبعد ذلك رحل زكرويه فلم يدع ماء الا طرح فيه جيف القتلى وبعث
 الطلائع امامه ووراءه خوفا من اصحاب السلطان المقيمين بالقادسية ان يلحقوه
 ومتوقعا ورود القافلة الثالثة التي فيها الاموال والتجار .^(٣)

ويذكر المقرئ ان هذه القافلة كان فيها القواد والشمسة - وقد جعل
 المعتضد فيها جوهرا نفيسا - ومعهم الخزانة ووجه الناس والرؤساء ومياسير
 التجار . وفيها من انواع المال ما يخرج عن الوصف .^(٤)

وافت هذه القافلة القرامطة في موضع يسمى الهبير فحاربوه يومهم الى
 الليل ثم انصرف عنهم فلما اصبح عاودهم القتال فلما كان في اليوم الثالث
 عطش اهل القافلة وهم على غير ماء فاقتلوا ثم استسلموا فوضع فيهم السيف فلم
 يفلت منهم الا اليسير واخذوا جميع ما في القافلة .^(٥)

(١) المرجع السابق (ص ٢٤٥) .

(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ٢١٥) .

(٣) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٤٦) .

(٤) اتعاظ الحنفا (١ : ١٧٨) .

(٥) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٦٠) .

ويقول المسعودى ان عدة من قتل فى هذه القافلة الاخيرة اكثر من خمسين الفا دون من قتل قبلها من اهل القوافل .^(١)

وبعد سياق هذه الاحداث الرهيبة التى كان نتيجتها قتل ما يقرب من مائة الف مسلم على يد هذا المجرم السفاك - اخلص الى امرين هما :

(١) ان القرامطة فى هجومهم على الحجاج لم يكن هدفهم الفنائم فقط فقد قضاوا على العجزة والشيخ والاطفال والنساء . كما لم يكن هدفهم فقط اظهار العباسيين بمظهر الضعف والهوان .^(٢)

انما كان هدفهم محاربة المسلمين والقضاء على من يؤدى فريضة الاسلام لانهم يتلقفون جميع الحجاج دون تفريق بين حجاج العراق وحجاج مصر او حجاج خراسان . والاحداث تؤكد انهم اعتدوا على قافلة باكملها للخراسانيين^(٣) كما نهبوا اموال الطولونيين وهم حجاج مصر .^(٤)

وما المحاولة الجادة والمستمرة بقطع طرق الحجاج وتتبعهم قتلا ونهباً وتشريداً فى كل مكان وكل سنة الا فى سبيل هذا الهدف الذى ذكرناه آنفاً .

ومما يؤكد ذلك انه لما فشلت القرامطة فى قطع المسلمين عن حجههم نجدهم يقترفون المنكر الاكبر الذى لم يسبق له نظير فى تاريخ المسلمين فيها جمعون مكة وحجاجها سنة ٣١٧ هـ ويقتلون المسلمين ويسمونها لنقض الكعبة ونقلها ولكن الله عز وجل " متم نوره ولو كره الكافرون " .^(٥)

(٢) ان الجيش العباسى لم يكن جاداً فى حماية الحجاج وجهاد القرامطة فحينما علم القائد للجيش بقربه من القرامطة ووصول قافلة الحجاج الثانية

-
- (١) التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٢٦) .
 (٢) كما ذكرت باحثة عن القرامطة واسمها فضيلة الشامي وعنوان رسالتها الخلفية العقائدية لحركة القرامطة (ص ١٢١) .
 (٣) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٣٢) .
 (٤) المرجع السابق (ص ٣٣) .
 (٥) سورة الصف : ٨ .

نجد انه يولى راجعا من ساعته بحجة عدم تعريض اصحاب السلطان
للقتل .^(١)

وبالها من مصيبة وحسرة ان المسلمين يقتلون - ولا سيما العزل الذين
ادوا فريضة ربهم ورجعوا الى ديارهم - ولا يهب لنجدتهم وحمایتهم احد من
اخوانهم . ولا تفسير لذلك الا الخوف والذلة التي قعدت بالامة عن الجهاد
فى سبيل الله ورفع راية الحق لقتال المرتدين والمحاربين .

نهاية زكرويه بن مهرويه .

تطارت الاخبار الى الخليفة المكتفى وعلم بما جرى فعظم ذلك عليه
وعلى كافة المسلمين فانفذ امره بتجهيز الجيوش وسيرها بقيادة وصيف - بن
سوار تكين مع بقية القواد فلقبهم زكرويه ومن معه من القرامطة ونشبت الحرب
بينهم الى ان حال بينهم الظلام . فلما اصبحوا نشب الحرب بينهم ووقعت
موقعة قتال عنيف قتل فيها من القرامطة ما لا يحصى عدده حتى وصلوا الى
قائد القرامطة زكرويه فضربه بعض الجند وهو منهزم ومول الهرب على رأسه
ضربة شديدة بسيفه افضت الى دماغه فوقع على الارض مضرجا بدماه وهلك
بعد مضي خمسة ايام .^(٢)

الا ان المقرئ يذكر بأن نهايته ان طرحت النار فى قبته فخرج منها
وضربه رجل فسقط على الارض وادركه رجل يعرفه فاركه نجيا فارها وسار به
نحو بغداد ولكنه مات فى الطريق من جراحات كانت به وادخل بغداد ميتا .^(٣)

اما المقدسى فيذكر ان الجيش العباسى مارس الجيش القرمطى خمسة
اشهر ثم ظفروا بزكرويه فحملوه الى بغداد على طريق الشهرة والنكال وحبس
فمات فى الحبس .^(٤)

-
- (١) تاريخ الام والملوك للطبرى (٨ : ٢٤٤) .
 - (٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٣٥) .
 - (٣) اتعاظ الحنفا للمقرئ (١ : ١٧٩) .
 - (٤) البدء والتاريخ للمقدسى (٦ : ١٢٦) .

وعلى كل حال فوفاة زكرويه كانت من الامور الحاسمة فى القضاء على
قرامطة الشمال ولذا يقول المقرئى : ومات خبر القرامطة بموت زكرويه .^(١)
ولقد وجد بعده من افتتن به حيث قالوا : ان زكرويه بن مهرويه هـى
وانما شبه على الناس به .^(٢)

وقد حاول بعض اتباع زكرويه الذين سلموا من القتل التجمع من جديد
الا انهم فشلوا فى اشغال الثورة لان الحسين بن حمدان اوقع بهم وقمصة
قتل جماعة منهم واسر جماعة من نسائهم وصبيانهم .^(٣)

اما المحاولة الاخيرة فكانت بزعامة رجلين احدهما يعرف بالحـداد
والاخر بالمنتقم - وهو اخو امرأة زكرويه - وقد بذلا جهدا فى استشارة
الاعراب لاعتناق مذهبهم والخروج معهم على الخليفة العباسى . ولكن
الاعراب رفضوا دعوتهم فاخذوا الى الخليفة فقتلهم .^(٤) وآخر ما يذكره
المؤرخون عن زكرويه واتباعه ما ذكره الطبرى فى احداث سنة تسع وتسعين
ومائتين للهجرة من ان احد قواد زكرويه يدعى بالاغر وصاحب آخر لزكرويه
ايضا يسمى العطير وفدا الى بغداد مستسلمين وطالبيين من الخليفة الامان .^(٥)

وقبل النهاية من الحديث عن حركة قرامطة الشمال اشير الى امرين :
اولهما : ان الحق والباطل فى صراع مستمر ودائم ولكن كما قال الله
تعالى " والماقية للمتقين " . فظهر القرامطة وتخلبهم فترة من الزمن ما هو الا
دليل على بعد امة الاسلام عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وعن التلقى منهما مباشرة .

ومن النتائج الواقعية لهذا البعد ان الجهاد فى سبيل الله صرف عن

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٧٩) .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٤٨) .

(٤) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٣٦) .

(٥) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ٢٥٤) .

مدلوله الاساسى - اعلاء كلمة لا اله الا الله - فادى ذلك - سنة الله عز وجل الى هزائم متكررة بما يسمى بالجيش العباسى وان من سنة الله عز وجل ماضيه لهذه الامة من نصر وتمكين اذا هى صدقت مع الله ونصرت دينه * ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم^(١) ويجب على المسلم ان يتصور هذا كل التصور وينطلق فى جهاده من هذا المنطلق ووعد الله لا يتخلف . " وعد الله الذين آمنوا منكم وعطوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبذلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون^(٢) .

الامر الثانى : ان القرامطة عجل الله باضمحلالهم وذهابهم بعد ما اغرقوا العالم الاسلامى بسيل من الدماء ولم تحقق هذه الحركة فى الشمال اهدافا فكرية او دينية وبالتالي لم يتم لهؤلاء دولة^(٣) . ولا شك ان هناك عاملا اساسيا فى عدم تمكنهم من ذلك يتمثل فى قوله تعالى " كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزيد فيذهب جفا " واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال^(٤) .

كما ان هناك عوامل اخرى ولكنها صغيرة فى جانب العامل الاول وهى :

- (١) ان هذه الحركة بدأت قبل اكتمالها^(٥) .
- (٢) ان انصارها كانوا من قبائل البدو والذين لا تربطهم روابط اجتماعية او سياسية او تعاون وثيق فى سبيل هدف معين^(٦) .
- (٣) تطلع قادتها الى الامة الاسماعيليه مما دفع بهم الى مطاردة المهدي وقتل اسرته وذويه وكان ذلك له اثر فى غضب العناصر الاسماعيليه

(١) سورة محمد : ٧ .

(٢) سورة النور : ٥٥ .

(٣) ابن خلدون ، المبر (٤ : ١٨١) .

(٤) سورة الرعد : ١٧ .

(٥) دراسات فى العصور العباسية المتأخرة (ص ١٧٤) .

(٦) القرامطة لعارف تامر (ص ١٣٧) .

وابتعادهم عن هؤلاء * وكانت النتيجة ان سارت الحركة القرمطية والحركة الاسماعيلية باتجاهين مختلفين ولو اجتمعتا لتفاقم الامر والحال .

(٤) عدم تعاون قرامطة العراق معهم وكذلك قرامطة البحرين لاتهم آل زكرويه بقتل عیدان .

(٥) اعتماد آل زكرويه على السلب والنهب والتدمير والقتل الجماعي ومهما كان وضع الامة متدنيا فلا يقبل بحال من الاحوال هذه الوحشية والهمجية التي سلكها قرامطة الشام في الوصول الى اهدافهم .

الفصل الرابع

قرامطة البحرين وزعماءهم

(١) ابوسعيد الحسن بن بهرام الجنابي

ان اى حامل فكرة ودعوة لا بد له من تجارب ينجح فى بعضها ويخفق فى البعض الاخر بحيث يكون تأثير الشخص مناسباً فى مكان دون مكان وزمان دون زمان وهكذا نرى الدعوة سواء كانوا دعاة خير وبناء ام دعاة شر وهدم ينجح بعضهم فى مكان ما ويخفق فى المكان الاخر فايوسعيد لما اعتسق مبادئ القرامطة وآمن بها لم يتوقف عند هذا فقط بل جدد فى الدعوة والعمل على نشر هذه المبادئ . يحدثنا ابن حوقل عن بداية ابي سعيد فيقول انه تعلق بدعوة القرامطة من قبل عبدان الكاتب وانه ارسله الى جنوب فارس الفرسى لنشر المذهب هناك وانه دعاهم واخذ الكثير من اموالهم . ولكن الولاة تتبعوه فلم يزل فى خفية حتى كتب اليه حمدان قرمط من كلوانى بالشيوخ اليه فأتى الى حمدان ورأى ان اخفاقه هناك ليس من قبله هو ومن ثم وجهه الى البحرين بعد ان زوده بارشاداته ومنحه مبلغاً من المال ^(١) . وكانت النتيجة ان نجح نجاحاً باهراً وكن دولة للقرامطة هناك امتدت زهاء قرنين من الزمان ويقول ابن حوقل عنه " انه كان من اتباع حمدان وعبدان المخلصين " ^(٢) . وقد ظهر الجنابي وقويت شوكرته فى سنة ست وثمانين ومائتين ^(٣) . وما كان لدعوة الجنابي وحركة القرامطة ان تنجح هناك الا لان الدعوة وجدت قلوباً فارغة ومنبتاً خالياً كما قال احدهم :

(١) المسالك والممالك لابن حوقل (ص ٢١٠) .

(٢) المرجع السابق (ص ٢١١) .

(٣) دول الاسلام للذهبي (١ : ١٧٢) .

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى

فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ان اوضاع المسلمين من التفكك والتمزق بلغت حالة سيئة والفساد الذى ينخر فى الامة مصدره عوامل متعددة من اهمها وضع الخلفاء المباسيين واهمال العلماء للامة حتى فشا الجهل وانتشرت التيارات المعادية للاسلام . ومع ذلك فخلفاء بنى العباس - ولا سيما من عاصر القرامطة - كانوا يعيشون فى عزلة عن احوال المسلمين مكتفين بحياة الترف والبذخ فى وسط القصور والحوارى واصبح ما يسمى بالخليفة لا يعلم شيئا عن احوال المسلمين وآمالهم وآلامهم حتى ان احد الخلفاء ادرك ذلك وما قال :

ليس من العجائب ان مثلى	يرى ما قل ممتحا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا	وما من ذاك شئ فى يديه
اليه تحمل الاموال طورا	ويمنع بعض ما يجبى اليه (١)

ان هذا الضعف لدى الخلفاء مع انتشار الترف وحياة اللذة والشهوات له دور كبير فى التناقل عن الجهاد ما يجعل الميدان خاليا لدعاة الهدم والتخريب امثال ابى سعيد الجنابى الذى كان يدرك هذا الضعف والانحلال وانى للرجل المريض ان يداوى غيره وهو سقيم . من منطق الاعتزاز والقوة بعث ابو سعيد برسالة الى الخليفة المعتضد بعد ان هزم جيشه يقول فيها مخاطبا الخليفة :

" ما هذا اتخرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع اعدائك فى نفسك بانفسان الجيوش الى وانما انا رجل فى فلاة ولا زرع عندى ولا ضرع ولا لى بلد وقد رضيت بخشونة العيش والامن على المهجة والعز باطراف الرماح - وانظر فانسى ما اغتصبتك بلدا كان فى يدك ولا ازلت سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فوالله لو نفذت جيشك كله ما جاز ان تطفر بى ولا تالنى لانى رجل نشأت فى هذا التقشف فتعود تهانا ورجالى فلا مشقة علينا فيه ونحن فى اوطاننا مستريحون

وانت تنفذ جيشك من الحرير والثلج والرياحين والنند ثم يجيئون من مسافة بعيدة وطريق شاق فيضلون الينا وقد قتلهم السفر قبل قتالنا وانما غرضهم ان يبلوا غدرا في قتالنا ومواقعتنا ثم يهربون فان حقوا مع حاقدا لحق بهم من عناء السفر وشدة الجهد كان اكبر اعوانى عليهم فما هو الا ان حققت عليهم حتى يندهزموا واكثر ما يقدرون عليه ان يجيئوا فيستريحوا ثم تكون عدتهم كثيرة ويصيرتهم قوية فحينئذ لا يكون لى بهم قبل فانهزم فلا يقدر جيشك ان يتبعنى الا مسافة قريبة فما هو ان ابعد عشرين فرسخا او ثلاثين واجول فى الصحراء شهرا او شهرين ثم اكسبهم على غرة حتى اقتل جميعهم وان لم يتم لى هذا وكانوا متحوزين فما يمكنهم ان يطوفوا حولى ولا خلفى فى البرارى ولا يتبعنى الطلب فى البوادي ثم لا يحملهم البلد فى المقام ولا الزاد ان كانوا كثيرين فلا بد ان ينصرف الجمهور ويبقى منهم قتل سىوفى اول يوم نلتقى فيه هذا ان سلموا من وباء هذه الناحية ورداءة مائها وهوائها الذى لا طاقة لهم به لانهم نشأوا فى ضده وربوا مع غيره ولا عادة لا جسامهم بالصبر عليه . ففكر فى هذا ونحوه وانظر هل يعنى تعبك وتغريك بحسرك وجيشك وانفاقك الا موال وتجهيزك الرجال وتكلفك هذه الاخطار وتحملك المشاق بطلبى وانا مع هذا خالى الذرع منها سليم النفس والاصحاب جميعا . واما هييتك فتخرق . واما الاطراف فتنتقض واما الطوك من الاعداء فتتجاسر كلما جرى عليك من هذا شىء ثم لا تظفر من بلدى بطائل ولا تصل منى الى حال ولا حال . فـان اخترت بعد هذا محاربتى فاستخر الله تعالى واقدم على بصيرة وانفذ ممن شئت واضطرب كيف احببت وان امسكت فذلك اليك^(١) .

وصلت هذه الرسالة وقرأها وقبل نصيحة خصمه ودو السلام فتركه وشأنه يقتل ويسفك ويستولى ويأتى اولاده من بعده ينهبون ويقطعون الطريق على حجاج بيت الله ويلاحقون الحجاج فى بيت الله وحرمة ويعبثون بمقدسات المسلمين والدولة ممثلة فى خليفتها صامتا لا تتحرك ولا تستنكر وما اشبه الليلة بالبارحة فاليهود فى المسجد الاقصى ينتهكون حرمة ويحرقونه وليس هناك من

(١) العيون والحدائق لمجهول (ص ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤) ، تجارب الامم لمسكويه (١٤ : ٥ - ١٥ - ١٦) .

قلب ينبض بالحياة سوى افراد قلائل لا حول لهم ولا طول فى مثل هذه الاجواء
عمل ابو سعيد على اقامة دولة القرامطة فى البحرين وعمل على تكوين
مجتمع اسماعيلى يدين له بالطاعة والولاء .

يصف النويزى هذا المجتمع قائلاً " واقبل ابو سعيد بعد اطلاق
العباس على جمع الخيل واعداد السلاح واتخاذ الابل واصلاح الرجـال
ونسج الدروع والمفاخر ونظم الجواش والمزاد والقرب واخذ فى تعليم الصبيان
للفروسية^(١) .

حتى انه جمعهم فى دور واقام عليهم قوما واجرى عليهم ما يحتاجون اليه
ووسمهم لثلا يختلطوا بغيرهم ونصب لهم عرفاء واخذ يعلمهم ركوب الخيل
والطعان فنشأوا لا يعرفون غير الحرب وقد صارت دعوته طيعا وطاعته ديناً
والطعن والنزال حرفة لهم . وهذا نظام حربي دقيق يستطيع بمقتضاه
اعداد جيش قوى من رعاياه هذا من الناحية العسكرية . اما من الناحية
الاقتصادية فانه قبض على كل مال فى البلد حتى الثمار والحنطة والشعير، واقام
رعاة للابل والذئب ومعهم قوم لحفظها والتتقل معها على نوب معروفة .
واجرى على اصحابه جرايات فلم يكن يصل لاحد غير ما يطعمه^(٢) .

وينظر فاحصة على هذه التصرفات نجد انه قد تلقاها من استاذة ومربيه
حمدان قرط الذى كان يستعبد الافراد ويسفك الدماء ويسلب الافراد ابسط
حقوقهم بتطبيقه النظام الاشتراكي الظالم .

اصبح القرامطة وعلى رأسهم ابو سعيد الجنابي يتعطشون الى اسالة
الدماء واشاعة الرعب والقلق فى مناطق متعددة من ديار المسلمين فالقتل
والاحراق للاجساد الانسانية هو السبيل للقضاء على من يعادى فكرتهم
ومبدأهم والروايات التاريخية تثبت كل هذه التصرفات الاجرامية . ففي المعركة
الاولى التى تقابل فيها ابو سعيد بجيشه مع جيش الخليفة العباسى سنة

(١) نهاية الارب للنويزى مخطوط (٢٣ : ٧٤) .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٦١) .

سبع وثمانين ومائتين نرى ان ابا سعيد لم يبق احدا منهم قتلا واسرا املا
الا سرى وعدد دهم مايزيد على سبعمائة رجل فلما كان من الغد احضرهم وامر
بحطب فطرح عليهم واحرقهم بعد قتلهم الا قائد المعركة العباسي فانه
اخذه معه .^(١)

واما اهل هجر فقد حاصرهم حصارا شديدا حتى اكلوا الكلاب وقطع
عنهم عينا عظيمة فلما رأوا انه حاق بهم الهلاك فر بعضهم فركب البحر ودخل
بعضهم في دعوته فنقلهم الى الاحساء وبقيت طائفة لم يغفروا لمجزهم ولم
يدخلوا في دعوته فقتلهم واخذ ما في المدينة واخربها فبقيت خرابا .

وواقع بنى حنبة وقائع مشهورة فظفر بهم واخذ منهم خلقا وبنى لهم
حبسا عظيما جمعهم فيه وسده عليهم ومنعهم الطعام والشراب فصاحوا فلم
يفتحهم فمكثوا على ذلك شهرا ثم فتح عليهم فوجد اكثرهم موتى ويسيرا
بحال الموتى وقد تغذوا بلحوم الموتى فخصاهم وخلاهم فمات اكثرهم .^(٢)

وكان لا يظفر بقرية الا قتل اهلها ونهبها فهابه الناس واجابه كثير منهم
وفر منه خلق كثير الى بلدان شتى خوفا من شره .^(٣)

ويلاحظ ان سلاح البطش والقوة عامل من عوامل نشر الدعوة ، هناك ولذا
اعتنق الدعوة الكثير ممن حوله خوفا ورهبة .

ويمتد ابو سعيد الجناي من الفرس واصله من جنابة بلدة من بلاد
الفرس وكان يعمل الفراء ثم سافر الى الكوفة حيث تلقى تعاليم الدعوة عن
حمدان وعبدان .^(٤)

ويقول ابن هوقل عنه : - ومنهم - اى من الفرس - الذين انتحلوا
ديانات خرجوا بها عن المذاهب المشهورة فدعوا اليها وانتصبوا لها ابوسعيد

(١) انظر تاريخ الام والملوك للطبرى (٨ : ٢٠١) .

(٢) اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٢ - ١٦٤) .

(٣) المرجع السابق (ص ١٦٠) .

(٤) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٧١) .

(١) الجنابى .

كما يقول عنه ابن الاثير : والمشهور منها - اى جنابه - ابو سعيد الجنابى الزنديق^(٢) . ويصف الحمادى ابو سعيد بقوله : كان فيلسوفا طعونا ملك البحرين واليمامة والاحساء^(٣) وادعى فيها انه المهدي القائم بدین الله^(٤) ويظن البعض نتيجة لهذه الدعوى انه زاحم عبيد الله المهدي على دعواه فدير قتله والقضاء عليه^(٥) وهذا غير صحيح لان المصادر تدل على انه توفى وهو مخلص للدعوة الاسماعيلية وائمتها . وقد غالى اتباعه فيه حتى سمو انفسهم ابو السعيد بين نسبة اليه^(٥) واعتقدوا رجعت وانه سيصود الى الدنيا ومن ثم فانهم جهزوا جوادا مسرجا يقف دائما عند قبره منتظرا خروجه ورجوعه الى الدنيا .

ويقول الرحالة الاسماعيلي ناصر خسرو : ان ابو سعيد قال لهم : انى ارجع اليكم بعد وفاتي . ويذكر خسرو : انه رأى على باب قبر ابي سعيد حصانا مهياً بصناية عليه طوق ولجام يقف بالنوبة ليلا ونهارا ويهتف بذلك ان ابا سعيد يركبه حينما يرجع الى الدنيا^(٦) اما نهاية ابو سعيد فيذكرها المقرئى بقوله : وكان موته على يد خادم له اخذه من مسكر المباس وقصد مكث هذا الخادم مدة طويلة لا يرى ابا سعيد فيها مصليا صلاة واحدة ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره فاضمر الخادم قتله حتى اذا دخل الحمام معه اعد الخادم خنجرا ماضيا والحمام خال فلما تمكن منه ذبحه ثم خرج فقال : يدعى فلان لبعض بني سنبر فاحضر فلما دخل قبضه وذبحه فلم يزل ذلك دأبه حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه فدخل آخرهم فاذا في البيت الاول د م

(١) انظر مذاهب الاسلاميين (٢ : ١١١) .

(٢) اللباب لابن الاثير (١ : ٢٩٣) .

(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٢٠) .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية (٧ : ١١٦) .

(٥) دائرة المعارف الاسلامية (٧ : ١١٦) .

(٦) سياسة نامه لناصر خسرو (ص ١٤٢ - ١٤٣) ، دائرة المعارف الاسلامية

جار فارتاب وخرج مبادرا واعلم الناس فحصروا الخادم حتى دخلوه فوجدها
الجماعة صرعى وذلك في سنة احدى وثلاثمائة^(١) .
وترك ابو سعيد مجموعة من الاولاد وهم :

(١) ابا القاسم سعيدا

(٢) ابو طاهر سليمان

(٣) وابو منصور احمد

(٤) وابو اسحاق ابراهيم

(٥) وابو العباس محمد

(٦) وابو يعقوب يوسف

وكان ابو سعيد قد جمع رؤساء دولته واوصى ان يحدث به موت يكون
القيم بامرهم سعيد ابنه الى ان يكبر ابو طاهر وكان ابو طاهر اصغر سنا من
سعيد فاذا كبر ابو طاهر كان المدبر فلما قتل جرى الامر على ذلك^(٢) . ولكن
لما تولى ابنه سعيد سار على سياسة جديدة تنطوى على التقرب من العباسيين
والتباعد عن الفاطميين لذا قرر الخليفة الفاطمي في المغرب خلعهم وتولية
اخيه ابي طاهر سنة ٣٠٥ هـ^(٣) .

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٤ - ١٦٥) .

(٢) المرجع السابق (١ : ١٦٥) .

(٣) الحركات الباطنية لغالب (ص ١٥٢) .

(٢) ابو طاهر سليمان الجنابي

تتماز فترة هذا القرمطي بأنها فترة التوسع وتثبيت الدولة القرمطية الناشئة كما انها فترة حرب ضروس اسال فيها الكثير من الدماء وانتهت الحرمات والمقدسات وعمل اعمالا بشعة لا مثيل لها في تلك الفترة . ومما ساعده على ذلك وضع الخلافة العباسية حيث كانت في وضع متدهور في شتى مجالات الحياة فأول فترة ابى طاهر كان الخليفة المقتدر بالله العباسي الذي تولى الخلافة وهو صغير يقول السيوطي عنه : ولم يل الخلافة قبله اصغر منه فانه وليها وله ثلاث عشرة سنة وينقل عن الذهبي قوله : اختلف النظام كثيرا في ايام المقتدر لصغره . وكانت النتيجة ان صار الامر والنهي لحرم الخليفة ونسائه ^(١) . ويقول ابن طباطبا : ان دولة المقتدر تدور امورها على تدبير النساء والخدم وهو مشغول بلذته وكانت النتيجة ان هُربت الدنيا ايامه وخلت بيوت الاموال واختلفت الكلمة ^(٢) . ان هذه الاحوال وتلك الاوضاع خير معين ومشجع لابي طاهر القرمطي الذي بدأ يشن غارات متلاحقة على المسلمين ولا سيما قوافل الحجاج . ففي سنة ٣٠٢ هـ اغار على قافلة الحاج وهي عائدة من مكة الى العراق وسلبها وسبي ٢٨٠ امرأة منها وترك سائر الحجاج جياعا عطاشا ^(٣) وقد توقف ابو طاهر عن الاغارة والسلب لمدة تسع سنوات الا ما حصل منهم في سنة ٣٠٧ هـ من الدخول بالبصرة واستباحتها والاكتار فيها من ^(٤) الفساد . ولهذا التوقف اسباب منها :

(١) ان الولاية من وفاة ابى سعيد سنة ٣٠١ هـ الى سنة ٣٠٥ هـ تمتاز بسياسة التقرب الى العباسيين والتباعد عن الفاطميين (وهذه المدة

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٧٨ - ٣٨٠ - ٣٨١) .

(٢) الفخرى في الاداب السلطانية (ص ٢٦٢) .

(٣) النجوم الزاهرة لابي المحاسن (٣ : ١٨٥) .

(٤) المنتظم لابن الجوزي (٦ : ١٥٣) ، البداية والنهاية (١١ : ٣٠) .

تاريخ ابن خلدون (٤ : ١٩٠) .

كان الوالى فيها اخوه سعيد الجنايى) ولذا فقد حز فى نفسه —
الفاطميين وفريق من القرامطة هذا التقرب فخلعوا سعيدا وولوا اخاه
ابا طاهر فكان ابو طاهر فى هذه المدة يسعى لتثبيت نفسه فى
الداخل .

(٢) موافقة العباسيين على البعض من مطالب القرامطة حيث ان على بن
عيسى خاف على قوافل الحجاج فوافق على السماح للقرامطة بالتجارة
واطلاق التسوق لهم بسيراف فردهم بذلك وكفهم^(١) .

(٣) انشغال ابو طاهر فى السنوات الاولى من حكمه بالاتصال بجيش
العباسيين فى مصر يزعمه ابى القاسم بن عبدالله المهدي وذلك سنة
٣٠٧ هـ .

هذه الاسباب وغيرها جعلته يتوقف عن الفتك بقوافل المسلمين من
حجاج وغيرهم ولكنه بدأ سلسلة من الاعمال الارهابية من سنة ٣١١ هـ الى
آخر حياته .

فى سنة احدى عشر وثلاثمائة هاجم البصرة فى الف وسبعمئة رجل
ووضع السيف فيهم واحرق المريد ونقض الجامع ومسجد قبر طلحة وهرب الناس
فطرحوا انفسهم فى الماء ففرق اكثرهم واقام ابو طاهر بالبصرة سبعة عشر يوما
يحمل على جماله كل ما يقدر عليه من الامتعة والنساء والصبيان ثم ولى منصرفا
الى بلده^(٢) .

وفى السنة التى تليها كان لابي طاهر وجمعه عدة هجمات . ففى
المهرم من سنة ٣١٢ هـ اعترض للحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام
قد ادوا فرض الله عليهم فقطع عليهم الطريق فقاتلوه دفعا عن اموالهم وانفسهم
وحريمهم فقتل منهم خلقا كثيرا لا يعلمهم الا الله واسر من نساءهم وابنائهم
ما اختاره واصطفى من اموالهم ما اراد فكان مبلغ ما اخذه من الاموال ما يقاوم

(١) صلة تاريخ الطبرى للقرطبي (ص ٤١) .

(٢) المنتظم لابن الجوزي (٦ : ١٧٣) .

الف دينار ومن الامتعة والمتاجر نحو ذلك وترك بقية الناس بعد ما اخذ جمالهم وزادهم واموالهم ونساءهم وابنائهم على بعد الديار في تلك الفياض والبرية بلا ماء ولا زاد ولا حمل وقد حاول نائب الكوفة الدفاع عن الحجاج ولكنه هزمه واسره . وكان عدة من مع القرمطي ثمانمائة مقاتل وعمره ان ذاك سبع عشرة سنة^(١) .

واحصى من قتله القرمطي منهم فكانوا من الرجال الفين ومائتين وعشرين ومن النساء نحو خمسمائة امرأة هؤلاء القتلى اما الاسرى فقد اطلقهم وكسان آخر من اطلق نائب الكوفة ابو الهيجا وارسل معهم رسولا منه لطلب الولاية على البصرة والاهواز من الخليفة العباسي المقتدر فلم يجبه الى ذلك^(٢) .

نتيجة عدم تلبية طلب القرمطي سار من هجر يريد الحاج وكان جعفر الشيباني متقلدا اعمال الكوفة وطريق مكة فلما سار الحجاج من بغداد سار جعفر بين ايديهم خوفا من ابي طاهر ومعه الف رجل من بنى شيان وسار مع الحجاج من اصحاب السلطان ثل صاحب البحر وجنى الصفواني وطريف السبكري وغيرهم في ستة آلاف رجل فلقى ابو طاهر القرمطي جعفرا الشيباني فقاتله جعفر فبينما هو يقاتله ان طلع جمع من القرامطة عن يمينه فانهزم من بين ايديهم فلقى القافلة الاولى وقد انحدرت من العقبة فردهم الى الكوفة ومعهم عسكر الخليفة وتبعهم ابو طاهر الى باب الكوفة فقاتلهم فانهزم عسكر الخليفة وقتل منهم واسر جنيا الصفواني وهرب الباقي والحجاج من الكوفة ودخلها ابو طاهر واقام ستة ايام بظاهر الكوفة يدخل البلد نهارا فيقيم في الجامع الى الليل ثم يخرج يبني في عسكره وحمل منها ما قدر على حمله من الاموال والثياب وغير ذلك وعاد الى هجر ودخل المنهزمون بغداد وخاف اهل بغداد وانتقل الناس الى الجانب الشرقي ولم يخرج في هذه السنة من الناس احد واما في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة فاعترض القرامطة الحاج بزبالمة

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ١٤٩) .

(٢) المنتظم لابن الجوزي (٦ : ١٨٩) .

فقاتلهم اصحاب الخليفة فانهزموا ووضع القرامطة على الحاج قطيعه فاخذوها وكفوا عنهم فساروا الى مكة^(١).

وفي سنة اربع عشرة توجه ابو طاهر القرمطي نحو مكة فبلغ خبره السي اهلها فنقلوا حرمهم واموالهم الى الطائف وغيره خوفا منه^(٢).

ولا شك ان هذه الممارك كان لها الدور الاكبر في تثبيت الدولة العبيدية الناشئة في المغرب حيث شغل القرمطي الدولة العباسية وخدم امامه عبيد الله المهدي الذي كانت تربطه به روابط العقيدة والمنطلق وكان ابو طاهر يخطب له على المنابر ويرسل له خمس الاموال من دخل القرامطة^(٣).

ظل ابو طاهر على هذه الحالة من اشاعة الرعب والقتل والسلب بحيث لا تمر سنة الا وقد استفاد منها حتى دخلت السنة الخامسة عشر وثلاثمائة فزحف ابو طاهر على البصرة والكوفة هذه السنة ولما قرب ابو طاهر من الكوفة هرب عمال السلطان منها فاستولى على ما فيها من مؤن قد بعثت ليوسف بن ابي الساج قائد الجيش العباسي فتقوى بها ابو طاهر وكان معه الف فارس وخمسمائة راجل ومع يوسف اكثر من عشرين الف مابين فارس وراجل، وصل القائد العباسي الى الكوفة بعد القرمطي بيوم واحد فحال بينه وبينهم فبعث اليه يندره ويأمره بالطاعة للخليفة العباسي والا فالهرب فرد عليه القرمطي بانه لا طاعة علينا الا لله تعالى والموعود بيننا للحرب بكرة غد فلما كان الغد وعابن يوسف عسكرا بى طاهر احتقره وقال من هؤلاء الكلاب حتى افكر فيهم وهؤلاء بعد ساعة في يدي وتقدم ان يكتب كتاب الفتح قبل اللقاء تهاونا بهم وسمع ابو طاهر اصوات البوقات والزعقات فقال لصاحب له ما هذا فقال فشل لم يزد على هذا فاقتتلوا من صحوه النهار حتى غروب الشمس وجرح من اصحاب ابي طاهر اكثر من خمسمائة فلما رأى ذلك باشر ابو طاهر

(١) الكامل لابن الاثير (٨: ٥٣ - ٥٤) .

(٢) المرجع السابق (ص ٥٧) .

(٣) انظر سبط النجوم العوالي (٤: ١٩٣) ، وكتاب عبيد الله المهدي

(ص ٢١٨) .

الحرب بنفسه وصعه جماعة يثق بهم وحمل بهم فطحن اصحاب يوسف ودقهم فانهمزوا بين يديه واسر يوسف وعددا كثيرا من اصحابه وحملوا القائد السى عسكريهم ووكل به ابو طاهر طبيا يعالج جراحه وورد الخبر الى بغداد بذلك فخاف الخاص والعام من القرامطة خوفا شديدا وعزموا على الهرب الى هـلوان وهمزان ودخل المنهزمون بغداد اكثرهم حفاة عراة^(١) .

بعد هذه الهزيمة النكراء رأى القرمطى ان الميدان خال وان جيش الخليفة قد تفرق وان حاله بالخلافة لا تستطيع الدفاع عن نفسها فى عقـر دارها فحاول الهجوم على بغداد نفسها لكن القائد العباسى مؤسس المظفر لجأ الى حيلة منعت القرامطة من الوصول الى بغداد فسير جماعة من الجيش السى الانبار تقطع الجسر حتى لا يعبر ابو طاهر عليه فقطعوا الجسر كما بعث مجموعة من المقاتلة لمنع القرامطة من العبور على الفرات . لكن ابا طاهر انفذ بعض اصحابه الى الحديثة فاتوه بسفن ولم يعلم اهل الانبار بذلك وعبر فى هذه السفن ثلاثمائة رجل من القرامطة فقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة واستولى القرامطة على مدينة الانبار . بعد ذلك خرج نصر الحاجب بجيش جرار ولحق بالقائد العباسى مؤسس المظفر فاجتمعا فى نيف واربعين الف مقاتل وساروا حتى بلغوا نهر زيار على فرسخين من بغداد فقطعوا القنطرة التى عليه وسار ابو طاهر نحوهم واراد القرامطة العبور فلم يمكنهم العبور على النهر ولو عبروه لانهمز الجيش ولا ستولوا على معقل الخلافة العباسية بغداد فضلا عن ان قائد الجيش العباسى مؤسس لجأ الى الخداع والمكر فوجه بعض القوارب المحملة بالتفاح المسموم الى جند القرامطة واشعرهم انه ولى هاربا وترك وراءه هذه القوارب فى عجلة الفرار فكان القرامطة يأخذونها فكثرت الميتة فيهم وكثر بهم الذرب وظهر جهدهم^(٢) .

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٥٧ - ٥٨) .

(٢) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٢٠٨ - ٢٠٩) .

(٢) الكامل لابن الاثير (٨ : ٥٨) ، تاريخ اخبار القرامطة (ص ٤٨) ، اتعاط

الحنفا (ص ١٨٢) ، قرامطة العراق لعليان (ص ١٥٢) .

بعد ذلك كـر الجيش القرمطى راجعا الى الانبار . فسير القائد العباسى مؤنس ستة آلاف مقاتل الى عسكر القرامطة ليفنموه ويخلصوا يوسف بن ابي الساج فبلغوا اليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وكان القائد العباسى الاول يوسف ابن ابي الساج ينظر الى المعركة وهو فى الاسرى رجوا النصر للجيش العباسى حتى يخلصوه وكان ابو طاهر ينظر اليه ولكن الهزيمة حاقت بعسكر الخليفة ولما انتهت المعركة احضر ابو طاهر ابن ابي الساج ومن معه من الاسرى فقتلوههم . (١)

لم يعتبر ابو طاهر القرمطى ارتدادا عن حاضرة العباسيين هزيمة بل اخذ يتابع مسيرته وتحواله فى بلاد العراق - وكأنه طريق رسم له ولا بد من اجتيازه - فلنتابع مسيرته لمسار من الانبار - حيث توجه الى الدالية عن طريق الفرات فلم يجد فيها شيئا فقتل من اهلها جماعة . ثم سار الى الرحبة فدخلها ثامن المحرم (سنة ٣١٦ هـ) بعد ان حارب اهلها فوضع فيهم السيف بعد ان ظفروهم .

نتيجة هذا القتل والرعب خافه اهل قرقيسيا فطلبوا منه الامان فآمنهم وامرهم ان لا يظهر احد منهم بالنهار فاجابوه الى ذلك وسير ابو طاهر سرية الى الاعراب بالجزيرة فنهبوه واخذوا اموالهم فخافه الاعراب خوفا شديدا وهربوا من بين يديه وقرر عليهم ضريبة على كل رأس دينار يحطونه الى هجر . ثم انتقل الى الرقة والريض لكن سكانهما تجمعوا وتعاونوا وقاتلوا اصحاب ابي طاهر ثم انصرفوا .

وبث القرامطة سرية الى رأس عين وكفرتوتا فطلب اهلها الامان فآمنوهم ثم ساروا ايضا الى سنجار فنصبوا الحبال ونازلوا سنجار حتى طلب اهلها الامان فآمنوهم . (٢)

(١) الكامل لابن الاثير (٥٨ : ٨) .

(٢) الكامل لابن الاثير (٦٢ : ٨) .

وفي آخر هذه السنة رجع ابو طاهر الى بلده وبني دارا اسماها دار الهجرة ودعا الى المهدي وتفاقم امره وكثرت اتباعه وحدثته نفسه بكبش الكوفة وصار اتباعه يكبسون القرية من ارض السواد فيقتلون اهلها وينهبون اموالها (١).

وهكذا ظل هذا السفك المتوحش يحيث في الارض فسادا حسيئا صار الناس اذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه - ولا يد من الوقوف قليلا لاخذ العبرة والخلفيات لتصرفات هذا الاعرابي الزنديق - كما يسميه الذهبي . فاولا : من الواضح جدا ان القرامطة كانوا يقاتلون عن مبدأ وفكرة وانهم هم المسلمون وغيرهم الكفار فنجد ثباتهم في القتال مرتبط باعتقادهم الراسخ في صحة ما يقاتلون عليه حتى ان الفرد منهم قد يقضى على امه وعلى ابيه واسرته لانهم بزعمهم قوم كفار يجب قتلهم والقضاء عليهم . فيحدثنا ثابت بن سنان في تاريخ اخبار القرامطة قائلا : " ان امرأة ذكرت عن ولد لها انه طالبت غيبته عنها فخرجت تطوف في البلاد تسأل عنه حتى وقعت عليه فمضى عسكر القرمطي فحدثته عن حالها وحال اخوته وكان الرد عليها ان قال " دعيني من هذا واخبريني ما دينك . فقالت له الاسلام كما تعلم فقال يا اماء اتركيني هذا الدين وادخلي معي في هذه الدعوة والدين مانحن فيه اليوم . ثم خرج وتركتني ولما اردت الرجوع وسرت عشرة فراسخ من عسكر القرمطي لحقني ابني وضربني بسيفه فجرهني وهو يريد قتلي لولا من كان معي فضعوه ممن ان يصل الى (٢) . كما ان كتب التاريخ ذكرت حادثة من هذا النوع لها مدلولاتها الواضحة عند هؤلاء المجرمين فيذكر ابن الاثير بانه جاء انسان الى علي بن عيسى واخبره ان في جيرانه رجلا من شيراز على مذهب القرامطة يكتب ابدا طاهر بالاخبار فاحضره وسأله واعترف وقال ما صحبت ابا طاهر الا لما صبح عندي انه على الحق وانت وصاحبك كفار تأخذون ماليين لكم ولا بد لله من حجة في ارضه . . . الى ان قال له الوزير العباسي قد خالطت عسكرنا وعرفتكم

(١) المنتظم لابن الجوزي (٦ : ٢١٦) .

(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٢١ - ٢٢) .

فمن فيهم على مذهبك فرد عليه قائلا : وانت بهذا العقل تدبر الوزارة كيف
تطمع من اننى اسلم قوما مؤمنين الى قوم كافرين يقتلونهم لا افعل ذلك ^(١) .

اما الطرف الثانى وهو الجيش العباسى فكانت مهمته الدفاع عن
بعض المدن التى بقيت تحت سيطرة الدولة العباسية بينما كانت جيوش
القرامطة تضى قدما فى القتال مستخدمة وسيلة الهجوم التى تمنح الجيش
قوة وعزيمة ومضا^{*} .

كما ان حالة الخلافة قد ساءت كثيرا فلم تعد قادرة على الدفاع عن
نفسها فضلا عن حماية اطرافها والمناطق البعيدة من العاصمة بغداد وهذا
بسبب فساد الخلفاء العباسيين فى تلك الفترة وضعفهم حتى اصبحت امور
الدولة فى يد النساء والخدم . ويصف المسعودى تلك الفترة بقوله عن
المقتدر : " افضت الخلافة اليه وهو صغير غر ترف لم يعان الامور ولا وقف على
احوال الملك . فكان الامراء والوزراء والكتاب يدعون الامور ليس له ففى
ذلك حل ولا عقد ولا يوصف بتدبير ولا سياسة وغلب على الامر النساء والخدم
وغيرهم فذهب ما كان فى خزائن الخلافة من الاموال والعدد بسوء التدبير
الواقع فى المملكة ^(٢) " .

ويقول ابن الاثير " ان المقتدر اهل احوال الخلافة كثيرا وكان جملة
ما اخرجته من الاموال تبذيرا وتضييعا فى غير وجهه نيفا وسبعين الف الف
دينار ^(٣) . وهذا نموذج من حياة الخلفاء فى هذه الفترة . اما الوزراء فقد
اعطوا مصالحهم ونسوا امور المسلمين مع ما كانوا عليه من عصيان وفسوق فيذكر
ابن كثير ان الخليفة عزل وزيره ابا العباس الخصى وامر بالقبض عليه وحبسـه
وذلك لاهماله امر الوزارة وانشغاله بالخمر فى كل ليلة فيصبح مخمورا لا تميزله

(١) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٨٨) .

(٢) التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٢٨) .

(٣) الكامل لابن الاثير (٨ : ٨٣) .

(١)

وقد وكل الامور الى نوابه فخانوا وعطوا مصالحهم .

اما حالة الجند والجيش العباسي فكانت في حالة متدنية من التفريق وقلة التدبير وضعف القيادة وانحراف الجنود الى مهمة السلب والنهب ويتضح هذا جليا في المعركة التي قادها ابن ابي الساج في سنة خمس عشرة وثلاثمائة حيث ان القائد العباسي دخل المعركة على غير تعبئة وعبر مستهيناً بأمر القرمطي مستحقراً له ثم واقعه في جيش يضيق عنه موضعه ولا يملك تدبيره وقد تفرق عنه عسكره وركبوا من نهب القرى وأذى الناس وظهر الفجور شيئاً كثيراً^(٢) . هذا بالنسبة للجند . اما القائد فقد اتهم في التقرب الى العبيديين ومراسلتهم بل ذكر كثير من المؤرخين كابن الاثير في الكامل والعيني في عقد الجمان انه كان يدين بالطاعة لعبيد الله المهدي وانه كان يرسل ابا طاهر القرمطي ويعد العدة لاسقاط الخلافة العباسية واقامة الخلافة العبيدية محلها^(٣) .

ويبدو ان هذا الاتهام اصبح حقيقة واقعة حيث ان اهل بغداد كانوا يجتمعون ويتظاهرون منادين القرمطي الصغير (ابوطاهر) قتل المسلمين في طريق مكة والقرمطي الكبير (ابن الفرات) قتل المسلمين في بغداد^(٤) . ويذهب صاحب العيون والحدائق الى ان اهل بغداد رجموا ابن الفرات واتهموه بانه من القرامطة^(٥) .

ان امة مليئة بالخيانة بدأ بحكامها ووزرائها وقادتها وانتهت بجنودها جديرة بان تهزم وتذل وهكذا اجري الله عز وجل سنته فيهم حيث انتصرت عليهم هذه الشرذمة القليلة ومزقتهم شر مزق .

-
- (١) البداية والنهاية لابن كثير (١١: ١٥٤) .
 - (٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي (١: ١٨١) .
 - (٣) قرامطة العراق لعليان (ص ١٥٢) .
 - (٤) الكامل لابن الاثير (٨: ٥٠) .
 - (٥) العيون والحدائق لمجهول (ص ٣١١) .

ثانيا : حرص القرامطة وعلى رأسهم ابو طاهر بالدأب والا استمرار على السلب والنهب والقتل والا سر حتى صوروا انفسهم بالقوة التي لا تقهر واتخذوا للوصول الى ذلك وسائل في غاية من البشاعة والوحشية وقد اتضح لنا من خلال السرد التاريخي للاحداث بعض من تلكا لوحشية . ويذكر ابن كثير رحمه الله ان اتباع ابي طاهر اخذوا يكبسون القرى من ارض السواد فيقتلون اهلها وينهبون اموالها وحتى وصلت الحال الى ان الناس اذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه .^(١) بل صار الخليفة يخشى بأسمه وصارت العاصمة وسكانها يرتعدون عند ذكر اسمه او اسم القرامطة فاصبحت كلمة قرمطي مرادفة لكلمة جندي مخيف لا يقهر يخوفون به اولاد بغداد . واخذوا يختلقون الاحاديث الخريبة عن جيوش ابي طاهر وعده ويحتمدون ان نجاحه في ساحات الحرب يرجع الى مخاريق واعمال سحرية يقوم بها هو واصحابه في معمران القتال وان قوى غير بشرية تساعد الى غير ذلك من الترهات التي كان يملئها عليهم الخوف في حين ان انتصار القرامطة في اكثر المواقع لم يكن الا نتيجة اجتماع كلمتهم وطاعتهم العمياء لزعيمهم وثقتهم التامة به وثباتهم في القتال المتوقف على اعتقادهم الراسخ في صحة ما يقاتلون عليه فضلا عن انهم كانوا اشد بأسا واثبت جنانا واغوى على احتمال مشقات الحرب من جنود الخليفة الذين كان اكثرهم من سكان المدن المعتادين الراحة والثلج والرياحين .^(٢)

وذكر ابن الجوزي ان احدهم سأل يوما قرمطيا عن اسباب انتصارات اصحابه مع قلة عدد جيوشهم فاجابه القرمطي بقوله : نحن نقدر السلامة في الثبوت وهؤلاء يقدرونها في الهرب .^(٣)

(١) ابن كثير، البداية والنهاية (١١ : ١٥٧) .

(٢) من تاريخ الحركات الفكرية لبندلي جوزي (ص ١٧٢ - ١٧٩) .

(٣) المنتظم لابن الجوزي (٦ : ٢٠٩) .

نتيجة هذا الخوف الشديد ان اصيب الجيش العباسي بالهزيمة النفسية من الداخل واخذت جيوشه تتبدد وتتسحب قبل الدخول في المعركة ففي سنة ٣١٥ هـ عندما بلغ ابو طاهر وجيشه نهر زبارا واشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير الى بغداد من غير ان يلقوهم ولما علم المقتدر بمدة عسكره وعسكر القرامطة قال لعن الله نيفا وثمانين يعجزون عن الفين وسبعمائه^(١).

ثالثا : انه لا مر يدعو الى العجب حقا ان تستطيع هذه القلة من القرامطة هزيمة هذا العدد الكبير من جيش الخليفة ولهذا يفترض احد المستشرقين وجود تواطؤ بين بعض القواد في جيش الخليفة وبين ابى طاهر القرمطى ويقول ان من المؤكد انه قد كان لابي طاهر اعوان كثيرون مستترون في العراق وكان في جيوش الخليفة خونه^(٢).

ومن الاحداث التي ذكرناها يتضح هذا الامر جليا فقد سبق ان مر علينا حادثة الرجل الذي قبض عليه على بن عيسى لانه كان يخالط الجيش العباسي ويكتب ابا طاهر بالاخبار كما ان القائد العباسي يوسف بن ابى الساج اتهم بميله مع القرامطة ومما يدل على ان هناك ايديا مستترة تعمل في العاصمة بغداد لصالح القرامطة ما ذكره القرمطى في تاريخ الصلة من انه في سنة ٣١١ هـ قبض على الوزير حامد بن العباس وعلى بن عيسى وولى الوزارة على ابن محمد بن الفرات ووصلت هذه الاخبار الى ابى طاهر في وقتها قبل ان تنتشر في الكوفة والبصرة فكان القرامطة يقولون يوم دخولهم البصرة تهكموا ويلكم ما بال سليطينكم في ابعاد ذلك الشيخ عن نفسه وليعلمن ما يلقي بمده قالوا (اي اهل البصرة) ونحن لا ندري ما يقولون حتى وردنا الخبر بعد ذلك بالقبض على حامد وعلى وولاية ابن الفرات فعلمنا ما ارادت القرامطة وان الخبر اتاهم من وقته^(٣).

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٥٨) .

(٢) انظر مذاهب الاسلاميين (٢ : ١٣٣ - ١٣٤) .

(٣) صلة تاريخ الطبري لعريب القرطبي (ص ٧٦) .

رابعا : اننا حينما نفكر في الاحداث التي قام بها ابو طاهر القرمطى نجد انه كان يركز على مهاجمة الحجاج في ذهابهم وايابهم . ففي ٣١٢ هـ التقى بالحاج وقتل منهم خلقا كثيرا مما دفع والى الكوفة بالذهاب لحمايتهم من قبضة القرمطى ولكنهم انهزموا فاسروا والى الكوفة وتلطف لابي طاهر فاستأمنه وامر القرمطى بعد ذلك بتمييز الحجاج عن الجيش الذي جاءهم من الكوفة فلما عزل الحجاج اخذ مavecهم وتركهم فمات اكثرهم ورجع الباقي بشر حال وفي صورة الموتى ^(١) . بل استطاع عدة سنوات منع المسلمين من اداء فريضة الحج - ولا سيما اهل المشرق والشمال - ووسيلته في ذلك حملات مكثفة ومتلاحقة مهمتها القتل والسلب والنهب لقوافل الحجاج وانه من خلال السرد التاريخي لهذه الاحداث في فترة ابي طاهر يتضح لنا الدأب والاستمرار على مهاجمة قوافل الحجاج بدءا بسنة ٣٠٢ هـ حتى آخر حياته وان مثل هذه التصرفات لم تكن رغبة في الاموال وحدها بل ان وراءها خلفيات عميقة طالما غفل عنها الكثير من المؤرخين .

ان القرامطة وعلى رأسهم ابو طاهر يدركون ما للحج من مفزى عميق وآثار بعيدة في تعميق روابط الامة الاسلامية والتفافهم حول الخلافة العباسية التي كانت تعتبر نفسها حامية للحرمين وللمقدسات الاسلامية ولذا كانت حتى في عهد ابي طاهر القرمطى ترسل وفود الحجاج وتؤم رعى الحجاج اميرا من قبلها يقود مسيرة الحجاج .

ولذلك عمد ابو طاهر الى محاولة تمزيق هذه الروابط بحملاته المكثفة على الحجاج الذين يشكلون جماعات متعددة من انحاء العالم الاسلامي كما نجح في اظهار الخلافة العباسية بمظهر العاجز عن حماية رعايها من المسلمين وتأمين طريقهم الى بلاد الحجاز . ولا شك ان ظهورها بهذا المظهر يضعف هيبتها امام العالم الاسلامي وهو ما كان يرجوه ويعمل من اجله ليمهد السبيل امام انصاره العبيديين وقيام دولتهم لامة العالم الاسلامي

(١) انظر اتعاظ الحنفا (١ : ١٨٠) .

حيث ان امير المؤمنين الحقيقى هو من كان ملكا للحرمين^(١) .

كما ان التعرض للحجاج سنة بعد اخرى ينبغى* من فكرة وعقيدة لدى القرامطة باعتبار ان الحج من شمائر الجاهلية ومن قبيل عبادة الاصنام وان هذه الشعيرة الظاهرة ينبغى ازالتها والقضاء عليها من اذهان المسلمين وستتضح هذه الفكرة اكثر عند الحديث على اعتداء* ابو طاهر على الكعبة واخذه الحجر الاسود وقتل حجاج بيت الله الحرام سنة ٣١٧ هـ .

ومن الجدير بالذكر ان اعتداءاته على الحجاج واستيلائه على طريقهم نهابا واياها كان توطئة ومقدمة لاجرامه الشنيع الذى ظل وسيظل عسارا ومظهرا من مظاهر الزندقة والالحاد سطره التاريخ عليهم ويتمثل هذا الاجرام بمهاجمة مكة واخذ الحجر الاسود سنة ٣١٧ هـ .

(١) الحضارة الاسلامية لادم ميتز (٢٤ : ١) .

مهاجمة مكة واخذ الحجر الاسود

بلغت فظائع ابي طاهر ذروتها بمهاجمة مكة واستهانت به بالمسلمين سنة ٣١٧ هـ وقد اجمعت كتب التاريخ على سياق هذا الحادث المريع ولم يغفله اى مؤرخ نظرا لخطورته وما يعبر عنه من الحادث سافر من قبل هذه الفئة المجرمة وقد تحدث عنه المؤرخون بسطا وايجازا والذي يهمنا من ذلك الدوافع التي دفعت هؤلاء الى ارتكاب اعظم جرم في حق هذا البيت الحرام والمنطلقات الفكرية التي ينادون بها وهم يقدمون على انتهاك حرمت الله فيحدثنا نظام الملك في كتابه سياست نامه ان ابا طاهر ارسل الى الدعاء يطلب الكتاب المقدس عندهم والمسمى (بالبلاغ السابع)^(١) فارسلوه فلم يقرأ الكتاب تغيرت حاله وطفق يقول لكل من في البحرين والاحساء من الشبان ذوى السلاح اقبلوا فان لكم عندي عملا . وكان ميقات الحج قريبا فاجتمع حوله خلق فحشد هم وسار بهم الى مكة^(٢) .

من هذا المنطلق تحرك ابو طاهر . واما الحجاج فقد توافدت على بيت الله الحرام من كل فج عميق فما شعروا الا بالقرمطى قد خرج عليهم ففى جماعته يوم التروية فانتهب اموالهم واستباح قتالهم فقتل فى رحاب مكة وشعابها وفى المسجد الحرام وفى جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا وجلس اميرهم ابو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل فى الناس فى المسجد الحرام فى الشهر الحرام يوم التروية وهو يقول : انا الله

(١) سبق وان ذكرنا هذا الكتاب عند ذكر مؤلفات عبدان وانه يمثل نتيجة

المذهب والكشف الاكبر ويقول ابن النديم عنه " قد قرأته ورأيت فيه امرا عظيما من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع واصحابها " . انظر

الفهرست لابن النديم (ص ٢٤٠) .

(٢) سياسة نامه للطوسي (ص ٢٧٩ - ٢٨٠) .

وبالله انا . . انا اخلق الخلق وافنيهم انا .

فكان الناس يفرون منهم فيثقلون باستار الكعبة فلا يجدى ذلك عنهم شيئا بل يقتلون وهم كذلك . ويطوفون فيقتلون فى الطواف .

اما البيت فهدم قبة زمزم وامر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها ووزعها بين اصحابه وامر رجلا ان يصعد الى مهاب الكعبة فيقتلعه فسقط على ام رأسه فمات ثم امر بان يقلع الحجر الاسود فجاءه رجل فضربه بمثل فمسه يده وقال : اين الطير الا بابل اين الحجارة من سجيل . ثم قلع الحجر الاسود واخذوه حين راوا معهم الى بلادهم .^(١)

ويذكر الذهبي : ان القتلى حول البيت الف وسبعمائة واما القتلى بمكة وبظاهرها فقاربوا ثلاثين الفا وانهم سبوا الحريم والصفار ولم يحج احد ولا وقف بالناس امام^(٢) .

ويقدر المقرئى ما اخذه من الاموال والامتنعة فيقول انه اخذ ستنة وعشرين الف حمل خفا وضرب آلاتهم واثقالهم بالنار واستملك من النساء والفلان والصبيان ما ضاق بهم الفضاء كثره^(٣) .

هذا وكثير من المؤرخين يذكرون تفاصيل منقولة عن الاسرى تدل على الاحاد السافر لهؤلاء المجرمين وعلى رأسهم الطاغية ابو طاهر القرمطى نختار منها ما ذكره ابن الجوزى فى المنتظم بعد ان ساق السند قال : اخبرنى رجل من اصحاب الحديث اسرته القرامطة واستعبدته سنين ثم هرب منها لما امكنه قال كان يملكنى رجل منهم يسونى سوء العذاب ويستغنى اعظم خدمه ويمر يد على اذا سكر فسكر ليلة واقامنى حياله وقال ماتقول فى محمد هذا صاحبكم ؟ فقلت لا ادرى ولكن ماتعلمنى ايها المؤمن ا قوله فقال كان رجلا سائسا .

فما تقول فى ابى بكر قلت لا ادرى . قال كان رجلا ضعيفا مهينا . فما

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ١٦٠ - ١٦١) ، الكامل لابن الاثير

(٨ : ٧١) .

(٢) دول الاسلام للذهبي (١ : ١٩٢) .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٨٢) .

تقول في عمر ؟ قلت لا ادرى قال كان والله فظا غليظا . فما تقول في عثمان ؟ قلت لا ادرى قال كان جاهلا احمق فما تقول في علي ؟ قلت لا ادرى قال كان مخرقا اليس يقول ان هاهنا علما لو اصبحت له حملة . اما كان في ذلك الخلق العظيم بحضرته من يودع كل واحد منهم كلمة حتى يفرغ ماعنده هل هذه الا مخرقة ؟ ونام فلما كان من غد دعاني فقال ما قلت لك البارحة ؟ فاريتـه اني لم افهمه فحذرنى من اعادته والاخبار عنه بذلك فاذا القوم زنادقة لا يؤمنون بالله ولا يفكرون في احد من الصحابة^(١) .

ويقول ابن الجزار : حدثني من اثق به قال دخل بعض اصحاب القرمطي المسجد الحرام وهو راكب يمشى بدابته على بعض جسني وانما مجروح ملقى بين القتلى حول البيت فتحركت وخفت على نفسي فقال تقسراً سورة القيل قلت : نعم قال : فأين تلك الطير الا يا بيل ؟ قال : فقلت له حيث شاء الله تعالى قال . فقال يا حمار تعبدون الحجارة وتطوفون بها وتلثمون اركانها وترقصون حولها . . . قال فعلمت انهم زنادقة ومن بقايا اهل الردة^(٢) .

ويمضي القرمطي واصحابه في التهمك والاستهتار بآيات الله التي ان يبلغ به الحاد في التطاول على مقام الله عز وجل وانكار نسبة البيت اليه قاعلا :

فلو كان هذا البيت لله ربنا	لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا هجنا حجة جاهلية	محللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفاء	كثائب لا تنفى سوى ربها ربنا
ولكن رب العرش جل جلاله	لم يتخذ بيتا ولم يتخذ حجبا ^(٣)

(١) المنتظم لابن الجوزي (٦ : ٢٢٤) .

(٢) العميون والحدائق لمجهول (٤ : ٣٤٩) .

(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادي اليماني (ص ٣٣) .

ومما مضى يتضح لنا ان ابا طاهر وزمرته قد الحدوا الحادا بالفساد
وتجدوا جميع المسلمين باعتدائهم الصارخ على بيت الله الحرام فماذا كانت ردة
الفعل من قبل العالم الاسلامي ؟

وللاجابة على ذلك نقول ان اى مسلم عنده نبض من الايمان لا بد وان
ينتظر ان يكون لهذه المصيبة العظمى التى اصابته الاسلام وقع شديد على
جميع المسلمين وخليفتهم فى بغداد وتكون وراء ذلك حركة طيبة تؤدى الى
جمع قوى المسلمين ووضع حد لغزوات القرامطة وفضائهم وشهكمهم على الدين
واهله ولكن انى ذلك ولم يبق من عز الخلفاء السابق الا اللقب الطويلة
العريضة .

وكانت النتيجة ان الخلافة العباسية لم تقم باى عمل لصدا ابي طاهر
بل اكتفى الخليفة المقتدر بانفاذ رسالة اليه يهينه فيها ويتوعده فرد عليه
ابو طاهر بما يدل على عدم اكرامه به ^(١) ومع ذلك فان المسلمين كانوا
وجاعات لم يتركوا هذا المجرم كما فعلت الدولة العباسية فكانت هناك
محاولات فردية لرد الحجر الاسود وتخليص اسرى المسلمين الذين بحوزة ابي
طاهر . يقول صاحب العيون والهدائق : انه لما خرج القرمطي من مكة
عرضت له هذيل وحاربوه حربا شديدة بغية الحصول على الحجر الاسود
وارجاءه الى مكانه ولم يتمكنوا من ذلك ولكسهم فى حربهم خلصوا كثيرا من
الرجال والنساء المأسورين ^(٢) .

كما يذكر كثير من المؤرخين كابن الجوزى وابن النوردي والسيوطي ^(٣) ان
بجكم امير بغداد بذل جهدا كبيرا فى رد الحجر الاسود الى مكة عن
طريق الاهراء فقدم لابي طاهر خمسين الف دينار فلم يردده .

(١) كشف اسرار الباطنية للحمادى اليماني (ص ٣٣ - ٣٤) .

(٢) العيون والهدائق لمجهول (٤ : ٣٤٩) .

(٣) انظر المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٣٦٧) ، تاريخ ابن الوردي (١ : ٢٦١) .

تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٨٣) .

كما يذكر ابن الاثير ايضا : ان محمد بن ياقوت - حاجب الخليفة - ارسل رسولا الى ابي طاهر يطلب منه عدة امور ومنها رد الحجر الاسود الى مكانه فاجابه ابو طاهر القرمطي ببعضها ولكن الحجر الاسود لم يرد^(١)ه .

موقف الدولة العبيدية من هذا الاجرام .

غنى عن البيان ان العبيديين تولوا زعامة جميع طوائف الاسماعيلية ومنهم القرامطة وكانت هذه الطوائف تأتمر بامرهم وتنفذ سياستهم الرامية الى القضاء على المذهب السني والذي تمثله الدولة العباسية . ان تصرفات القرامطة وتحركاتهم ما هي الا تنفيذ على رسم لهم من قبل زعمائهم العبيديين - ولا سيما في فترة ابي طاهر - حيث كان لعبيد الله المهدي اطوع من بنائه وقد استمر على ولائه واخلاصه له والمنضويين تحت لوائه حتى توفي عام ٣٣٢ هـ^(٢) .

اذن هل كان اعتداء ابي طاهر القرمطي على المقدسات الاسلامية وسلبه ما فيها مع قتل الحجاج وارهاب المسلمين بامر من الدولة العبيدية واذا لم يكن ذلك فهل افتره على هذا الاجرام والاحاد ؟ ؟ وللاجابة على ذلك اقول : ان زعماء الدولة العبيدية اقروا القرمطي على ذلك بـل وامروه . وحينما نستعرض الادلة والحقائق نجد ان غالب الروايات تؤيد ما ذهبنا اليه سوى ما ذكره ابن سنان وابن الاثير من ان عبيد الله المهدي لما بلغته احداث ابي طاهر وجرائمه في مكة كتب اليه ينكر عليه قائلا : قد حققت على دولتنا وشيئتنا ودعاتنا اسم الكفر والزندقة والاحاد بفمالك الشنيعة هذه وان لم ترد على اهل مكة والحجاج مانهبتهم وترد الحجر الى موضعه وترد كسوة الكعبة كما كانت والا اتيت اليك يجنود لا قبل لك بها وكان الجواب من ابي طاهر ان رد الحجر الاسود الى مكانه واستعاد ما امكته

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ١٠٢) .

(٢) انظر كتاب عبيد الله المهدي لحسن ابراهيم وطه شرف (ص ٢١١) .

من الاموال الى اهل مكة^(١) .

وهذه الرواية - مع ضعفها - تعتبر مخالفة لواقع الاحداث لان القرامطة لم يردوا الحجر الاسود الا في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة اى بعد اخذهم باثنين وعشرين عاما وبعد وفاة عبيد الله المهدي بسبع عشرة سنة وقد استدرك ابن خلكان هذا الخطأ الذى وقع فيه ابن الاثير حول هذه الرواية بقوله - وهذا الذى ذكره شيخنا (اى ابن الاثير) من كتاب المهدي الى القرمطى في معنى الحجر وانه رده لذلك لا يستقيم لان المهدي توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكان رد الحجر في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . اى بعد موت المهدي بسبع عشرة سنة^(٢) . هذا فضلا عن ان ابن الاثير وابن سنان ذكرنا ما يتعارض مع روايتهما هذه وذلك حينما تعرضا لاحداث سنة ٣٣٩ هـ حيث اثبتا ان رد الحجر الاسود كان في هذه السنة^(٣) .

ومما يؤكد ضعف هذه الرواية ما اتفق عليه الكثير من المؤرخين - من ان رد الحجر الاسود انما كان سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة^(٤) .

ويتضح مما ذكرنا ان موقف الدولة العبيدية من اعمال ابي طاهر الاجرامية انما هو موقف المؤيد ان لم يكن الامر . ومما له مدلول ومغزى انه لما طلب من ابي طاهر القرمطى رد الحجر الاسود امتنع قائلا : اخذناه بامر واذ ورد الامر برده ردناه^(٥) . كما ان اخوة ابي طاهر لما ردوا الحجر

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٧١) ، تاريخ اخبار القرامطة (ص ٥٤) .

(٢) وفيات الاعيان (٢ : ١٤٩) .

(٣) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٥٧) ، الكامل لابن الاثير (٦ : ٣٣٥) .

(٤) انظر دول الاسلام للذهبي (١ : ٥١٠) ، البداية والنهاية لابن كثير

(١١ : ٢٢٣) ، المنتظم لابن الجوزي (٦ : ٣٦٧) ، تاريخ ابن الوردي

(١ : ٢٨٤) ، الفخرى لابن طباطبا (ص ٢٨٩) ، العيون والحدائق

لمجهول (٤ : ٣٥٩) .

(٥) انظر المنتظم لابن الجوزي (٦ : ٣٦٧) ، البداية والنهاية لابن كثير

(١١ : ٢٢٣) .

(١) الاسود الى مكانه كتبوا كتابا يذكرون فيه انهم ردوا الحجر الاسود بامر من اخذوه بامرهم .
ويوضح ابن خلدون الامر اكثر فيقول : انهم - اى قرامطة البحرين -
زعموا انهم انما حطوه بامر امامهم عبيد الله المهدي وانما يريدونه بامرهم او امر
خليفته (٢) .

ويقول برنارد لويس : ان القرامطة اعادوا الحجر الاسود الى موضعه
سنة ٣٣٩ هـ بامر من الفاطميين (٣) .

ومن خلال هذه الروايات المتعددة يتبين لنا بوضوح ان اعمال ابي
طاهر القرمطي الاجرامية انما كانت بامر من امامه العبيدي الذي كان يخضب
له في كل مكان حتى في السنة التي اعتدى فيها على الحجاج وانتهك
المسجد الحرام اقام الخطبة فيها لعبيد الله المهدي بدلا من الخليفة العباسي
(المقتدر) (٤) .

والخلاصة ان ابا طاهر القرمطي ليس له الا دور التنفيذ امام
او امر امامه عبيد الله المهدي والذي ظل مخلصا له حتى موته . يقول غالب :
والملاحظ ان ابا طاهر كان حائزا على ثقة الفاطميين ومتمتعاً برضاهم لانه
كان يتلقى اوامرهم وارشاداتهم فينفذها بدقة متناهية وظل على اخلاصه
لهم حتى وفاته سنة ٣٣١ هـ (٥) .

هدف القرامطة من اخذهم الحجر وتدميرهم للكعبة .

من المسلم به ان اعمال ابي طاهر القرمطي في مكة سنة ٣١٧ هـ ليست
مصادفة وانما كان وراء هذه الاعمال اهداف وغايات تحقق بعضها ولم يتحقق

(١) المنتظم لابن الجوزي (٦ : ٣٦٧) .

(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩١) .

(٣) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٨٧) .

(٤) درر الفرائد لعبد القادر الانصاري (ص ٢٣٦) .

(٥) الحركات الباطنية لمصطفى غالب (ص ١٣٥) .

البعض الآخر وعن هذه الاهداف وتلك الغايات يحدثنا الحنفى قائلا : ان ابا طاهر بنى دارا فى هجر سماها دار الهجرة واراد نقل الحج اليها . . . وفى سنة ٣١٧ هـ دخل مكة وخرب الكعبة ونقل الحجر الاسود وحمله معه يريد ان يحول الحج الى مسجد الضرار الذى سماه دار الهجرة . . . ثم يتابع حديثه قائلا : ولما ايسر القرامطة عن تحويل الحجاج هجهم الى هجر ردا الحجر الاسود الى محله فى عشر ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (١) كما يقول ابن خلدون عن ابي طاهر : انه قلع الحجر وانصرف به واراد ان يجعل الحج عنده . (٢) ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الوردي : من ان القرمطى لمَّا اخذ الحجر الاسود قال هذا مغناطيس بنى آدم وهو يجرحهم الى مكَّة وأراد ان يحول الحج الى الاحساء (٣) .

وما ذكره العصامى : من ان ابا طاهر اراد من نقله الحجر تحويله الحج الى الاحساء (٤) .

وهكذا ومن خلال ما نقلت نجد ان جمعا من المؤرخين يتفقون على هذا الهدف حتى ان كاتبها معاصرا - حينما ذكر هذه الاحداث - عنون لها بقوله " فشل الامراء والملوك فى تحويل الناس عن الكعبة " وذكر ان - بعد موت ابي طاهر رأى قومه ان من المستحيل تحويل الحج عن الكعبة الى بلادهم فقام سنجر بن الحسين القرمطى برد الحجر الى مكة (٥) .

كما يقول النشار : ان غاية ابي طاهر من اقتلاع الحجر الاسود ايقاف فريضة الحج وعرقلتها ذلك لانه يؤدى على طريقة السنة (٦) . لكن تامل ذكر - مدافعا عن القرامطة - ان لهم رأى حول هذا الموضوع يتلخص بما يلى : ان تعاليم الاسلام الغت الاصنام ونهى الاسلام امر بتهديمها فما لهذه الاصنام

(١) انظر اخبار مكة للحنفى (٣ : ١٦٢ - ١٦٣) .

(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩١) .

(٣) تاريخ ابن الوردي (١ : ٣٦١) .

(٤) سمط النجوم العوالى (٣ : ٣٦٠) .

(٥) الرحلة الحجازية لمحمد البتتوني (ص ١٣١) .

(٦) نشأة الفكر الفلسفى للنشار (٢ : ٤٧٤) .

تعود بعد انتقال النبي ثم ذكر انهم استشهدوا بقول لعمر رضى الله عنه
 واورده محرراً^(١) . ولصفاة هذا رأى وخلوه من الادلة فانه لا يستحق مناقشة
 فضلا عن ان الكاتب - وكما هي عادته - لم يذكر مصدرا لهذا الكلام الذى
 ارجح انه جاء به من عند نفسه تعصبا لهذه الفئة المجرمة .

ولا بد من القول بان عددا لا يستهان به من اتباع ابي طاهر كانوا
 مجوسا ويرون فى نقل الحجر الاسود انتقاما من الاسلام ونبيه ومحاولة للقضاء
 عليه وعلى طقوسه^(٢) . وبعد تلك الاحداث الدامية والمنطلقات الاحاديثية
 التى فعلها ونادى بها فى بيت الله الحرام لم يتوقف عن اىذاء المسلمين
 - ولا سيما الحجاج - حيث قام بغزو العراق بعد عام من غزوة مكة وفى عام ٣١٩ هـ
 يتوجه الى الكوفة ويحط رحاله فيها لمدة خمسة وعشرين يوما قتل من اهلها
 الآمين - فى هذه الفترة - مقتلة عظيمة^(٣) . ويذكر ابن خلدون ان ابا طاهر ظل
 فى هذه الفترة يتعمد العراق والشام بالفرز وحتى ضربت له الاتاة ببغداد
 ودمشق على بنى طنج^(٤) .

ومع ذلك كله اخذ يهدد الدولة العباسية - مستغلا ضعفها الشديد -
 باحتلال بغداد ولكن ابن رائق حاول اقناعه بالعدول عن ذلك فرفض ابوطاهر
 القرطبي ثم حاوله باسلوب آخر وهو : الاغراء المادى حيث دفع له جزية
 قدرت بمائة وعشرين الف دينار فقبل ابوطاهر شريطة ان تحمل الى بلده
 فى البحرين .

وهكذا اخذ ابوطاهر يتبع سياسة جديدة بضرب الاتاوات واخذ الجزية
 من الدولة العباسية ومن حجاج بيت الله الحرام .

غير ان ابا طاهر عاد فى السنة التالية سنة ٣٢٣ هـ فاعترض الحجاج
 حينما بلغوا القادسية ولكنهم لم يعرفوه " فقاتله اصحاب الخليفة واعانهم

(١) القرامطة لعارف تامر (ص ٢١٣) .

(٢) نشأة الفكر الفلسفى (٢ : ٤٧٤) .

(٣) صلة تاريخ الطبرى لعريب (ص ١١٣) .

(٤) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩١) .

الحجاج ثم التجأوا الى القادسية فخرج جماعة من العلويين بالكوفة الى
ابى طاهر فسألوه ان يكف عن الحجاج فكف عنهم وشرط عليهم ان يرجعوا الى
بغداد فرجعوا ولم يحج بهذه السنة من العراق احد^(١).

استمر طريق الحج مخوفا ومهددا من قتل ابى طاهر وزمرته يسلب
الحجيج ويقتلهم ويسبى نساءهم وانه لا يريد عو الى العجب حقا هذا
التركيز والاستمرار فى ملاحقة الحجاج والحيلولة بينهم وبين اداء ركن من اركان
الاسلام نتيجة ذلك التركيز واجه ابو طاهر اللوم عليه من كل حدب وصوب حتى
من اصحابه واتباعه، فيحدثنا المقرئى قائلا : انه بلغ القرمطى ان رجلا من
اصحابه قال :

والله ما ندرى ما عند سيدنا ابى طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق
الارض وغربها واتخاذهم ومن ورائهم اعداء وما يفوز باكثر اموالهم الا الاعراب
والشذاز من الناس فلوانه حين ظفر بهم دعاهم الى ان يؤدى كل رجل منهم
دينارا ويطلقهم ويؤمنهم لم يكره ذلك منهم احد وخف عليهم وسهل وحج
الناس من كل بلد لانهم طمأى الى ذلك جدا ولم يبق ملك الا كاتبه وهاداه
واحتاج اليه فى حفظ اهل بلده وخاصته وجاؤه فى كل سنة من المال مالا يصير
لسلطان مثله من الخراج واستولى على الارض وانتقاد له الناس وان منع من
ذلك سلطان اكتسب المذمة وصار عند الناس هو المانع من الحج .

فاستصوب القرمطى هذا الرأى ونادى من وقته فى الناس بالامان
واحضر الخراسانية فوطأ امرهم على انهم يحجون ويؤدون اليه المال فى كل
سنة ويكونون آمنين على انفسهم واموالهم واخرج اهل مصر ايضا عن الحجاج
ضرائب من مال السلطان ويذكر السيوطى^(٢) وابن الجوزى^(٣) ذلك غير انهما

-
- (١) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٥٥) ، الكامل لابن الاثير (٨ : ١٠٨) .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ١٨٣ - ١٨٤) .
(٣) تاريخ الخلفاء (ص ٣٩٢) .
(٤) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٢٩٦) .

يقولان : ان تخلق ابي طاهر القرمطي عن مهاجمة الحجاج مقابل ضريبة
انما كان ذلك بواسطة ابي على عمر بن يحيى العلوي كما يذكران انها
اول سنة اخذ فيها المكس على حجاج بيت الله الحرام ويحدد انها بالسنة
السابعة والعشرين وثلثمائة مئة للهجرة .

ولم يزل المسلمون ولا سيما الحجاج مع هذه الفئة في شدة وبلاء
وسلب ونهب حتى القى الله العداوة والبغضاء بينهم سلة الله في كل تجمع
لا يقوم على الحق واعلاء كلمة الله . قال تعالى : " الا خلا يومئذ بعضهم
لبعض عدوا المتقين " (١) .

ان ما وقع بين قرامطة البحرين من خلاف كان حصيلة القضاء على
كثير من زعمائهم ويتمثل بحركة قام بها ابو طاهر تمتعثر من اشد الاحداث غرابة
في حياته فقد ظهر في البحرين في ظروف غريبة وفي جو من الفموضرجل
يدعى ابن ابي زكريا الطمامي كما يدعوه البيروني او الصفوي كما يسميه
ثابت بن سنان او زكريا الخراساني كما يسميه عريب . (٢)

وملخص الحادث ان لابن سنبر احد رؤسا القرامطة عدو بينهم
يعرف بابي حفص الشريك فاستدعى ابن سنبر صديقا له من اصفهان اسمه
ذوالنون الصفوي ووعده ان يكشف له عن اسرار القرامطة ويسلم له الامر كله
اذا هو قتل ابا حفص فضمن له ذلك . فذهب الاصفهاني الى ابي طاهر
واعطاه العلامات فسلم له الامر وقال : هذا الذي كنت ادعوك اليه والامر له
فلما تمكن من الامر وثبت قتل ابا حفص وامعن في قتل آخرين فخافه
ابو طاهر وشك في امره فامتحنه ووقف على كذبه فاعلم انه محتال وقتله . وهذا
الحادث يذكره ابن الاثير وابن سنان في احداث سنة ٣٢٦ هـ وللقصه رواية
اخرى ذكرها عريب وذكر فيها ان هذا الرجل انما جاء عن طريق الاسر وانه

(١) سورة الزخرف : ٦٧ .

(٢) انظر تاريخ اخبار القرامطة (ص ٥٦) ، صلة تاريخ الطبري (ص ١١٣) .

واحد من الاسرى ولكن عنده من الحيل والمخرفة وقوة الكلام والجرأة ما وصله الى التحكم فى قرامطة البحرين مدة قليلة . ويذكر هذا الحادث فى سنة ٣١٩ هـ .

اما عبد الجبار الهمداني فانه يذكر الحادث عقب غزو مكة مياشـــــرة ويسمى الفارس بذكيره الاصفهاني المجوسى وقد اسهب فى الكلام على هذا الرجل الا اننا نختار ايجازا مما كتب عنه ذكره لويس فى اصول الاسماعيلـــــة يقول : ان القرامطة اعلنوا اثنا* حكم المجوس بان جميع تعاليمهم السابقة عن المهدي والنسب النبوى ماهى الا لغو وكشفوا عن اسرار فرقتهم كلها ونشروا لاول مرة قصة عبد الله بن ميمون وندان وغيرهما وخططهم فى خداع المسلمين وطعنوا فى جميع الاديان واحرقوا الكتب الدينية كلها ونادوا بذكرى الهاء واستحلوا المحرمات ولكنهم ندموا اخيرا وقتلوا زكريا وقتلوا ابـــــا طاهر الامر من جديد ورجعوا الى ولائهم للمهدي (١) .

ويزيد الهمداني على من سبقه بذكر بعض الاثار المترتبة على فضيحة هذا المجوسى لقرامطة البحرين وعلى رأسهم ابو طاهر فيقول : ان ابـــــا طاهر غزا بعد قتل زكيره ونهب وجاء الى الكوفة فصار اصحابه لا يمثلون امره كما كان وقد كانوا لا يخالفونه فى شى* البتة وكان اى شى* نهبوه او غنمـــــوه يسلمونه اليه ولا يخونونه فى شى* منه لانه حجة الله وان المال يجبيه للمهدي فصار بعد قصة ذكيره لا يعطونه ما ينهبونه صاروا يشربون ويسمعون القيـــــان ويطلبون المواخير (٢) .

كما كان لفضيحة هذا الدجال الفارسى اثر كبير فى اشغال القرامطة واشعال نار الفتنة بينهم مما الهامهم عن متابعة حروبهم واطعنوا قواهم المادية والمعنوية .

(١) الاثار الباقية للبيرونى ، الكامل لابن الاثير (٨ : ١٢٤) ، تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٥٥ - ٥٦) ، صلة تاريخ الطبرى (٨ : ١١٣) ، تثبيت دلائل النبوة للهمداني (٢ : ٣٨٦ - ٣٨٧) اصول الاسماعيلـــــة لبرنارد لويس (ص ١٨٦) .
(٢) تثبيت دلائل النبوة (٢ : ٣٨٨) .

ويقول ابن الاثير بعد ذكره حادثة الرجل الاصبهاني ان لهـذا الرجل اثر كبير على القرامطة واختلال امورهم حيث كان هذا سبب تمسكهم بهجر وترك قصد البلاد والافساد فيها .^(١)

ولذا لم يكن هناك حوادث تذكر للقرامطة في هذه الفترة حتى اذا اطلت بداية النهاية لهذا الجبار السفاك للدماء وهي سنة ٣٣٢ هـ توفي ابوطاهر في رمضان من هذه السنة " اصابه جدرى فمات " .^(٢) وكان قد استذل الحجاج طيلة حياته وبلغ الذل والضعف بالمسلمين انهم لم يحجوا في السنة التي توفي فيها وفي ذلك يقول ابن الجوزي :

" انه لم يحج في هذه السنة (سنة ٣٣٢ هـ) احد من بغداد ولا من خراسان لاجل موت الهجري فلم يحضر احد من اهل هجر يذرق الحجاج فخاف الناس فاقاموا " .^(٣)

قيادة الحركة القرمطية بعد وفاة ابي طاهر .

تمتاز تلك الفترة من فترات حكم القرامطة بميزتين :

الاولى : ان الحكم اصبحت جماعيا بعد ان كان فرديا في عهد مؤسس الدولة ابي سعيد وابنه ابي طاهر حيث تولي الحكم بعد ابي طاهر اخوته الثلاثة وهم :

- (١) ابو القاسم سعيد وهو الاكبر .
 - (٢) وابو العباس الفضل وكانا يتفقان مما على الرأي والتدبير .
 - (٣) وابو يعقوب يوسف لا يجتمع بهما وهو مشغول بالشرب واللهو .
- وكانت كلمة الثلاثة واحدة والرياسة لجميعهم وكانوا يجتمعون على رأي واحد فيمضونه وكان وزراءهم سبعة كلهم من بني سنبر .^(٤)

-
- (١) الكامل لابن الاثير (٨ : ١٢٤) .
 - (٢) المرجع السابق (٨ : ١٤٧) .
 - (٣) المنتظم لابن الجوزي (٦ : ٣٣٦) .
 - (٤) الكامل لابن الاثير (٨ : ١٤٧) ، المنتظم لابن الجوزي (٦ : ٣٣٦) .

الميزة الثانية : انه فى تلك الفترة خف التوتر بين القرامطة البهريين والعباسيين حيث مر بنا ان سعيد بن الحسن اخو ابا طاهر قد عزله القرامطة لتقريبه من العباسيين سنة ٣٠٥ هـ وبعد وفاة اخيه ابو طاهر تولى الزعامة من جديد هو واخوته . وقد رد الحجر الاسود فى هذه الفترة . كما يذكر ابن الاثير فى احداث سنة ٣٥٩ هـ ان الخطبة بحكة كانت للمطيع لله العباسى وللقرامطة البهريين .^(١)

ومثل هذه السياسة لا ترضى عنها الدولة العبديّة التي كانت تعتبر حركة القرامطة غصن من اغصانها الممتدة فى الشرق . فاعزّت بابعادهم عن الحكم وتمييز احمد بن الحسن بن بهرام لقيادة القرامطة وهو اخ لابي طاهر . ويقول ابن خلدون ان بعض العقداية اختلفوا عليه ومالوا الى ولايته سابور بن ابي طاهر وكاتبوا القائم فى ذلك فاجاب بولاية الاخ احمد وان يكون الولد سابور ولى عهده فاستقر احمد فى الولاية عليهم .^(٢)

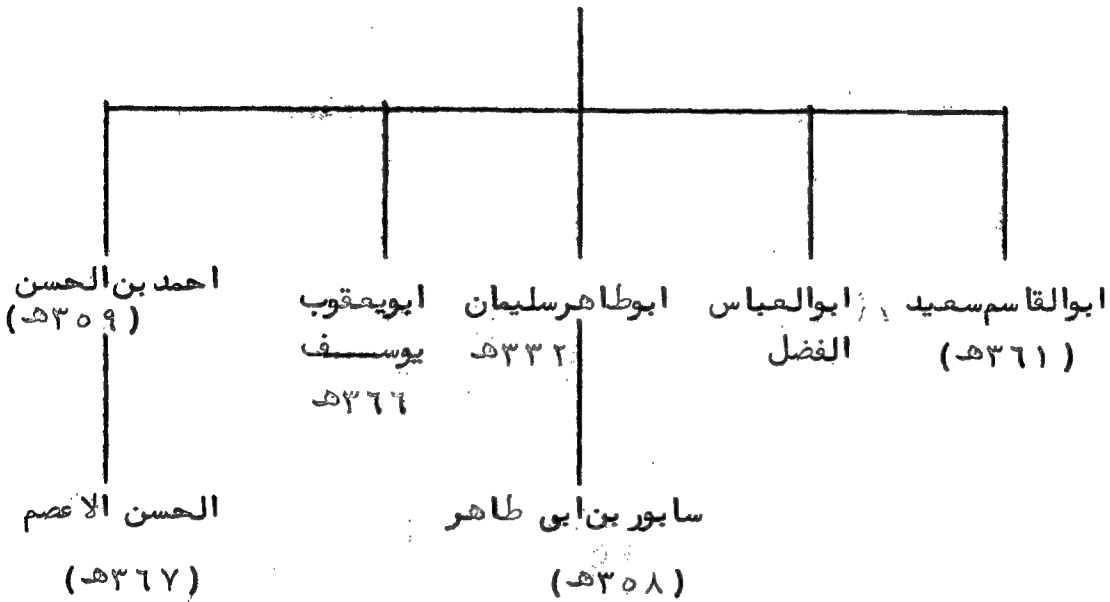
فى مثل هذه الظروف لن تتمتع دولة القرامطة بالهدوء والاستقرار فسرعان ما حدث نزاع بين افراد الاسرة على العرش ، حيث قبض سابور على عمه ابي منصور (احمد بن الحسن) فاعتقله بموافقة اخوته له على ذلك وذلك سنة ٣٥٨ هـ ثم ثار بهم اخوه فاخرجه من الاعتقال وقتل سابور ونفى اخوته واشياعهم الى جزيرة اوال .^(٣)

ولكن احمد بن ابي سعيد الجنابى مالئث فترة طويلة حيث توفى بعد سنة من هذه الاحداث اى سنة ٣٥٩ هـ وألت امور البلاد وقيادتها الى ابنه الحسن الطقب بالاعصم .

-
- (١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٢٢٠) .
 (٢) المعبر لابن خلدون (٤ : ١٩٢) .
 (٣) المرجع السابق .

ابن ابی سعید الجنایہ الحسن بن مہرام

(۵۲.۱)



ومما لا بد من الإشارة اليه ان المد القرمطي لم يتوقف في هذه الفترة
الطيئة بالنزاع والخلاف من الداخل .

ففي سنة ٣٥٤هـ انفذ قرامطة البحرين سرية الى عمان وهي منطقة
داخلة بالخواج ويذكر ابن الاثير ان القرامطة لما وصلوا الى عمان كان اهلها
لا يريدون اميرهم واخرجوه عنهم وادخلوا القرامطة الهجريين المهم وتسلموا
البلد فكانوا يقيمون فيه نهرا ويخرجون ليلا الى معسكرهم وكتبوا الى اصحابهم
ببغداد يعرفونهم الخبر ليأمرهم بما يفعلون .^(١)

وهكذا نرى سلطان القرامطة يتسع في الجزيرة وينضوي عمان تحت امرتهم
بل ان سلطانهم كان يمتد حتى الى مكة حيث ان ابن الاثير يذكر في سنة
٣٥٩ هـ ان الخطبة بمكة كانت " للمطيع لله وللقرامطة الهجريين " (٢).

(١) ابن الاثير (٨: ٢٠٢) .

(٢) المرجع السابق (٨: ٢٢٠).

ولم يكتف القرامطة فى تلك الفترة بنشر تحاليمهم وبسط نفوذهم بالطرق الحربية بل كان يواكب ذلك ارسال الرسل لبعض القبائل القاطنة فى الجزيرة يدعونهم الى مبدئهم وفكرتهم . ففى سنة ٣٥٨ هـ ارسلا رسلا الى بنى نمير وغيرهم من العرب يدعونهم الى طاعتهم فاجابوا الى ذلك واخذت عليهم الايمان ^(١) . ومن جهة الشمال توجه القرامطة ناحية سيف الدولة الحمدانى فلى حلب والموصل وتحسنت العلاقة بين الدولة الحمدانية والقرامطة . ففى سنة ٣٥٣ هـ بحث القرامطة الى سيف الدولة يستهدونه حديدا فسير اليهم شيئا كثيرا وحمل ذلك اليهم فى الفرات ثم فى البرية الى هجر ^(٢) .

كما ان القرامطة استغلوا هذه العلاقة فلشروا تحاليمهم وافكارهم هناك وكان ان تأثر بهم بعض الافراد كابن الطيب المثبى الذى كان شيعيا بل ان بعض الكتاب المعاصرين يذكرون انه كان قرمطيا وله اشعار فى ذلك ^(٣) . ووصلت العلاقة بينهم الى ان احد القرامطة واسمه مروان كان يتقصد السواحل الشامية لسيف الدولة ^(٤) .

كما ان الحمدانيين ساندوا الحسن الاعصم القرمطى فى حروبه ضد المعز الفاطمى وابنه العزيز من بعده ^(٥) .

وعلى يد هذا القرمطى الحسن الاعصم تبدأ فترة من فترات القسوة والتوسع شبيهة بفترة مؤسس الدولة ابي سعيد وابنه ابي طاهر .

-
- (١) الكامل لابن الاثير (٣٥ : ٢) .
 - (٢) النجوم الزاهرة لابن المحاسن (٣ : ٣٣٦) .
 - (٣) انظر مع المتنبى لظه حسين (ص) .
 - (٤) الكامل لابن الاثير (٢٠٣ : ٨) .
 - (٥) الدولة الحمدانية لفصيل السامر (٦٨ : ٢) .

(٣) الحسن بن احمد بن ابي سعيد الجنابي

~~~~~

تشط الحركات وتؤدي دورها الفكري والعسكري حسب الطموح  
والمواهب لقادتها وسبق ان مرينا في الفترة التي تلت موت ابي طاهر ان  
الحركة مرت بنوع من الركود ولكن ما ان ظهر الحسن الاعصم كقائد لحركة  
القرامطة في البحرين الا واكسبها نوعا من النشاط والتوسع من جديد فهو  
شخصية بارزة في اسرة ابي سعيد . يقول ابن خلدون عنه :

٣ انها طالبت مدته وعظمت وقائعه ونفى جمعا كثيرا من ولد ابي طاهر (١).

وقبل الحديث عن معاركه الحربية وصولاته وجولاته في الشام وفلسطين  
ومصر لابد من الاشارة الى ان الحسن سلك مسلكا بعيدا في الاهداف  
والوسائل عن سلفه السابقين وذلك بخلافه مع العبيديين ومعاركه الدامية  
لهم حتى عقر دارهم . وميله الى العباسيين مستغلا عدائهم للعبيديين . ومن  
المعروف والواضح لدى كل مطلع وباحث في هذا الموضوع ان قادة القرامطة  
ومفكريهم كانوا على ولاء تام للعبيديين يأتمرون بامرهم ويتحركون وفق مخططهم  
الرامي الى القضاء على الدولة العباسية والمذهب السني .

لكن الحسن الاعصم سار في عكس هذا الطريق تماما فعمل على  
التقرب من العباسيين والتباعد عن العبيديين . وسوف اعرض لهذا النزاع  
الذي حصل بين فرعين من فروع الاسماعيلية بادئا بذكر الاسباب التي  
ادت الى ذلك .

فمن المعروف ان الدولة العباسية اصبحت ممزقة بين الولايات التي  
تناثرت في ارجاء رقعتها فالأخشيديون في الشام والحمدانيون في حلب  
والموصل والقرامطة في البحرين والدولة العبيدية في مصر والمغرب والبويهيين  
في العراق وكان القرامطة بقيادة الحسن الاعصم يحتفظون بعلاقات ودية  
ومنفعية مع غالب هذه الولايات المتناثرة . فالأخشيديون نزحوا من مصر

---

( ١ ) العبر لابن خلدون ( ٤ : ١٩٢ ) .

بعد احتلال العبيديين لها واستولوا على الشام . ولكنهم وقعوا بين يدي  
عدوين الدولة العبيدية بمصر ودولة القرامطة في البحرين ووصلت الانباء الى  
الحسن بن طنج الاخشيدى بان القرامطة يستعدون لحربه ودخلت جيوش  
الحسن الرملة بفلسطين وهزموا الاخشيدى ثم جرى بينهم صلح وتقرر ان يدفع  
الاخشيدى لهم كل سنة ثلثمائة الف دينار (١).

لكن العبيديين طمعوا في الشام وارسلوا جيشا بقيادة جعفر بن  
فلاج الى دمشق وفعلا استطاع ان يحتل دمشق بسهولة ويقضى على الدولة  
الاخشيدية في بلاد الشام .

من هنا بدأ النزاع بين قرامطة بلاد البحرين والعبيديين منذ استولى  
الجيش العبيدى بقيادة جعفر بن فلاج على دمشق ، فقد طالب الحسن بن  
احمد القرمطى بالاتاة التي كان يدفعها الاخشيدى لحكومته لكن جعفر بن  
فلاج رفض ادائه هذه الاتاة اليه . وكان لهذه السياسة اسوأ الاثر فى  
نفس الحسن بن احمد الذى رأى ان سيادة دولته قد قضى عليها العبيديون  
هذا بالاضافة الى حرمان حكومته من ضريبة كبيرة كانت تؤدى اليها ومن ثم  
بدأ يناصبهم العداوة (٢).

فى مثل هذه الحالة لم يكن بد من نشوب الحرب بين قرامطة البحرين  
بقيادة الحسن وبين العبيديين وهذا ما حدث فعلا حيث اخذ الحسن القرمطى  
يعد نفسه اعداء ضخما لمحاربة العبيديين فبعث الى المطيع العباسى  
وعز الدولة بختيار امير بنى بويه فى العراق سنة ٣٦٠ هـ يطلب منهما ان يمداه  
بالمال والرجال ليتسنى له استرداد بلاد الشام ومصر من العبيديين . لكن  
الخليفة العباسى المطيع لله امتنع من ذلك قائلا : كلهم قرامطة وعلى دين  
واحد فاما المصريون (يعنى بنى عبيد) فاماتوا السنن وقتلوا العلماء . واما

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٢٢١) ، تماظ الحنقا (١ : ١٨٦) .

(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩٢) ، سياسة الفاطميين الخارجيين .

هؤلاء\* (يعنى القرامطة) فقتلوا الحاج وقلموا الحجر الاسود وفعلوا ما فعلوا قلت : (وحيث ان الحاكم العباسى لا امر له ولا تنفيذ ان كان البويهيون هم الذين بايد يهم امور البلاد فلم يكن لكلام الخليفة العباسى اى اثر) ومن ثم ربح عز الدولة بختيار فاعطى الحسن الاعصم مالا وسلاحاً<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن القلانسي انه ارسل اليهم الف الف درهم والف جوشن والف سيف والف رمح والف قوس والف جعبة وقال : انا وصل ابو على الجنابى الى الكوفة حمل اليه جميع ذلك . ولما وصل الى الكوفة بعثوا اليه بالمال والسلاح وسار يريد الشام<sup>(٢)</sup>.

اما الدولة الحمدانية فكانت خير معين فى حرب الحسن مع العبيديين يقول النويرى : ان الحسن لما وصل الى الرحبة وعليها ابو تغلب بن حمدان حمل اليه المال المسبب له به عليه وحمل اليه العلوفه وارسل اليه يقول : هذا شىء كنت اردت ان اسير انا فيه بنفسى وانت تقوم مقامى فيه وانا مقيم فى هذا الموضع الى ان يرد الى خبرك فان احتجت الى مسيرى سرت اليك<sup>(٣)</sup>.

ولم تقتصر المعاونة على ذلك بل امدته بقوة من الرجال قوامها الاخشيدية الذين وفدوا اليه فرارا مما لحق بهم فى مصر وفلسطين على يد جند العبيديين من المفاربة وكان لانضواء فريق من العقيليين بزعامته ظالم بن موهوب العقيلى تحت لواء الحسن اثر كبير فى ازدياد قواته واحرازه النصر على خصمه<sup>(٤)</sup>.

وهكذا تألب البويهيون والحمدانيون وفلول الاخشيدية مع القرامطة بقيادة الحسن الاعصم ولما اتم الحسن بن احمد اعداد جيشه سار متجها الى دمشق سنة ٣٦٠ هـ وكان مسرح الحرب على الدكة الواقعة على نهـر

- 
- ( ١ ) النجوم الزاهرة لابی المحاسن ( ٤ : ٧٤ ) .
  - ( ٢ ) ذيل تاريخ دمشق لابی يعلى القلانسي ( ص ١ ) .
  - ( ٣ ) نهاية الارب للنويرى ( ٢٣ : ورقة ٩٠ ) .
  - ( ٤ ) سياسة الفاطميين الخارجية محمد سرور ( ص ١٢٤ ) .

يزيد على مقرية من دمشق حيث حلت الهزيمة بجمفر في شهر ذي الحجة فاسر جمفر بن فلاج ثم قتل هو وكثير من اتباعه . وبذلك تمكن الحسن الاعصم من الاستيلاء على دمشق .

وقد رأى الحسن بن احمد بعد ان دخلت قواته بلاد الشام ان ينهج سياسة تنطوي على الرغبة في التورط الى اهالي هذه البلاد واكتساب ولائهم فأمن اهل دمشق بعد ان تم له فتحها كما اقام الدعوة في مساجدها للخليفة العباسي وامر بحذف اسم الخليفة العبيدي من الخطب .<sup>(١)</sup>

وكان يصاحب تلك الحركة العسكرية رعاية فكرية واعلامية تعطي الدليل على ان قرامطة البحرين نبذوا دولتهم وامتهم العبيدي الذي كان مصدرا للامر والنهي وتولية القواد على هذه الولاية . فيحدثا ابو المحاسن قائلًا : ان القرمطي سار بجيشه الى الشام ومعه اعلام سود ( وهي شعار الدولة العباسية ) واظهر ان الخليفة المطيع ولاه وكتب على الاعلام اسم المطيع عبد الكريم ( الخليفة العباسي ) وتحتته مكتوب " السادة الراجعون الى الحق " ولما استولى القرمطي على الشام ذهب الى ابي عبد من ذلك واعصق حيث فتح صفحة سوداء من التهم والحقائق على حكام بني عبيد ودولتهم فلمن المعز على منبر دمشق ولعن اياه وقال : هؤلاء من ولد القذاح كذابون مخترقون اعداء الاسلام ونحن اعلم بهم ومن عندنا خرج جددهم القذاح .<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>

في مثل هذه الاحداث يرد على المتتبع لحركة القرامطة سؤال لا بد من الاجابة عليه وهو : ما الاسباب التي احدثت انعطاف القرامطة عن ائمتهم الاسماعيلية ومعارضتهم لدولتهم العبيدية ؟ وللاجابة على ذلك لا بد من الاشارة

- 
- ( ١ ) المرجع السابق ( ص ١٢٦ ) .  
( ٢ ) ورد في القاموس ( ٣ : ٢٢٦ ) ان التخريق كثرة الكذب واختراق الكذب اختلقه .  
( ٣ ) النجوم الزاهرة لابي المحاسن ( ٤ : ٧٤ ) .

الى ان العبيدين تولوا زعامة جميع طوائف الاسماعيلية وقد مر بنا ان عبيد الله المهدي كان يتدخل في تولية زعماء قرامطة البحرين تدخلا مباشرا فمزل سعيد بن ابي سعيد سنة ٣٠٥ هـ وعين ابا طاهر على رأس القرامطة . ولكن بعد موت ابي طاهر حدث ان انقسم القرامطة الى معسكرين :

معسكر يميل الى العبيدين . ومعسكر يرى الاحتفاظ برئاسة الدولة القرمطية دون الرجوع الى العبيدين . وقد ظلت تلك الحال منذ مات ابو طاهر في سنة ٣٣٢ هـ حتى سنة ٣٥٨ هـ وتم في خلال تلك الفترة تحقيق وجهة نظر المعسكر الثاني واخذت الهوة تتسع وتزداد مع الاحداث وفي مثل هذه الحالة كان للعبيدين دور كبير وتدخل مباشر في مساعدة الفريق المالى لهم والمتمثل في اسرة آل ابي طاهر وعلى رأسهم ابنه سابور وقد نجح هذا الفريق حيث تمكنوا من عزل احمد بن ابي سعيد في سنة ٣٥٨ هـ وقبض سابور على عمه احمد ، واعتقله حيث كان رئيسا للقرامطة غير ان احمد مالبث ان خرج من اعتقاله وقتل سابور ونفى اخوته واشياهم الى جزيرة اوال حتى بلغ ما اجتمع بهامنهم نحو من ثلثمائة<sup>(١)</sup> . وكان من نتائج قتل سابور ونفى اتباعه ان ضعف الفريق الذي يعتمد عليه العبيديون وتغلب الطرف المناوئ لهم واستبد بالحكم ولا شك ان هذا النزاع بين الاسرتين استغله العبيديون لتوطيد نفوذهم .

كما ان القرامطة المناوئين للعبيدين اعتبروه تدخلا واثارة للنزاع ، ومما يدل على ذلك ان المعز ارسل الى ولد ابي طاهر وبنيه الذين ابعدوا الى جزيرة اوال يخبرهم باحقيتهم في امارة القرامطة ولما علم الحسن بن احمد القرمطي بذلك امر بحذف اسم المعز من الخطبة في بلاد البحرين واقامة الدعوة للخليفة العباسي المطيع<sup>(٢)</sup> . كما ان العبيدين اعتبروا قتل سابور خروجاً على طاعتهم وانتقاصاً لتعاليمهم وهكذا اثر هذه الاحداث بدأ القتال الدموي بين

( ١ ) سياسة الفاطميين الخارجية ( ص ٤٨ ) .

( ٢ ) انظر العبر لابن خلدون ( ٤ : ١٩٣ ) .

هذين الفرعين من فروع الاسماعيلية . اما السبب الثانى فيتمثل فى تعيين امراء القرامطة فالمصادر التى بين ايدينا لا تعطى اى دليل او اشارة على تعيين الحسن الاعصم من قبل العبيديين وهل انهم اقروه على قيادة الحركة القرمطية فى البحرين ؟

ان المصادر التى بين ايدينا تدل على عكس ذلك تماما وهو ان المعز العبيدى لم يكن راضيا عن هذا التعيين وانه كان يثير عداً بيت ابى طاهر على الحسن من حين الى حين . فلابد ان هذا التدخل فى شئون القرامطة سببا مساعدا لما قبله فى انكا\* نار الحرب بينهما ، لاسيما ان استبعاد الحسن الاعصم بالحكم دون الرجوع الى الائمة العبيديين فيه معنى الثورة عليهم وعلى النظام الذى وضعوه للامامة منذ عهد عبيد الله المهدي (١) .

اما السبب المباشر للحرب بينهما فيعود الى احداث سنة ٣٥٩ هـ ، حيث منع العبيديون الضريبة التى كان يدفعها الحسن بن عبيد الله الى اخشيدي الى قرامطة البحرين منذ سنة ٣٥٧ هـ ويؤيد هذا ما ذكره ابن خلدون : من انه لما استولى جوهر على مصر وجعفر بن فلاح الكتانى على دمشق طالب الحسن الاعصم بالضريبة التى كانت له على دمشق فمنعه (٢) .

اي الائمة العبيديين - ونايدوه وكتب له المعز من المغرب واغلظ عليه . وكان الحسن القرمطى يعتبر استيلاء العبيديين على دمشق اعتداءً وتجاوز على حق من حقوق قرامطة البحرين وان عليهم الانابة والرجوع عما فعلوا وانا ما قبلوا ذلك فانه سيحجم عن قتالهم وارسل الى قائدهم جعفر بن فلاح بهذه الابيات :

( ١ ) انظر الى كتاب المعز لدين الله لحسن ابراهيم وطه شرف ( ص ١٠٠ -

١٠١ - ١٠٢ ) .

( ٢ ) العبر لابن خلدون ( ٤ : ١٩٢ ) .



|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| والكتب معذرة والرسل مخيرة    | والحق متيع والخير موجود    |
| والحرب ساكنة والغيل صافنة    | والسلم مبتذل والظل معدود   |
| فان انبتم فمقبول انا بتكم    | وان ابيتم فهذا الكور مشدود |
| على ظهور الصاايا او يردن بنا | دمشق والياب مهد وموردود    |

ثم بعد ذلك يأخذ على جعفر بعض تصرفاته ويذكره ببعض انحرافاتـه وعيشه فى الطذات مع وجود ذوى الحاجات والمعاهات فيقول :

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| انى امرؤ ليس من شأنى ولا اربى | طبل يرن ولا نأى ولا عود       |
| ولا اعتكاف على خمر ومجمرة     | وذات دل لها دل وتفنيد         |
| ولا ابيت بطين البطن من شبع    | ولى رفيق خميص البطن مجهود (١) |

والخلاصة ان هذه الاسباب الثلاثة هى التى اوجدت الفرقـة والاختلاف بين قرامطة البحرين وبنوعبيد فى مصر والمغرب . لكن كاتبـا اسماعيليا يرى ان سبب الاختلاف غير ذلك فيقول : ان باعقادى ان المفضلة الرئيسية التى حملت فى طياتها بذور الفرقة بين الاسماعيليين والقرامطـة هى مرحلة التستر عينها التى حالت دون استمرار التماس بين الفئـتين واطلعهما على الاهداف العليا والتخطيط المرحلى العام . هذا سبب اما السبب الاخر فهو : ان القرامطة كانوا تواقين بحنف الى امام مهدى منتظر يسارع الى انقاذهم من الفوضى الاقتصادية والقلق النفسى الذى يسيطر على مشاعرهم فاصروا على الامام عبيد الله المهدى ان يياشر فوراً فى اعلان دولة اسماعيلية فى بلاد الشام .

ثم يضيف قائلاً : كما وان القرامطة باعقادى قد انكروا على الامام الاسماعيلى المرفوعة وسياسة الملاينة التى اعتمدها فى كسب ود العناصر غير الاسماعيلية وتمسكوا فى ان تكون الدولة اسماعيلية قائمة بكافة اجهزتهم ودعاماتها على الاسماعيليين دون سواهم . (٢)

( ١ ) تاريخ اخبار القرامطة (ص ١١١) .

( ٢ ) الحركات الباطنية لمصطفى غالب (ص ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠) .

وهذه الاسباب التي ذكرها غالب لا تمت بصلة الى احداث قرامطة البحرين وخلافهم مع الائمة . وانما تنطبق على قرامطة الشام وزعمائهم الذين اختلفوا مع الامام الاسماعيلى عبيد الله المهدي والذي توفي في الفترة التي كان يحكم فيها القرامطة ابو طاهر الجنابي وقد توفي المهدي سنة ٣٢٢ هـ اي قبل الخلافات التي حصلت بين قرامطة البحرين وزعماء الاسماعيلية بحوالى ستة وثلاثون عاما . اذن فهذه الاسباب التي ذكرها غالب غير مقبولة لتفسير تلك الخلافات لا سيما اذا تذكرنا - وكما بينت سابقا - ان اغلب المصادر حددت اسباب الاختلاف بثلاثة امور :

( ١ ) ميل العبيديين مع آل ابي طاهر ومحاولة تثبيتهم لزعامة القرامطة في البحرين .

( ٢ ) قطع الضريبة المالية التي كان يتلقاها زعماء قرامطة البحرين من الاخشيديين في الشام .

( ٣ ) عدم رضى العبيديين على ولاية الحسن الاعصم ومحاولتهم للقضاء عليه وعلى اسرته ومؤيديه .

ومن الجدير بالذكر ان غالب لم يشر اطلاقا لاي مرجع او مصدر علمي موثوق نقل منه يؤيد ما ذكره من اسباب بل ان في عباراته ما يدل على انه اقتصر على اعتقاده الخاص ومن امثلة ذلك هذه العبارة التي كررها عدة مرات ( كما وان القرامطة باعقادي قد انكروا )<sup>(١)</sup> .

وقد استعان الحسن القرمطي بالحمدانيين والبويهيين والعباسيين في معاركة الطويلة مع العبيديين . ورحبوا به جميعا واعانوه حسب مصالحهم ومنافعهم الشخصية .

فالحمدانيون يخشون قرب الدولة الفاطمية من بلادهم ويتوقعون ان فتح الشام سيتلوهم فتح العراق وان ذلك يقضي على دولتهم الصغيرة في الموصل وحلب . والبويهيون يخشون على نفوذهم السياسي ويخافون ان يحصل

( ١ ) المرجع السابق ( ص ١٥٨ - ١٦٠ ) .

الفاطميون الاقوياء محل العباسيين الضعفاء فيزول ما كان لهم من هيبة <sup>(١)</sup>. هذا عدا ما كان بين بني بويه والقرامطة من تقارب فكري وتعاون في كثير من الاهداف . يقول ابن تيمية : ان بني بويه فيهم اصناف المذاهب المذمومة فقوم منهم زنادقة ومنهم قرامطة كثيرة ومتفلسفة ومحتزلة ورافضة وفي زمنهم حصل لاهل الاسلام والسنة من الوهن ما لم يعرف حتى استولى النصاري على ثغور الاسلام كما كثر انتشار القرامطة في ارض مصر والمغرب والمشرق <sup>(٢)</sup> .

واما العباسيون فساعدوا الحسن القرطبي لانهم يخشون على ملكهم من الفاطميين الذين استولوا على اجزاء كبيرة منه . وقد وجد العباسيون في حركة الاقصم تفريجا عن كربتهم التي اوقعهم فيها الفاطميون <sup>(٣)</sup> .

وهكذا نرى هذا التحالف طابعه نفصى لكل طرف من الاطراف المتألبة على الجيش العبيدي في الشام وفي مثل هذه الحالة كان الحسن القرطبي يتنازل عن ولائه للعبيديين ويعلن ولائه للعباسيين بل انه عندما استولى على منبر الجامع الاموي في دمشق لمن المعز وخطب للعباسيين ورفع الرايات السود (شعار العباسيين) <sup>(٤)</sup> .

والحقيقة ان جميع هذه التصرفات من الحسن لا تعطى اى دليل عن تنازله عن العقيدة الاسماعيلية وانما الظروف التي يميلها والمصالح التي يربو بنظره اليها لا تتم الا بأن يعلن بمثل هذه التنازلات .

وقد علق احد المستشرقين على قضية لعن الامام الاسماعيلى من قبل الحسن بقوله : يعتقد القرامطة بنظرية الحق الالهى للامام الفاطمى . ومن ثم يبدو هذا اللعن غريبا وقد يرجع ذلك الى اهل دمشق انفسهم الذين كانوا سنيين مغالين في عداوتهم للشيعنة والقرامطة <sup>(٥)</sup> .

- 
- ( ١ ) انظر كتاب المعز لدين الله ( ص ١٠٩ ) .
  - ( ٢ ) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٤ : ٢٢ ) .
  - ( ٣ ) انظر كتاب المعز لدين الله ( ص ١٠٩ ) .
  - ( ٤ ) النجوم الزاهرة لابي المحاسن ( ٤ : ٧٤ ) .
  - ( ٥ ) انظر تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم ( ص ٣٩٦ ) .

ولا بد من القول ان الحسن القرمطى لم يعتنق المذهب السنى بل ظل على عقيدته الاسماعيلية التى تربى عليها واعتنقها منذ الصغر وان تصرفاته (١) من لعن المعز العبيدى .

(٢) ورفع شعار العباسيين والدعوة لهم على المنابر .

(٣) واعلانهم الرجوع الى الحق بالاعلام المرفوعة والمكتوب عليها السادة الراجعون الى الحق .

واخيرا الممارك الدموية بينهم وبين العبيديين - لا تعطى اى مستند او دليل على ان الحسن نبذ عقيدته الاسماعيلية ورجع الى المذهب الحق مذهب اهل السنة والجماعة . والذى ظهر لى وارجحه على غيره ان الضرورة السياسية والحربية كانت تقضى على القرامطة برئاسة الحسن - ولا سيما فى هذه الفترة - ان يلوحوا بمثل هذه الشعارات والمناورات الكلامية فى سبيل الاطماع السياسية الفردية التى لا حدود لها من غير نبذ للمقائد والافكار التى تلقاها وآمن بها جميع زعماء القرامطة من الدعاة للمذهب الاسماعيلى ويتضح ذلك من تصرفات الحسن آخر حياته حيث اصطلح مع العبيديين وتقرر الامران يدفع الحاكم العبيدى له ثلاثين الف دينار وتحمل اليه كل سنة ويكونوا (اى القرامطة) على الطاعة والموادعة . وقد توجه جوهر وقاضى الرملة الى الحسن القرمطى واستحلفاه للمعز على الوفاء والمصلحة واخذاه المواثيق المسدودة المؤكدة واعطياه المال والخلع والحملان وانصرف الى الاحساء وعاد المعز الى مصر . ولم يزل المال المقرر للقرمطى يحمل اليه فى كل سنة على يد ابي المنجا صاحبه الى ان مات (١) .

كما ان قرامطة البحرين بعد وفاة الحسن رجعوا الى كف الفاطميين وعملوا على محاربة العباسيين والقيام بهجمات على اراضى الدولة العباسية حتى هاجموا الكوفة وملكوها (٢) .

(١) انظر ذيل تاريخ دمشق لابي يعلى (ص ٢٠ - ٢١) .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا (١: ٢٠٦) .

ونعود الى معارك الحسن التى خاضها مع الدولة العبيدية بعد معركة دمشق حيث توجه الى الرملة ليقتضى على مابقى للعبيديين من سلطان ببلاط الشام .

وكان سعادة بن حيان القائد العبيدى يلى مدينة الرملة فلما ادرك انه لا طاقة له بالحسن الاعصم ترك الرملة وفر الى يافا ليكون على اتصال بمصر عن طريق البحر . وكان الاعصم يعتمد على الحرب الخاطفة ويعتمد الى التمويه لجذب الاهالى السنيين اليه فجعل يدعى فى كل مكان انه اصبح واليا على هذه البلاد من قبل العباسيين وبذلك استطاع ان يجمع حوله عرب الشام وغيرهم من الحانقين على الحكم العبيدى .

وبهذا نرى ان بلاد الشام باستثناء يافا كانت فى اوائل سنة ٣٦٠ هـ فى قبضة القرامطة وحلفائهم .<sup>(١)</sup>

ان الحسن الاعصم كان طموحا وشجاعا - ولكن فى قتل العباد وتخريب البلاد - ابت عليه نفسه الا يقتنع بالشام وفتحها فقصده مصر . وقد توقع القائد العبيدى جوهر هذا الهجوم من القرامطة فعمل على بناء مدينة القاهرة التى تعتبر حاضرة الدولة العبيدية فى مصر لتكون حصنا تحول دون كيد الاعداء ويؤكد ذلك ما ذكره المقرئى فى الخطط حيث قال " وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هى اليوم ان تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقا تلهم من دونها " اما الخندق فيقول المقرئى عنه " انه حفرة من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة الى القاهرة وما وراءها " .<sup>(٢)</sup>

وهذا الاهتمام البالغ يدل على مدى الخوف ومدى القوة والنفوذ التى يتمتع بها جيش القرامطة بقيادة الحسن الاعصم . ويصف ابو المحاسن موقف المعز من الحسن الاعصم بقوله " ان القرملطى كان اشد عليه من جميع الناس

( ١ ) كتاب المعز لدين الله لحسن ابراهيم وطه شرف ( ص ١١١ - ١١٢ ) .

( ٢ ) الخطط المقرئية ( ٢ : ١٧٩ - ١٨٠ ) .

للرعب الذى سكن فى قلوب الناس منه . فكانت القرامطة اذا كانوا فى الف هطموا  
مائة الف وانتصفوا<sup>(١)</sup> .

وكان من اثر هذا الهلع والخوف والهزيمة النفسية ان الحسن هاجم  
مصر من الناحية الشرقية فاستولى على الفرما ثم هاجم القلزم واستولى عليها  
وكان من اثر هذا الهجوم المفاجىء على مصر من الشمال والجنوب ان اعترف  
بعض البلاد الاخرى بسلطان الاعصم واثارت تنيس على واليها العبيدى ونادت  
بطاعة القرامطة ثم اخذ الاعصم يتقدم فى البلاد المصرية .

وفى يوم الجمعة التحم القتال على باب القاهرة وقتل من الفريقين  
واسر جماعة وياتوا ليلة السبت واصبحوا متكافين وغدا يوم الاحد للقتال على  
باب الخندق فكانت وقائع شديدة قتل فيها من الفريقين عدد كبير وانهمزم  
الحسن ونهب سواده واخذت صناديقه وكتبه<sup>(٢)</sup> .

ولما سمع المعز الحاكم العبيدى ببلاد المغرب خبر غزو القرامطة  
لمصر ارسل اليها جيشا بقيادة ابي محمد الحسين بن عمار فازدادت قوة  
جوهر الحربية وعول على اخضاع مدينة تنيس التى انضم اهلها الى القرامطة  
فسار اليها واخضعها ثم عفا عن اهلها - واما الحسن القرمطى فانه رجع الى  
دمشق واخذ يعد العدة لغزو مصر من جديد ولكنه اضطر الى العودة الى  
الاحساء لاجل ثورة انصار ابي طاهر<sup>(٣)</sup> .

ويشير ابن خلدون الى هذه الثورة التى كان وراءها المعز للتخلص من  
الحسن الاعصم ويقول " وكتب اليه - اى الى الاعصم - المعز سنة احدى وستين  
وثلاثمائة بالنفى والتوبيخ وعزله عن القرامطة وولى ابن ابي طاهر فخرجوا من  
جزيرة اوال وانتهبوا الاحساء فى غيبته وكتب اليهم المطيع بالتزام الطاعة  
وان يصلحوا ابن عمهم ويقيموا بجزيرة اوال ويحث من اقام بينهم الصلح<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) النجوم الزاهرة لابي المحاسن ( ٤ : ٧٥ ) .

( ٢ ) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان ( ص ١٠٥ - ١٠٦ ) .

( ٣ ) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ( ص ٣٩٧ ) .

( ٤ ) المعبر لابن خلدون ( ٤ : ١٩٣ ) .

وقال ابن حوقل - مشيرا الى جهد الخليفة العباسي في تهدئة  
الاضاع للحسن الاعصم في البحرين - ثم ان المطيع استل سخائمهم وسمى  
في تألف قلوبهم وجمع كلمتهم في سنة ستين وثلاثمائة وعلى ما بلغني سنة احدى  
وستين وثلاثمائة من مشافهة ابي الحسن عدى بن محمد بن الغمر<sup>(١)</sup> .

وكان لهذه الثورة التي اذكي نيرانها المعز بين القرامطة اثر كبير في  
ارتداد الاعصم عن مصر في ربيع الاول سنة ٣٦١ هـ لاخمان الثورة التي  
قام بها ابناء عمه ابي طاهر الجنابي<sup>(٢)</sup> .

ان لدى الحسن من الاقدام والتصميم والثقة بالنفس التي لا حدود لها  
بحيث انه ما ان اخمد ثورة ابناء عمه في البحرين الا واخذ يعد المدة  
لفزوم مصر ثانية .

اما المعز فكان على درجة من الخوف والقلق فنراه يبذل جهدا لموسا  
في اقناع الحسن بالطرق السلمية وفي ذلك يقول اخو محسن : " كان المعز  
شديدا الخوف من الحسن بن احمد فلما نزل مصر عزم ان يكتب الى الحسين  
بن احمد كتابا يعرفه فيه ان المذهب واحد وانهم منهم استمدوا وانهم  
ساداتهم في هذا الامر وبهم وصلوا الى هذه المرتبة وكان غرض المعز ليدين  
الله من ذلك ان يعلم من جواب القرطبي ما في نفسه وهل خافه لما وافى  
مصر ام لا<sup>(٣)</sup> .

ونص هذا الخطاب ذكره كلا من النويري والمقريزي<sup>(٤)</sup> ، ويصف ثابت بن  
سنان<sup>(٥)</sup> هذا الكتاب بانه عظيم . كما انه يعتبر وثيقة مهمة توضح مدى  
الارتباط بين الدعوة الاسماعيلية والحركة القرطبية . ولذا فاني سأنقله

( ١ ) المسالك والممالك لابن حوقل ( ٢ : ٢٢ ) .

( ٢ ) كتاب المعز لدين الله لحسن ابراهيم ( ص ١١٦ ) .

( ٣ ) نهاية الارب للنويري ( ٢٣ : ٩٦ ) .

( ٤ ) اتعاظ الحنفا للمقريزي ( ١ : ١٨٩ - ٢٠١ ) .

( ٥ ) تاريخ اخبار القرامطة ( ص ١٠٦ ) .

بطوله في ملاحق البحث ان شاء الله .

واما آثار هذا الخطاب فان الحسين بن احمد اظهر عدم اكترائه بهتمديد المعز له فكان جوابه مختصرا جدا حيث قال : " وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن ساعون على اثره والسلام " (١) .  
ويقول ابن القلانسي عن خطاب المعز " انه لم ينفعه كتابه اليه ولا ترهيبه عليه " (٢) .

سار الحسن سنة ٣٦٣ هـ حتى وصل مصر فنزل على عين شمس بعسكره وانشب القتال وبيث السرايا في البلاد ينهبونها فكثرت جموعه واتاه من العرب خلق كثير وعلى رأسهم حسان بن الجراح الطائي امير العرب بالشام ومعه جمع عظيم (٣) . اما كيفية الحرب فيصفها لنا ثابت بن سنان بقوله :  
" ان ارض مصر اشتملت اعلاها واسفلها بنار الحرب من القرامطة " (٤) .

هال المعز هذه الجيوش الجرارة . ويقول ابن كثير في ذلك " ان المعز حار فيما يصنع وضعف جيشه عن مقاومتهم " (٥) .

ولذا يقول ابن القلانسي : ان المعز اعمل فكرته ورويته في امره وشاور اهل الرأي من خاصته وحبيذه في امره فقالوا ليس فيه حيلة غير قل عسكره وليس يقدر على فله الا بابين الجراح فبذلوا له مائة الف دينار على ان يفل لهم عسكره فاجابهم الى ذلك (٦) .

وفعلا نجحت هذه الحيلة باضعاف معنوية الجيش القرمطي وبالتالي الى انهزامهم حيث اتبعوا اثرهم وظفروا بمعسكرهم واسر العبيديون نحو الف

( ١ ) الكامل لابن الاثير ( ٢٢٩ : ٨ ) ، اتعاط الحنفا ( ١ : ٢٠٢ ) ، وفيه

زيادة وحسبنا الله ونعم الوكيل ، تاريخ اخبار القرامطة ( ص ١٠٦ ) .

( ٢ ) ذيل تاريخ دمشق ( ص ٣ ) .

( ٣ ) الكامل لابن الاثير ( ٢٢٩ : ٨ ) .

( ٤ ) تاريخ اخبار القرامطة ( ص ١٠٧ ) .

( ٥ ) البداية والنهاية لابن كثير ( ١١ : ٢٧٦ ) .

( ٦ ) ذيل تاريخ دمشق ( ص ٣ ) .



وخمسمائة من القرامطة فضربت اعناقهم اما الحسن بن احمد فانه بعد ان وصل دمشق ترك بها ابا المنجا القرمطي واليا عليها من قبله ورحل مع بعض رجاله الى الاحساء<sup>(١)</sup>.

ان تقهر الحسن الاعصم عن مصر في سنة ٣٦٣ هـ لم يكن معناه نهاية الصراع بين القرامطة والعبيديين .

اذ ان الحسن نجده يقود جيشا جرارا لنجدة افتكين<sup>(٢)</sup> في دمشق ودعمه بالمؤن والعتاد ولما علم القائد العبدي جوهر بقدم الحسن فر بجيشه خوفا من بقاءه بين عدوين .

واضطر جوهر الى طلب الحاكم العبدي بالخروج بنفسه لاستعادة قنقوزه على البلاد وسار على رأس جيش كبير حيث دارت معركة حاسية بالقرب من الرملة تمكن الجيش العبدي من ايقاع الهزيمة بالافتكين والحسن الاعصم .

ومن ثم سار الحسن بن احمد منهزما الى طبرية . وهنا فكر الخليفة العبدي العزيز بسياسة المفاوضات مع الحسن فارسل اليه رسولا يدعوه الى العودة الى طاعته ونيل احسانه وعطاياه واخيرا اجاب الحسن واصطلح مع العبديين وتقرر ان يدفع له ثلاثين الف دينار وتحمل اليه كل سنة ويكون القرامطة بعد ذلك على الطاعة والمواذعة ومن ثم انصرف الحسن الى الاحساء وعاد العزيز الى مصر . وفي طريقه راجعا الى الاحساء وافاه الاجل المحتوم في الرملة<sup>(٤)</sup> وكان ذلك سنة ست وستين وثلاثمائة<sup>(٥)</sup> .

وبعد موت الحسن تبدأ فترة من فترات الضعف لدولة القرامطة كما يظهر في هذه الفترة الرجوع الواضح الى كف الفاطميين والبدء بسلسلة من الهجمات على اراضي الدولة العباسية .

- 
- ( ١ ) الكامل لابن الاثير ( ٨ : ٢٣٠ ) .  
 ( ٢ ) قائد من قادة الاخشيديين واصله تركي وقد جمع فلول العرب لمحاربة العبديين .  
 ( ٣ ) ذيل تاريخ دمشق لابي يعلى ( ص ٢٠ ) .  
 ( ٤ ) احدى مدن فلسطين المشهورة .  
 ( ٥ ) فوات الوفيات للكتبي ( ١ : ٣١٨ ) .

حيث اغلوا على الكوفة سنة ٣٧٥ هـ وادى ذلك الى انزاج اهلها  
لما عرف به القرامطة من شدة البأس وقوة الشكيمة حتى هابهم الناس . والى  
ذلك يشير ابن الاثير قائلا وفى هذه السنة ورد اسحاق وجعفر الهجريان  
فى جمع كثير وهما من الستة القرامطة الذين يلقبون بالسادة فطكا الكوفة  
وخطبا لشرف الدولة فانزعج الناس لذلك لما فى النفوس من هيبتهم وبأسهم  
وكان لهم من الهيبة ما ان عضد الدولة ويختار اقطعاهم الكثير .<sup>(١)</sup>

ويشير ابن خلدون الى هذه الاحداث بقوله : ورجع القرامطة الى  
دعوة العلوية ومحاربة بنى بويه .<sup>(٢)</sup>

كما انهم فى سنة اربع وسبعين وثلاثمائة دخلوا البصرة لما علموا  
بموت عضد الدولة ولم يكن لهم قوة على حصارها واخذوا منها الاموال وانصرفوا  
راجعين الى الاحساء .<sup>(٣)</sup>

كما ان ملاحقة حجاج بيت الله الحرام ومطاردتهم وسفك دماهم  
وسلب اموالهم تعود الى الساحة من جديد ففى احداث سنة ٣٨٤ هـ رجع  
الحاج الى بغداد ولم يحج احد من العراق خوفا من القرامطة .<sup>(٤)</sup>

#### نهاية القرامطة فى البحرين .

بعد هذه الاحداث تبدأ فترة مريرة للقرامطة حيث بدأ نجمهم بالانحلال  
وسلطانهم بالتناقص ويصح لى من خلال الاحداث ان اقسام الدور النهائى  
الذى مرت به دولة القرامطة فى البحرين الى ثلاثة اطوار حسب ما اطلعت عليه  
من الاخبار والروايات التاريخية .

- 
- ( ١ ) الكامل لابن الاثير ( ٢٦ : ٧ ) .
  - ( ٢ ) ابن خلدون ، العبر ( ١٩٤ : ٤ ) .
  - ( ٣ ) النجوم الزاهرة لابي المحاسن ( ١٤٥ : ٤ ) .
  - ( ٤ ) المرجع السابق ( ص ١٦٧ ) .

الطور الاول : بدأ بطردهم واخراجهم من العراق نهائيا وذلك مايشير اليه ابن الاثير في احداث سنة ٣٧٥ هـ ان يذكر : ان للقرامطة نائبا في بغداد يعرف بابي بكر بن شاهويه وان صمصام الدولة قبض عليه . ونتيجة لذلك تحرك القرامطة الى الكوفة فلما علم صمصام الدولة بذلك كتب اليهم يتلطفهم ويسألهم عن سبب حركتهم فذكروا ان قبض نائبيهم هو السبب فلى قصد هم بلادهم . وبعد ذلك ارسل صمصام الدولة الحساكر ومعهم العرب فعبروا الفرات وتقاتل الفريقان فانهزم الجيش القرملطى واسر قائدهم - ويسمى ابا قيس المنذر بن الحسن - وجماعة من قوادهم فقتلوا .

عاد القرامطة من جديد وسيروا جيشا آخر في عدد كثير وعدة فالتقوا هم وعساكر صمصام الدولة ايضا وانجلت الواقعة عن هزيمة القرامطة وقتل مقدمهم واسر جماعة منهم ونهب سوادهم وتعقبوا الى القادسية .

وبذلك تيسر للبويهيين اخراجهم من العراق نهائيا . ويعلق ابن الاثير على هذه الهزيمة للقرامطة بقوله " وزال من حينئذ ناموسهم <sup>(١)</sup> .

الطور الثاني : بدأ بسلسلة من الهجمات عليهم في عقد دارهم وانتهى هذا الطور بطردهم من جزيرة اوال .

ففي سنة ٣٧٨ هـ جمع انسان يعرف بالاصفر من بني المنتفق جمعا كثيرا وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة وانهزم اصحابه وقتل منهم واسر كثير وسار الاصفر الى الاحساء فتحصن منه القرامطة فعدل الى القطيف فاخذ ماكان فيها من عبيدهم واموالهم ومواشيهم وسار بها الى البصرة <sup>(٢)</sup> . ويشير النويرى الى نتيجة هزيمتهم هذه بقوله : انه بعد هزيمة الاصفر لهم انتقص امر القرامطة وضعفوا . . . ثم يقول : وكانت فتنتهم قد عمت اكثر البلاد والعباد ولم اقف لهم بعد واقعة الاصفر على واقعة اخرى فاذكرها <sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ( ٧ : ١٢٩ ) بتصرف .

( ٢ ) الكامل لابن الاثير ( ٧ : ١٣٦ ) .

( ٣ ) نهاية الارب للنويرى ( ٢٣ : ) .

وفى سنة ٤٥٨ هـ خرجت جزيرة اوال عن طاعة القرامطة فى البحرين وخضعت للعباسيين بعد سلسلة من الثورات التى قام بها السنيون فى هذه الجزيرة فقد بنى هؤلاء السنيون مسجدا لجذب التجار الى جزيرتهم ولما فرغوا من بناء هذا المسجد خطبوا فيه للخليفة العباسى دون الخليفة العبيدى كذلك ثار اهل اوال على حكم القرامطة لانهم عزلوا واليهم وفرضوا عليهم ضريبة جديدة اثار حنقهم فاشعلوا نار الثورة وقضوا على قوات القرامطة البرية والبحرية وآل الحكم فى هذه الجزيرة الى السنيين (١).

الطور الثالث : كان لهزيمة القرامطة فى جزيرة اوال اثر بعيد عليهم حيث انها كانت منطلقا للقضاء عليهم وعلى سلطانهم نهائيا من بلاد البحرين فقد اتصل السنيون فى بلاد البحرين بالسلاجقة والعباسيين فى العراق فبعثوا اليهم فى سنة ٤٦٢ هـ بجيوش جرارة احلت بهم هزائم متتالية واضطر القرامطة الى الارتداد الى بلاد الاحساء . وقد شجعت هذه الهزائم العباسيين والسلاجقة فارسلوا الى الاحساء جيوشا جرارة بقيادة طائفة من امهر قوادهم واداعوا المنشورات يستجشون فيها الناس على الانضمام تحت لواء هؤلاء القواد " فى جهاد المبطلين والقرامطة الملحدين وفى استئصال ذكرهم وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم " . وقد التف السنيون فى البحرين حول الثوار وانصار العباسيين واحاطوا بالقرامطة فى شمال الاحساء وانتصروا عليهم فى موقعة " الخندق " سنة ٤٧٠ هـ وتمد هـذ الموقعة من المواقع الحاسمة فى التاريخ لانها قضت على دولة القرامطة الذين ظلوا زهاء قرنين مصدر رعب وفزع (٢).

وحيث انه من خلال السرد التاريخى للاحداث تايمت مبدأ قيام دولة القرامطة فى البحرين حتى نهايتها وانقراضها عن عالم الوجود عسكريا

( ١ ) تاريخ الاسلام لحسن ابراهيم حسن ( ٤ : ٢٥٨ ) نقل عن مخطوطة لابن الجوزى (مرآة الزمان ) .

( ٢ ) المرجع السابق ( ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ) .

فلا بد من عرض بعض الاسس المعقائدية التى يرتكز عليها بقاء واستمرار الجهود الفردية والجماعية .

فاولا : اصالة الفكرة ومدى صلاحيتها للفرد والمجتمع .

ثانيا : موافقتها للفطرة البشرية وعدم تصادمها مع النفس الانسانية .

ثالثا : نشر العدل والطمأنينة وازاحة الظلم .

رابعا : الاخلاص والولا الكامل للمشرع الذى شرع هذا المنهج .

ان الواقع الذى عاشه القرامطة ابان تخليهم سوا من الناحية الفكرية او العسكرية يصطدم مع هذه الاسس التى اشترت اليها . فالفكر القرمطى لا يعدو عن كونه مزيجا من الفكر اليونانى فى قالب فلسفى ممزوج ببعض النصوص الاسلامية التى استغلوها للتمويه والخداع على العامة واخذوا يأولونهم حسب اهوائهم ومصالحهم تحت شعار الظاهر والباطن .

واى منهج مصدره العقل البشرى فماله الى الخراب والاصطدام مع

الفطرة الانسانية التى فطر الله الخلق عليها .

فالبشر مهما كان فكرهم وتنظيمهم فهو فكر قاصر عاجز عن فهم النفس الانسانية ومن ثم يعجز بطبيعة الحال عن وضع نظام لها . ولذا يلاحظ ان سلاح القوة والبطش واسالة الدماء كانت هى الوسيلة لنشر مبادئ القرامطة وتثبيت دولتهم . اما العدل والامان والطمأنينة فهى على طرفى نقيض مع حركة القرامطة ومبادئها ولو ادعى ذلك المخادعون والموهومون لان الواقع والا حداث تثبت ما نقول بوضوح .

وبجانب هذه الامور الاساسية كان للخلاف الذى نشب بينهم والتنافس على رئاسة الحركة اثر لتعجيل اضمحلال دولتهم وزوالها نهائيا . وان لقيام الدول ومرورها بادوار متعددة من قوة الى ضعف الى زوال نواميس وسنن كونية . يقول ابن خلدون فى مقدمته : " ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف . واذا انصرفت الى

الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب  
التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاقد واتسع نطاق الكلمة لذلك  
فعظمت الدولة " (١) .

---

( ١ ) مقدمة ابن خلدون (ص ١٥٧) .

خريطة تمثل توسع القراصنة في منطقة الجزيرة العربية  
في أوائل القرن الرابع



## الفصل الخامس

### الحركة القرمطية في اليمن

كان اليمن ولا يزال موطن كفاح بين الفرق والمذاهب ، فمدينة صنعاء تعتبر موطن مؤسس مذهب الخلافة من الشيعة عبد الله بن سبأ<sup>(١)</sup> . كما انها موطن عبد الله الشيعي مؤسس دولة العبّيديين التي تعتبر اكبر دولة شيعية قامت في العالم الاسلامي . ويتميز اليمن بأنه بلد الادعاءات والتمويهات ولذلك كثر فيه المتنبئون والمحتالون . يصف المصري هذا الوضع بقوله : ان اليمن ما زال منذ كان معدنا للمتكسبين بالتدين والمحتالين على السحت وحدثني من سافر الى تلك الناحية ان به اليوم جماعة كلهم يزعم انه القائم المنتظر فلا يعدم جباية من مال يصل بها الى خمسين الا مال<sup>(٢)</sup> .

ان الصراع في اليمن وجد في عهود مبكرة ولا ادل على ذلك من الصراع بين فرقتين من فرق الشيعة وهما الزيدية والاسماعيلية بحيث استطاعت كل فرقة ان تحافظ على كيانهما وتحفظ بتعاليمها حتى وقتنا الحاضر .

وقد ادرك دعاة الاسماعيلية ان اليمن موطن صالح لدعوتهم وافكارهم فأحد الائمة المستورين يقول للداعي بن حوشب : الى عدن لاعة فاقصد وعليها فاعتمد فمنها يظهر امرنا وفيها تمر دولتنا ومنها تفرق دعائنا<sup>(٣)</sup> .

ولذا كان دعاة الاسماعيلية في اليمن اذذاك يعتقدون ان دولة المهدي ستظهر في بلادهم<sup>(٤)</sup> .

يقول جعفر الحاجب : " وامرنا المهدي بالاخذ في اهبة السفر<sup>(٥)</sup> " .

- 
- ( ١ ) الاعلام للزركلی ( ٤ : ٢٢٠ ) .
  - ( ٢ ) رسالة الخفران لابی العلاء المصري ( ٢ : ٣٤ ) .
  - ( ٣ ) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ( ص ٤١ ) .
  - ( ٤ ) سياسة الفاطميين الخارجية ( ص ٧٠ ) .
  - ( ٥ ) من اتباع عبید الله المهدي واحد دعائه وقد صحبه في رحيله من الشام الى المغرب .



والخروج معه واظهر لنا انه يريد اليمن<sup>(١)</sup> .

لكن المهدي عدل عن اليمن لنجاح الدعوة اكثر في المغرب محققا  
رغبة ابيه في اقامة دولته بالمغرب حين قال له مشيرا الى نجاح ابن حوشب في  
اليمن : هذه دولتك قد قامت لكن لا احب ظهورها الا من المغرب<sup>(٢)</sup> .

ويقول محمد كامل حسين : ولعل اول حركة اسماعيلية ناجحة هي  
تلك الحركة التي قامت ببلاد اليمن حيث ان الداعي ابن حوشب استطاع ان  
يؤسس باسم الامام الاسماعيلى المنتظر اول دولة اسماعيلية في التاريخ<sup>(٣)</sup> ، وبحكم  
الصلة بين الداعي الاسماعيلى الحسين بن حوشب ورئيس الحركة القرمطية في  
اليمن على بن الفضل وانطلاقهما من منطلق واحد فانى سأعرض بايجاز الى  
حياة الداعي الاسماعيلى اولا معقبا بعد ذلك بالحديث عن النشاط القرمطى  
بقيادة على بن الفضل .

- 
- ( ١ ) سيرة جعفر الحاجب ( ص ١١٠ ) مجلة كلية الاداب .  
( ٢ ) السلوك في طبقات العلماء والملوك للجندى ( ص ١٦٧ ) ضمن مجموع عن  
تاريخ اليمن جمع الدكتور حسن سليمان محمود .  
( ٣ ) طائفة الاسماعيلية ( ص ٢٢ ) .

### الحسين بن فرج بن حوشب

ان اول ما يصادفنا في الحديث عن شخصية الحسين هذا انه اختلف في اسمه اختلافا كثيرا فذكر الحميري انه يدعى بالحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان ويكنى بابي القاسم اوابي الحسن<sup>(١)</sup> ويسميه ابن خلدون رستم بن الحسن ابن حوشب ويقول المقرئزي ان اسمه رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان النجار<sup>(٢)</sup> اما الجندی فيسميه منصور بن زاذان بن حوشب بن فرج بن المبارك<sup>(٣)</sup> ويقول العرشي ان اسمه منصور بن حسن بن جيوشب بن باذان<sup>(٤)</sup> . واما المصادر الاسماعيلية فاحيانا تسميه الحسن بن فرج<sup>(٥)</sup> واحيانا تسميه الحسن بن فرج بن حوشب<sup>(٦)</sup> ويكنى بمنصور اليمن وهذه الكنية ليست جزءا من اسمه الحقيقي وانما هي صفة يقصد بها كما قال القاضي النعمان : ما اتيج له فيها من النصر<sup>(٧)</sup> .

ولا بد من الاشارة الى ان الحسن سلك طريقة الاثمة والدعاة من الاسماعيلية والقرامطة حول تعدد الاسماء والالقب وذلك بهدف التمويه والخداع على العامة . اشتهرت اسرة الحسن بالتشيع على مذهب الامامية الاثني عشرية فكان ابوهم من هؤلاء<sup>(٨)</sup> كما كان الحسن نفسه قبل دخوله الدعوة الاسماعيلية معروفا بهذا اللون من التشيع<sup>(٩)</sup> ولكن بعد اعتناقه لمذهب

- 
- (١) الحور العين (ص ١٩٧) .
  - (٢) المبر لا بن خلدون (٤ : ٦٥) .
  - (٣) اتعاظ الحنفا (١ : ٤٠) .
  - (٤) السلوك في طبقات الملما والطوك (ص ١٦٦) .
  - (٥) بلوغ المرام للعرشي (ص ٢٢) .
  - (٦) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص ٣٢) ، سيرة جعفر الحاجب (ص ١١٥) .
  - (٧) عيون الاخبار للداعي ادريس (ص ٣٩٧) .
  - (٨) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص ٣٢) .
  - (٩) المرجع السابق (ص ٣٦) ، عيون الاخبار (ص ٣٩٧) .
  - (١٠) افتتاح الدعوة للنعمان (ص ٣٣) .

الاسماعيلية اخذ دعاة المذهب يبجلونه ويصفونه بأنه من اهل الفطنة والدراية ومن لا تجوز عليه مخارقة اولى الفوايه <sup>(١)</sup> .

ويقصد باولى الفوايه مذهب الامامية الذين يقولون بامام حى الا انه مختلف فى سرداب تحت الارض وينتظرون خروجه <sup>(٢)</sup> .

ومصادر الاسماعيلية تعتبر ذلك من المخارقة والترهات وتصف هـذا الادعاء بأنه حماقة عجيبة <sup>(٣)</sup> .

اما اعتناق ابن حوشب لمذهب الاسماعيلية فكان نتيجة عدة مقابلات ومناظرات بينه وبين الامام الاسماعيلى <sup>اولا</sup> وبينه وبين احد دعاة الامام ثانيا <sup>(٤)</sup> .

ويصف الحسن بن حوشب نفسه بعد اعتناقه لمذهب الاسماعيلية فيقول : انه بعد ما اخذ العهد على وعرفت امام الزمان فتح لى من المعرفة كثيرا واخذت اتردد عليه فكان يخصنى ويقربنى ويرمز بقرب الامر ودنو العصر <sup>(٥)</sup> .

وجد الامام الاسماعيلى ابن حوشب شخصية صالحة لتقبل افكاره ومبادئه فلاغروا ن قربه منه وخصه فى بعثه الى اليمن فقال له يوما : يا ابا القاسم هل لك فى غربة فى الله ؟ قلت : يا مولاي الامر اليك فما امرتنى به امتثلته . قال اصبر كأتى برجل قد اقبل الينا من اليمن . ومالليمن الا انت فقلت : استعصين <sup>(٦)</sup> .

( ١ ) عيون الاخبار للداعى ادريس (ص ٣٩٦) .

( ٢ ) تختلف الشيعة الاثنا عشرية مع الشيعة الاسماعيلية فى امور كثيرة وعلى قائمتها الامامة فالاثنا عشرية نقلوها بعد جعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم اما الاسماعيلية فنقلوها بعد جعفر الى ابنه اسماعيل كما وان الاثنا عشرية مامهم حى ولكنه مختلف فى سرداب بينما الاسماعيلية يخالفونهم فى ذلك ويشنعون عليهم هذا الاعتقاد .

( ٣ ) رسالة افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٣٦) ، عيون الاخبار للداعى ادريس (ص ٣٩٧) .

( ٤ ) تفصيل ماجرى فى ذلك اللقاء فى رسالة افتتاح الدعوة من (ص ٣٥) الى (ص ٣٨) ، عيون الاخبار للداعى ادريس (من ص ٣٩٧ الى ٣٩٩) .

( ٥ ) رسالة افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٣٧ - ٣٨) .

( ٦ ) يقصد بالرجل على بن الفضل القرطى .

بالله على مايرضيك<sup>(١)</sup> .

وهكذا يتضح لنا ان ابا القاسم قد اصبح معدا للامر الذى اراده الامام واصبح موضع ثقته<sup>(٢)</sup> .

ثم بعثه الى اليمن وبصحبه على بن الفضل ليبدأ بالدعوة هناك بعد ان زودهما بارشاداته .

ومما قال لابي القاسم : الى عدن لانه فاقصد وعليها فاعتمد فمنها يظهر امرنا وفيها تمز دولتنا ومنها تفرق دعاتنا<sup>(٣)</sup> .

وقد بين له اساليب الدعوة على الطريقة الباطنية فقال له : ان لقيت من هو الحن بالحجة منك فانفسر له فى الباطن قال وكيف ذلك : قال تقطع الكلام وترى ان تحت ماتريد الجواب به باطنا لا يمكنك ذكره فتحتجز بذلك منه الى ان تنهى لك الحجة عليه<sup>(٤)</sup> واوصاه بستر امره حتى يبلغ غرضه<sup>(٥)</sup> . كما اوصاه بأن يلزم الصوم والصلاة والتقشف وان يعمل بالظاهر ولا يظهر الباطن واذا ورد عليه ما لا يعلمه لا يجيبه متدرا بأن لكل شىء باطنا ولهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره<sup>(٦)</sup> .

اخيرا وبعد هذه الارشادات توجه ابو القاسم وعلى بن الفضل القرمطى ودخلا اليمن فى اول سنة ٢٦٨ هـ فاقاما سنتين يدعوان سرا ثم ظهرت الدعوة سنة سبعين ومائتين<sup>(٧)</sup> .

نهج الداعيان منهاجا واحدا فى نشر الدعوة الاسماعيلية وبسط نفوذهما وقد اتخذا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ فظهر كل منهما الزهد والتقشف

- 
- (١) رسالة افتتاح الدعوة (ص ٣٨) .
  - (٢) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٢٣٤) .
  - (٣) رسالة افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٤١) .
  - (٤) المرجع السابق (ص ٤١ - ٤٢) .
  - (٥) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى (ص ١٦٦) .
  - (٦) نهاية الارب للنويرى (٢٦ : ٢٤) .
  - (٧) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ٥١) ، افتتاح الدعوة للنعمان (ص ٤٤) .

والصلاح ابتغاء الوصول الى غايتيهما وعملا بوصية الامام فقال اليهما كثير من اهل اليمن <sup>(١)</sup> . وتفيد المصادر على ان هذه الدعوة انتشرت باديء الامر فى وسط قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى وقد انضم اليهم جمع من شيعة المراق وساروا الى ابن حوشب لما علموا بنجاحه هنالك حتى كثر جمعهم وعظم بأسمهم <sup>(٢)</sup> .

وعلى اثر ذلك فشلت الدعوة باليمن وظهر امرها واستأذن ابو القاسم فى الحرب فاذن له وابتنى حصنا بجبل لاعة وجيش الجيوش وافتتح مدائن باليمن وملك صنعاء واخرج حكامها بنى يعفر <sup>(٣)</sup> وكان يقول : والله ما اخذت هذا الا مرمالى ولا يكثره رجالى وانما انا داعى المهدي فانهمك اليه عامة الناس ودخلوا فى مذهبه <sup>(٤)</sup> . وهكذا تمكن الداعى ابن حوشب عن طريق الدعوة ولاول مرة من تكوين دولة اسماعيلية فى اليمن وسر الامام كثيرا عندما وردت اليه الهدايا من اليمن وقال لابنه <sup>(٥)</sup> هذه اول ثمرة ايامك وبركة دولتك <sup>(٦)</sup> . ولما تم على يديه من نشر لاراء الاسماعيلية اخذ دعائهم يصفون عليه هالة ممن التقديس والتعظيم ومما قال احدهم : كان ابو القاسم بمثابة الفجر المتفلس وبه كشف الله عز وجل عن الاولياء الفضة وانا رحناس الظلمة <sup>(٧)</sup> . بل ان الامام الاسماعيلى فوضه بارسال الدعاة الى جهات متعددة واخذ يرسل الامام ايضا بعض الدعاة المشهورين الى ابن حوشب ليتعلموا منه المذهب <sup>(٨)</sup> وعظمى

(١) اعلام الاسماعيلية لغالب (ص ٢٣٦) .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقرئى (١ : ٤١) .

(٣) افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٤٦) .

(٤) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٢٦) .

(٥) المراد بابنه هو عبيد الله المهدي اول ائمة دور الظهور .

(٦) رسالة افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٤٦) .

(٧) انظر اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٢٣٩) .

(٨) يعتبر ابن حوشب من علماء وفلاسفة المذهب الاسماعيلى حيث الف عددًا

من الكتب العلمية والفلسفية خدمة لمذهبه ومن اهمها :

١ - البيان لمباحث الاخوان . ٢ - اسرار النطقاء .

٣ - كتاب الكشف . ٤ - الايضاح . =

رأس هؤلاء\* ابو عبد الله الشيعي<sup>(١)</sup> الذي بعثه الامام الى اليمن طالبا من ابى القاسم ان يصره ويرشده ويلقنه ولم يكف الامام بذلك بل اكد لابي عبد الله وامره ان يمثل سيرة ابن هوشب وينظر الى مخارج اعماله ومجاري افعاله فيحتذيها ويمثلها ويعمل عليها .

وقد امثل ابو عبد الله الشيعي امر الامام وانتهى الى ابى القاسم وجلس عنده عاما كاملا يشهد مجالسه ويخرج معه في غزواته لا يفارقه ابى ان حان وقت خروج اهل اليمن الى مكة للحج حيث خرج ابو عبد الله معهم<sup>(٢)</sup> . كما ان ابن هوشب امثل امر الامام ففرق الدعاة في نواحي اليمن وسائر البلدان الاخرى كاليمامة والبحرين والسند والهند وناحية مصر والمغرب<sup>(٣)</sup> .

ظلت الدعوة الاسماعيلية قوية نتيجة نشاط ابن هوشب واتحاد جهود الداعيين ابن هوشب وابن الفضل . ولكن الاخير طمع في الاستقلال نتيجة كثرة اتباعه واخذ يبتعد عن صديقه ابن هوشب واستولى على جزء كبير من اليمن واقام دولة لوحده . ولم يكف بذلك بل طمع في بسط سيادته على اليمن كلها وفي هذه الاثناء بعث ابن هوشب اليه بوسالة يحاويه فيها على هذا التصرف المخالف لتعاليم الامامة الاسماعيلية ويذكره برعاية الامام الاسماعيلي لهما قائلا له : كيف تخلع طاعة من لم تتل خيرا الا به وتترك الدعاة له ؟ او ماتذكر ما بينك وبين الامام الاسماعيلي من الصهود والمواثيق<sup>(٤)</sup> . ولكن

= ٥ - رسالة الرشد والهداية . ٦ - تأويل الزكاة .

٧ - الانوار الفضية في معرفة الانفس الذكية .

( ١ ) هو داعي المغرب والذي نشر الدعوة هناك ومهد لقيام الدولة

العبيدية واسمه الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا .

( ٢ ) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ( ص ٥٩ - ٦٠ ) .

( ٣ ) المرجع السابق ( ص ٤٧ ) .

( ٤ ) سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد سرور نقلا من انباء الزمن فـ

اخبار اليمن لابن المؤيد ( ورقة ٣ ) .

على بن الفضل لم يعجباً بقوله . هذا وكتب اليه " انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها" (١) .

ومن ثم اخذ على بن الفضل يعد العدة لمحاربة ابن حوشب وقد ظلت المعارك بينهم حتى طلب ابن حوشب الصلح نتيجة الحصار الشديد ولم يفكه حتى ارسل ابن حوشب احد اولاده كدليل على الدخول في طاعته فاجابه ابن حوشب وارسل اليه بعض ولده ومن ثم رجع ابن الفضل الى المذخرة واقام ولد المنصور عنده سنة ثم رده الى ابيه (٢) .

لم يؤد هذا الصلح الى عودة الوفاق بين ابن حوشب وابن الفضل وظل كل منهما يعمل مستقلا عن الاخر مما ساعد على اضعاف الدعوة الاسماعيليه (٣) في بلاد اليمن .

ولكن ضعف الدعوة الاسماعيليه حل محله النشاط القرمطي متمشياً بشخصية على بن الفضل الذي سنتحدث بالتفصيل عن حياته وافكاره اولا واخيرا بشئ من التفصيل .

---

( ١ ) كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة للحمادى ( ص ٣٣ ) .

( ٢ ) المرجع السابق ( ص ٣٦ ) .

( ٣ ) سياسة الفاطميين الخارجية ( ص ٧٤ ) .

(١)  
على بن الفضل القرمطي

انتشرت الحركة القرمطية في اليمن بانتشار المذهب الاسماعيلي وقد مضى الحديث عن ابن حوشب وجهوده في نشر المذهب الاسماعيلي . اما هنا فالحديث عن علي بن الفضل وجهوده في نشر الاراء القرمطية في اليمن .  
وان بداية علي بن الفضل واعتناقه للافكار الاسماعيلية شبيهة ببداية ابن حوشب فتذكر المصادر الاسماعيلية ان علي بن الفضل خرج حاجا سنة ست وستين ومائتين فلما قضى حجه خرج الى قبر الحسين زائرا له (٢) في جماعة من اهل اليمن وغيرهم ممن شهد الموسم من الشيعة فلما انتهوا اليه اصابوه معمورا بالشيعة فجعل علي بن الفضل يبكي عنده وينتحب ويعدد مناقب الحسين رضى الله عنه ويذكر فضله ورجل من الدعاة يراعيه كل يوم وهو على ذلك (٣) فلما رأى نيته واجتهاده خلا به ويسطه وفتح له شيئا من العلم والقي اليه بعض المسائل فركن ابن الفضل اليه ولازمه وبحث عما عنده . فقال له الرجل

(١) اختلف في اسمه ففي الكامل لابن الاثير (٦: ١٢٦) ، والعبر لابن خلدون (٤: ٤٥٥) ، وتثبت دلائل النبوة للمهذاني (٢: ٣٧٦) ان اسمه محمد بن الفضل وباقي المصادر تسميه بحلي بن الفضل واسمه الكامل علي بن الفضل الجندى الخنفرى الجيشانى . فالجندى نسبة الى ذرية ذى جفن انظر كشف اسرار الباطنية للحامدى (ص ٢١) . واما الخنفرى فقليل لانه من سلالة خنفر بن مسبا بن صيفى بن حمير . انظر بلوغ المرام (ص ٢٢) ، تاريخ اليمن جمع حصن محمود (ص ٣١٢) هاشية رقم ١٣٢ . وقيل نسبة الى بلده خنفر وهى من مخاليف ابين الذى منه عدن . انظر الحور العين (ص ١٩٨) ، واما الجيشانى فنسبة الى مدينة من مدن اليمن ولذا يقول الحامدى ان اصله من جيشان . كشف اسرار الباطنية (ص ٢١) .

(٢) تؤكد كثير من المصادر ان علي بن الفضل قبل اعتناقه لمبدأ الاسماعيلية كان شيعيا على مذهب الاثنا عشرية ومن ذلك الجندى في كتابه السلوك (ص ١٦٥) ، والخزرجى في كتابه الكفاية والاعلام ورقة (٢٢) والحامدى في كتابه كشف اسرار الباطنية (ص ٢١) غير ان القاضى النعمان اكتفى بأن قال انه من اهل بيت تشيع (ص ٣٩) .

(٣) عينت المراجع الاخرى ذلك الرجل بانه ميمون القداح . انظر كشف اسرار =



يوما في حديثه رأيته لو ادرت صاحب هذا القبر الذي تبكى عنده وتذكر فضائل صاحبه ما كنت صانعا في امره ؟ قال كنت والله اضع خدي واقبل الارض التي يطؤها واتبرك بفضل وضوئه واكون لو شهدت مصرعه اول صريع بين يديه قال فانه قد فاتك فما عندك ؟ قال ماترى من الاسف والحزن عليه قال : فكأنك ترى ان الله عز وجل قد قطع امره بانقطاعه ورفع حجته عن خلقه بموته قال كلا ولكن كيف لى ذلك ؟ فسكت الرجل وجعل على بن الفضل يلح عليه ويقول والله مارميت لى مارميت الا وعندك اثر منه فاهدنى اليه . وجعل يلزمه وهو متوقف عنه ويطارح عليه وهو ينقبض منه <sup>(١)</sup> الى ان حضر انصراف اصحابه فودعهم وكتب الى اهله وتخلف عن الرحيل فانصرف الرجل الى موضعه فاتبعه فقال له : اجلس هاهنا حتى آتيك فجلس ومضى عنه واقام اربعين يوما وعلى فـسـى ذلك المسجد لا يبرح . والرجل يفتقده من حيث لا يراه . فلما رأى قوة عزمه ونيتة اتاه . فلما رآه وثب اليه وقال ياسيدى ما هذا الفعل ؟ قطعت بـسـى وتركتنى . قال وانك لها هنا ؟ قال واين كنت اذهب وانت تقول اجلس هاهنا حتى آتيك ؟ قال فلولم آتك ما كنت صانعا ؟ قال اذا والله لا ابرح حتى اموت فالقى الله معذورا .

= الباطنية للحمادى (ص ٢١) وكذلك بها\* الدين الجندى (ص ١٦٥) ، من تاريخ اليمن جمع حسن محمود وكذلك الخزرجى في كتابه الكفاية والاعلام مخطوط ورقة ( ٢٢ ) وجميع هذه المراجع تنص على ان ميمون وابنه عبد الله ملازمان لضريح الحسين لاصطيار الاتباع .

( ١ ) يلاحظ هنا اسلوب الدعوة عندهم حيث ان ميمون يأخذ منه ويريد ان يعرف مدى فهمه وتصوراته قبل ان يقدم له شيئا وهذا اسلوب ميمون اساليب الدعوة الى اى مبدأ كان .

( ٢ ) ادرك ميمون ان ابن الفضل له رغبة شديدة في معرفة المذهب والايمان به ولكن اسلوب الدعوة عندهم يفرض على الداعى الا يقدم العقيدة والتعاليم الا سماعيلية فمرة واحدة حتى يعرف مدى استطاعة فهم ابن الفضل وتصوره لمثل هذه التعاليم الجديدة عليه .

واخيرا اخذ عليه العهد واصله الى الامام<sup>(١)</sup> فلما رآه واختبر حاله قال  
للداعي ابن حوشب : هذا الذي كنا ننتظره ومن ثم بعثه بصحبة ابن حوشب الى  
اليمن ليث الدعوة ونشرها هناك<sup>(٢)</sup> .

ووصل على بن الفضل اليمن سنة ٢٦٨ هـ مع ابن حوشب<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) تؤكد المصادر الاسماعيلية على ان هذا الامام - الذي اتصل به ابن الفضل  
ومن ثم اخذ العهد له وبعثه الى اليمن بصحبة ابن حوشب - هو الامام  
الحسين بن احمد الطقب بالزكي وهو الامام الثالث من ائمة دور الاستتار  
بعد محمد بن اسماعيل . انظر عيون الاخبار للداعي ادريس ( ص ٣٩٥ -  
٣٩٦ ) كما انه والد عبيد الله المهدي اول ائمة دور الظهور . انظر  
استتار الامام للنيسابوري ( ص ٩٥ ) ، ويقول الحميري ايضا بذلك الا انه  
يلقبه بالهادي وانه امر ابن حوشب وابن الفضل بالدعوة الى ولده  
عبد الله المهدي . انظر الحور العين ( ص ١٩٨ ) ، واما المقرئ فيقول  
ان الامام الذي قدم عليه الداعيان ويحثهما الى اليمن يعرف بجمفر بن  
محمد وهو والد عبيد الله المهدي . انظر اتعاظ الحنفا ( ١ : ٥٠ - ٥١ )  
غير ان ابن خلدون يسميه بمحمد بن الحبيب ويعتبره والد عبيد الله  
المهدي ( ٤ : ٦٤ - ٦٥ ) ، ومن الاستعراض لهذه الاراء نجد الاتفاق  
على ان هذا الامام والد عبيد الله المهدي فالخلاف ان حول اسمه فقط  
واما من يطعن بنسب الفاطميين فيعتبر ان هذا الامام هو عبيد الله  
ابن ميمون القداح . انظر الكفاية والاعلام للخزرجي ورقة ٢٢ ، والسلوك  
في طبقات العلماء والملوك ( ص ١٦٥ ) ، واما الذي بعث الداعيان في  
فترة امامته فهو الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القداح . انظر  
تثبيت دلائل النبوة ( ٢ : ٣٧٧ ) ، اتعاظ الحنفا للمقرئ ( ١ : ٣٨ ) ،  
وقد وقع المقرئ في خلط واضطراب حينما اعتبر ابن ابي الفوارس احمد  
دعاة عبدان هو الذي بعث ابن الفضل داعيا الى اليمن . انظر اتعاظ  
الحنفا ( ١ : ١٦٦ ) ، والصحيح ان الذي بعث امام الاسماعيليين  
اختلاف في اسمه كما سبق وان اوضحت ذلك في هذا التعليق .

( ٢ ) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ( ص ٣٩ - ٤٠ ) .

( ٣ ) هذا التاريخ هو الذي اتفق عليه الكثير من المؤرخين . انظر رسالة افتتاح  
الدعوة للقاضي النعمان ( ص ٤٤ ) ، اتعاظ الحنفا للمقرئ ( ص ٥١ ) ،  
ولذا لا يعول كثيرا على ما ذكره يحيى بن الحسين من ان دخول ابن  
الفضل وابن حوشب سنة ٣٩١ هـ انظر غاية الاماني ( ص ١٩١ ) من  
القسم الاول .

(١) وبدأ الدعوة سرا لمدة سنتين ثم ظهرت الدعوة سنة سبعين ومائتين .  
بدأت دعوة ابن الفضل تنتشر في اماكن متعددة من اليمن كجيشان  
وسر ويافع (٢) وقد اختار هذه المناطق لتفرسه بانهم اسرع الناس الى اجابته  
ويصف الحمادى الطريقة التى دخل بها عليهم قائلا : انه بنى فى رأس جبل  
مسجدا واخذ بالنسك والعبادة فكان نهاره صائما وليله قائما وان اهل هذه  
المناطق انسوا اليه واحبوه وافتتنوا به . وفى آخر الامر بلغت ثقتهم به ان قلدهم  
امرهم وجعلوا حكمهم اليه . (٣)

وماكان لمثل هذه الشخصيات ان تظهر وتوصف بالعبادة والزهد الا فى  
مجتمع الرعاع والجهال من الناس والذين لا يفقهون من امر الاسلام سوى بعض  
الشعائر التعبدية ولذا يقول عنهم الخزرجى : " ان ابن الفضل وجد اهل  
هذه الاماكن رعاا افتتنوا به " (٤)

كما يصفهم يحيى بن الحسين بانهم جهال رعا لا يعرفون الحقائق  
بل يتبعون كل ناعق (٥) . كما ان ابن الفضل نفسه استخفهم ووصفهم بما يستحقونه  
فحينما طلبوا منه النزول من الجبل والسكن بينهم قال : لا افعل هذا ولست  
اسكن بين قوم جهال ضلال (٦)

بمثل هذه الاوساط وتلك المجتمعات تثبت المبادئ المنحرفة ويظهر  
الاقزام وكأنهم رجال متخذين الخداع والمكر على الجاهل وسيلة لتحقيق  
اهدافهم ويقول الحمادى فى ذلك : ولم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ الى  
ارادته وامرهم ببنا حصن فى ناحية " سر ويافع " فاطاعوه وسمعوا لامره . (٧)

- 
- ( ١ ) افتتاح الدعوة للقاضى النعمان ( ص ٤٤ ) .
  - ( ٢ ) اسما لبعض المدن والمناطق فى اليمن .
  - ( ٣ ) كشف اسرار الباطنية للحمادى ( ص ٢٨ ) .
  - ( ٤ ) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة ( ٢٣ ) .
  - ( ٥ ) غاية الامانى القسم الاول ( ص ١٩٢ ) .
  - ( ٦ ) كشف اسرار الباطنية للحمادى ( ص ٢٨ ) .
  - ( ٧ ) المرجع السابق ( ص ٢٨ ) .

وصاروا يجمعون له زكواتهم حتى اجتمع له شيء جيد<sup>(١)</sup>.

ثم الزمهم ان يغيروا على اطراف البلاد فينهبوا اهلها واوهمهم ان ذلك من الجهاد في سبيل الله وانه جهاد لاهل المعاصي حتى يدخلوا في دين الله طوعا وكرها<sup>(٢)</sup>.

وامرهم ان يتخطفوا بلاد ابن ابي العلاء<sup>(٣)</sup> فاشتد بأسهم . لكن ابنى ابي العلاء استطاع ان يهزم ابن الفضل واصحابه ويقتل منهم خلقا كثيرا . ولما تراجع ابن الفضل منهزما اجتمع اليه المنهزمون من اصحابه وكان ذا رأى ومكر فقال لهم " انى ارى رأيا صائبا قالوا وما هو ؟ قال اعلموا ان القوم قد امنوا منا وارى ان نهجم عليهم فاننا نظفر بهم " فوافقوه على ما يريد فلم يشعر ابن ابي العلاء<sup>(٤)</sup> الا وهو معه بخنفر على حين غفلة واقتراق من اصحابه فقتل ابن ابي العلاء وطائفة كثيرة من عسكره واستباح ما كان لهم واستولى على خزائن لابن ابي العلاء وفيها من النقد جملة مستكثرة قدرها الخزرجى بتسمين بدره<sup>(٥)</sup>.

وبعد هذه المعركة عاد الى بلد يافع فعظم شأنه وشاع ذكره واجابته قبائل مذحج بأسرها<sup>(٦)</sup>.

وفى سنة احدى وتسعين ومائتين قصد المذيخرة<sup>(٧)</sup> وبها جعفر بن احمد

( ١ ) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى ضمن تاريخ اليمن جمع حسن محمود (ص ١٦٩) .

( ٢ ) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة ٢٤ ، كشف اسرار الباطنية (ص ٢٨) ، غاية الاماني القسم الاول (ص ١٩٣) .

( ٣ ) ملك من ملوك حمير واسمه الحارث بن مالك بن زيد وكانت تحت سيطرته بعض مخاليف اليمن كلحج وابين .

( ٤ ) مدينة من مدن اليمن ومخلاف من مخاليف ابين .

( ٥ ) نقد يمنى تساوى البدره الواحدة عشرة آلاف درهم . اما الحمادى فيقدرها بتسمين طحما فى كل واحد عشرة آلاف . كشف اسرار الباطنية (ص ٢٩) .

( ٦ ) انظر كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٢٨) ، غاية الاماني ليحيى بن الحسين (ص ١٩٣) ، الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة ( ٢٤ ) .

( ٧ ) اسم قلعة حصينة فى رأس جبل صبر وهى من اعمال صنعاء وقريبة من عدن . معجم البلدان لياقوت .

المناخى وتقاتل الفريقان وانهزم على بن الفضل واصحابه وعادوا الى بلد يافع . لكنه فى السنة التى تليها جمع جموعا كثيرة وقصد المذيخرة مرة اخرى فدخلها واخذ حصن التعكر<sup>(١)</sup> وانهزم جعفر الى تهامة مستجدا بصاحبها فامنه صاحب زبيد بجيش كثيف فرجع جعفر يريد المذيخرة فلقبه على بن الفضل فى جموعه وكان بينهما وقفة مشهورة قتل فيها جعفر وبعض اقاربه فادخلت رؤوسهم الى المذيخرة وقويت شوكة القرامطة باستيلاء ابن الفضل على بلاد المناخى<sup>(٢)</sup> .

ويقول الجندى انه لما صار بالـ : يخرة اعجبته فظهر بها مذهبه وجعلها دار ملكه<sup>(٣)</sup> .

اخذت حركة القرامطة تنتشر فى اليمن بقيادة على بن الفضل فبعد ان استولى على بلاد المناخى وجعلها مستقر ملكه نراه ينهض الى بلاد يحصب<sup>(٤)</sup> فيدخل بعض مدنها ويخربها ثم يسير الى ذمار حيث وجد جيشا عظيما فى هران<sup>(٥)</sup> لكنه استطاع استمالة صاحبه عن طريق المكاتبة حتى والاه ودخل فى ملته وقرمطته<sup>(٦)</sup> .

بعد هذا التوسع نجد ان ابن الفضل ينهض الى اليمن الا على قاصدا صنعاء وكان عليها اسعد بن ابي يعفر فحاربهم وهم نيف على اربعين الفا وقتلهم قتالا شحيحا لكن القرامطة صمدوا ولزموا جبلا قريبا من صنعاء اقاموا فيه ثلاثة ايام لا ينزلون ثم داهم ابن الفضل اهل صنعاء ليلا فدخلوها وذلك فى العاشر من شهر محرم سنة ٢٩٣ هـ وكان يوما عصيا حصل فيه

( ١ ) قلعة حصينة عظيمة مكيئة ليس باليمن احصن منها وهى من مخلاف جعفر .

( ٢ ) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة ( ٢٤ ) .

( ٣ ) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى ( ص ١٦٩ ) ضمن تاريخ اليمن جمع حسن محمود .

( ٤ ) مخلاف من مخاليف اليمن .

( ٥ ) حصن من حصون ذمار باليمن .

( ٦ ) غاية الامانى ليحيى بن الحسين ( ص ١٩٥ ) كشف اسرار الباطنية

( ص ٣٢ ) .

مع اهل صنعاء ما حصل من الخوف والوجل والرعب والفشل وخرج منهم من خرج باهله واولاده واستباح القرامطة صنعاء قتلا واسرا ونهبها وهتكت المحارم وفعلت العظائم<sup>(١)</sup>.

وقد استجار اهل صنعاء طالبين معاونة الامام الهادي<sup>(٢)</sup> فارسل لمقاومة اعدائهم جيشا تحت امرة ولده محمد المرتضى فاستولى على ذمار وارغم القرامطة على الجلاء من صنعاء . لكنهم استعادوها مرة اخرى لجلاء الامام عنها وعودته الى مقره صعدة . وبقيت المدينة مكان جذب بين القرامطة والامام الهادي تارة وبين اسعد بن يعفر تارة اخرى الى ان دخلها علي بن الفضل سنة ٢٩٩ هـ واستقر له الامر فيها وظلت خاضعة لسلطانه الى نهاية عهده<sup>(٣)</sup>.

فلما كان في صفر سنة سبع وتسعين ومائتين نهض القرمطي من المذخره يريد زبيد فهرب صاحبها وهي يومئذ بيد اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن زياد وقيل انه قاتل حتى قتل واستباح القرمطي زبيد وسبي من النساء اربعة آلاف عذرا<sup>(٤)</sup> واقام بزبيد سبعة ايام ثم خرج منها يريد المذخره فلم صار عسكره بموضع يسمى المشاحيط امر صائحه فصاح بالعسكر للنزول فاجتمعوا اليه فقال لهم : قد علمتم انما خرجتم للجهاد وقد غنمتم من نساء الحصيب ما لا يخفى ولست آمنهن عليكم ان يفتكن ويشغلنكم عن الجهاد فليذبح كل رجل منكم ما صار معه منهن فذبحوا اربعة آلاف عذرا<sup>(٥)</sup> في ساعة واحدة .

بعد هذه الممارك التي كان نتيجتها الاستيلاء على اجزاء كبيرة من

(١) سيرة الهادي الى الحق لعل بن محمد العباسي (ص ٣٩٠) ، غاية الاماني ليعلى بن الحسين (ص ١٩٦) .

(٢) هـاويل ائمة الزيدية وقد اسس دولة زيدية في صعدة توارثها ابناؤه .

(٣) تاريخ اليمن جمع حسن محمود (ص ٣١٧ - ٣١٨) .

(٤) بالغ على بن محمد العباسي في تقدير عدد السيايا فاعتبرهن خمسا وثلاثين الف امرأة . انظر سيرة الهادي الى الحق (ص ٣٩٤) .

(٥) السلوك في طبقات العلماء والملوك للجندی (ص ١٧٠ - ١٧١) ، ضمن

تاريخ اليمن جمع حسن محمود ، الكفاية والاطلام للخزرجي ورقة (٢٥) .

اليمن ، رأى ان الامر قد استحكم له فخلع طاعة عبيد الله المهدي الذي كان يظهر الطاعة له وانه داع اليه ثم كاتب صاحبه ابن حوشب بذلك .

فعاد جوابه اليه يعاتبه ويقول له : كيف تخلع طاعة من لم تنل خيرا الا به وتترك الدعاة اليه . اما تذكر ما بينك وبينه من اليهود والمواشيخ وما اخذ علينا جميعا من الوصية على الاتفاق وعدم الافتراق . فلم يلتفت الى قوله وكتب اليه انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها ولئى بأبى سعيد الجنابي اسوة لانه خلع ميمونا وابنه ودعا الى نفسه وانا ادعو الى نفسى <sup>(١)</sup> .

لم يكتف ابن الفضل بمفارقة بن حوشب وخلع طاعة المهدي ، فجهز جيشا عدته عشرة آلاف محارب من المعروفين بالشجاعة والاقدام وسار بهم لحرب ابن حوشب وحصل من جراء ذلك عدة معارك لم ينتصر فيها احد حتى اضطر ابن حوشب الى عقد راية الصلح بينهما <sup>(٢)</sup> .

لم يؤد هذا الصلح الى عودة الوفاق بينهما بل ظل كل واحد منهما يعمل مستقلا عن الاخر مما كان سببا في اضعاف الدعوة الاسماعيلية ففى بلاد اليمن <sup>(٣)</sup> .

وتعزو بعض المصادر الاسماعيلية خروج بن الفضل على الدعوة الاسماعيلية وخلعه طاعة الامام الاسماعيلى الى شخص اسمه فيروز <sup>(٤)</sup> صاحب المهدي في رحلته من الشام الى المغرب لكنه افترق عنه من مصر مخالفا المهدي وفر هاربا الى اليمن واجتمع بعلى بن الفضل ومازال معه حتى افسده وفتنه عن الدعوة

( ١ ) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة ( ٢٦ ) ، كشف اسرار الباطنية ( ص ٣٣ ) .

( ٢ ) انظر الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة ( ٢٦ ) .

( ٣ ) سياسة الفاطميين الخارجية لسرور ( ص ٧٤ ) .

( ٤ ) تصفة المصادر الاسماعيلية بانه داعى دعاة المهدي واجل الناس عنده واعظمهم منزلة وان الدعاة كلهم اولاده ومن تحت يده وهو باب الابواب الى الائمة . صاحب المهدي في رحلته من الشام الى المغرب لكسبه تفير عليه وعزم على النفاق لما تأكد لديه ان المهدي ذاهب الى المغرب ومن ثم ذهب الى اليمن وفتى ابن الفضل وافسده عن الدعوة الاسماعيلية . سيرة الحاجب جعفر ( ص ١١٠ - ١١٤ ) .

(١)  
الاسماعيلية .

وعلى ضلال دعاة الاسماعيلية فقد وصفوه بالكفر والاصرار والاستكبار فيقول  
 عنه الداعي ادريس " انه ممن آمن ثم كفر ودخل في الدعوة ثم خرج منها —  
 واصر واستكبر وكثير ممن ظن به الخير خالف ما ظن فيه <sup>(٢)</sup> .  
 بل انه اعتبر في رأى الدعوة الاسماعيلية " قد نكث عهده واستهـواه  
 الشيطان واضله ففارق الدعوة وخرج من الملة . . . وانه افتري على الله وعلى  
 اوليائه مقتديا بالضلّين من قبله فكانوا له شرا سوءا وانه استمال الجهـال  
 وارتكب المحارم وكفر بعد ايمانه وياء بلعنة الله <sup>(٣)</sup> . ويقول النعمان : ان على  
 ابن الفضل انسلخ من امر الله وامر اوليائه واستحل المحارم ورفض الظاهر ودعا  
 الناس الى الاباحات كما انه حارب ابا القاسم ومات على ذلك من غيه وضلاله <sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) اليماني سيرة جعفر بن حاجب (ص ١١٥) من مجلة كلية الاداب .  
 ( ٢ ) عيون الاخبار للداعي ادريس (ص ٣٩٩) .  
 ( ٣ ) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٣٩٠) نقلا من عيون الاخبار  
 للداعي ادريس .  
 ( ٤ ) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص ١٥٠) .



### الحاد ابن الفضل القرطبي وكفره

تجمع المصادر - التي اطلعت عليها بما فيها مصادر الاسماعيلية - على وصف ابن الفضل القرطبي بالاحاد والكفر والخروج على الشرائع والديانات السماوية . ولاهمية ايضاح هذا الجانب المتعلق بفكر ابن الفضل واعتقاده فسوف استقصى ما ذكرته على قدر الوسع والطاقة ولا سيما وان بين ظهرانيها من يحلمهم التعصب الشديد على انتحال صفات بارزة لهذا الرجل ونسبت خصائص جليلة له ليس منها في كثير ولا قليل .<sup>(١)</sup>

والحديث في هذا الجانب سيشمل امورا ثلاثة :

( ١ ) ادعاء ابن الفضل الالهية .

( ٢ ) ادعاء النبوة .

( ٣ ) مذهبه في نشر الاباحة وابطال التكاليف الشرعية .

فاما الامر الاول : وهو ادعاء ابن الفضل الالهية فالمصادر تذكر هذا الادعاء مؤكدة ذلك بنقل نصوص تفوه بها ابن الفضل في ادعائه المقيمت ولناخذ هذه المصادر واحدا بعد آخر . فالمقريزي نص على انه تسمى برب العزة وكان يكتب عماله بذلك وان ابنه الذي حكم بعده كان يكتب اهل دعوته ويخاطبهم في كتبه بقوله : من ابن رب العزة<sup>(٢)</sup> ويشارك صاحب سيرة الهادي الى الحق في كتابه مانقله المقريزي وينص على ان ابن الفضل تسمى

( ١ ) يصفه احدهم بانه كان شخصية بارزة وقائدا بارعا وحاكما ناجحا ووطنيا متحمسا . انظر اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ( ص ٣٩٠ ) . ويصفه آخر بهذه الصفات ويمزج عليها بانه كان اداريا حكيما وانه فخور بقبطانيته ثم يقول : ان التاريخ لم يستطع ان يطمس سياسته البارعة في السلم والحرب وشهامته واقدامه وابقائه بالعهود والمواثيق وحمانيته المظلومين ونصرته مبادئ الحياة المثلى . انتهى كلامه وما اتمس قلب الحقائق . انظر القرامطة لعارف تامر ( ص ١٨٤ - ١٨٥ ) .

( ٢ ) اتعاظ الحنفا ( ١ : ١٦٦ - ١٦٧ ) .

برب العالمين<sup>(١)</sup> . كما ان الديلى ذكر فى كتابه قواعد عقائد آل محمد انه  
تسمى برب العزة<sup>(٢)</sup> .

ويزداد الامر تأكيدا حينما نجد ان المصادر تثقل النصوص الدالّة على  
على مثل هذا الادعاء الهابط - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا  
فالجندى ينقل عن ابن جرير ان عنوان كتب بن الفضل الى اسعد بن يعفر  
بهذا اللفظ " من باسط الارض وداجها ومزلزل الجبال ومرسيها على بن  
الفضل الى عبده اسعد بن يعفر " .<sup>(٣)</sup> وبهذا اللفظ ذكر ذلك الخزرجى  
ايضا فى كتابه الكفاية والاعلام<sup>(٤)</sup> . وكذلك الواسعى فى تاريخ اليمن<sup>(٥)</sup> . كما  
ذكر ذلك الديلى بعبارة فيها تغيير طفيف عما سبق وهى : من باسط  
الارض وداجيها وناصب الجبال ومرسيها<sup>(٦)</sup> .

ويقول المعرى - مشيرا الى ابن الفضل فى ادعاءاته - واذا طمع بعض  
هؤلاء فانه لا يقتنع بالامامة ولا النبوة ولكنه يرتفع صعدا فى الكذب ولم تكن  
العرب فى الجاهلية تقدم على هذه الامور العظائم بل كانت عقولهم تنح الى  
رأى الحكماء وماسلف من كتب القدماء ان كان اكثر الفلاسفة لا يقولون بنسبى  
وينظرون الى ذلك بعين الضمى<sup>(٧)</sup> .

الامر الثانى : ادعاء ابن الفضل للنبوة .

ظل ابن الفضل يتابع دعاواه المتناقضة الزائفة فمن ادعاء الألوهية الى  
ادعاء النبوة . فانه لما تمكن وملك صنعا اظهر مذهبه الخبيث ولم يكف

( ١ ) سيرة الهادى الى الحق على بن محمد العباسى ( ص ٣٩٤ ) .

( ٢ ) بيان مذهب الباطنية للديلى ( ص ٨٣ ) .

( ٣ ) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى ضمن تاريخ اليمن جميع

حسن محمود ( ص ١٧٣ ) .

( ٤ ) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة ( ٢٦ ) .

( ٥ ) المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ( ص ٢٢ - ٢٣ ) .

( ٦ ) بيان مذهب الباطنية لمحمد بن حسن الديلى ( ص ٨٣ ) .

( ٧ ) رسالة الففران لابي العلاء المعرى ( ٢ : ٣٢ - ٣٣ ) .

ذلك حتى ادعى النبوة<sup>(١)</sup>.

واشتهر بهذا الادعاء فأى مؤرخ او مؤلف كتب عنه وعن حركة القرامطة  
فى اليمن ذكر ذلك عنه ومن هؤلاء المؤلفين يحيى بن الحسين<sup>(٢)</sup> والديلمى<sup>(٣)</sup>  
وبها<sup>(٤)</sup> الدين الجندى ونشوان الحميرى<sup>(٥)</sup>. اما الخزرجى فيقول ان ابن  
الفضل لما صار الى صنعاء اظهر مذهب الخبيث ودينه المشؤم وارتكب  
محظورات الشرع وادعى النبوة وكان المؤذن يؤذن فى مجلسه ويقول : اشهد  
ان على بن الفضل رسول الله<sup>(٦)</sup>. وبهذه العبارات ايضا ينقل لنا الواسعى  
بأن مؤذنه يؤذن ويقول : اشهد ان على بن الفضل رسول الله<sup>(٧)</sup>.  
ويذكر الحمادى ايضا ادعاء ابن الفضل للنبوة وينقل عن شاعر القرامطة  
قوله على منبر الجامع :

|                       |                                     |
|-----------------------|-------------------------------------|
| خذى الدف ياهذه والعبي | وغنى هؤاريك ثم اطربى                |
| تولى نبي بن هاشم      | وهذا نبي بنى يعرب                   |
| لكل نبي مضى شرعسة     | وهذى شرائع هذا النبي <sup>(٨)</sup> |

ويذكر هذه الابيات نشوان الحميرى باختلاف فى بعض الالفاظ  
حيث ينقل عن شاعر ابن الفضل قوله :

|                        |                                  |
|------------------------|----------------------------------|
| خذى العود ياهذه واطربى | نقيم شرائع هذا النبي             |
| تولى نبي بنى هاشم      | وهذا نبي بنى يعرب <sup>(٩)</sup> |

- 
- (١) بلوغ المرام للمعرشى (ص ٢٣) .
  - (٢) فى كتابه غاية الامانى (١ : ١٩٧) .
  - (٣) فى كتابه بيان مذهب الباطنية (ص ٨٢) .
  - (٤) فى كتابه السلوك فى طبقات العلماء والملوك ضمن تاريخ اليمن (ص ١٦٩) .
  - (٥) فى كتابه الحور العين (ص ١٩٩) .
  - (٦) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٤) .
  - (٧) تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن للواسعى (ص ٢٢) .
  - (٨) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣١) .
  - (٩) الحور العين لنشوان الحميرى (ص ١٩٩) .

الامر الثالث : مذهبه فى نشر الاباحة وابطال التكليف الشرعية .

يتحدث صاحب سيرة الهادى الى الحق عن ابن الفضل فيقول : انه لما صار الى المذيخره اظهر المجوسية وامرهم بنكاح الامهات والاخوات وشرب الخمر وحرم جميع الحلال واهل جميع الحرام وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله عز وجل وامر من كان معه ان يسلموا الاموال والحرم ويخرجوا اليه من جميع ما فى ايديهم .<sup>(١)</sup>

ويقول الخزرجى فى ذلك : انه اباح لاصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والاخوات وارتكب محظورات الشرع وسائر المحرمات .<sup>(٢)</sup> ولا يستغرب قول الديلمى هذه الاباحية عند ابن الفضل حيث انها جزء من مذهبه فيقول : ان من مذهبه استحلال المحرمات وتزويج الاخوات والبنات .<sup>(٣)</sup>

اما الحميرى فيقول انه اهل جميع المحرمات وغرب المساجد .<sup>(٤)</sup>

واضافة لما سبق من كلام العلماء والمؤلفين فقد ذكر غيرهم اباحية ابن الفضل واستحلاله المحرمات من امثال الواسمى فى تاريخه<sup>(٥)</sup> ويحيى بن الحسين وبهاء الدين الجندى .<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>

ونتيجة لهذه التعاليم المنحرفة مما تلاها من اباحية وقحة عند ابن الفضل القرمطى فقد حفظ لنا العلماء احداثا مفصلة تؤكد ما ذكرنا من قبل وقد ترددت كثيرا فى تفصيل هذه الاحداث وتسطيرها فى ثنايا بحثى لبشاعتها ومخالفتها للفطرة الانسانية ولكن دفنى الى ذكرها امران :

- 
- ( ١ ) سيرة الهادى الى الحق لعلى المباسى الملوى ( ص ٣٩٤ ) .
  - ( ٢ ) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة ( ٢٤ ) .
  - ( ٣ ) بيان مذهب الباطنية للديلمى ( ص ٨٢ ) .
  - ( ٤ ) الحور العين لنشوان الحميرى ( ص ١٩٩ ) .
  - ( ٥ ) المسعى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ( ص ٢٢ ) .
  - ( ٦ ) غاية الامانى ( ١ : ١٩٧ ) .
  - ( ٧ ) السلوك فى طبقات العلماء والملوك ضمن تاريخ اليمن جمع حسن محمود ( ص ١٦٩ ) .

( ١ ) انه سبقنى علماء ومؤلفون ذكروا هذه الاحداث بسطا وايجازا وسطروها من خلال كتبهم ومؤلفاتهم .

( ٢ ) كشف هذه الحركات وابانة حقيقتها الزائفة ممثلة في شخصياتها الفاضلة وعن حياتهم الاجتماعية والاخلاقية .

ومن اقدم المصادر التى تحدثت عن حياة قرامطة اليمن الاجتماعية كتاب سيرة الهادى الى الحق لمؤلفه على بن محمد العباسى العلوى وتأتى اهميته حيث ان المؤلف عاش في عصر القرامطة وهو اواخر القرن الثالث<sup>(١)</sup> فتكسبون معلوماته بمشابة مذكرات شاهد عيان يقول عن ابن الفضل : انه اذا كان ليلة الجمعة جمع الرجال فارسهم على النساء فتقع الام للابن والاخت مع الاخ فيفجروا بهن في ليلتهن تلك فمن امتنع من ذلك قتله واباح حرمة لمن كان معه تمردا وكفرا وجراة على الله عز وجل وقتلوا وفجروا<sup>(٢)</sup> .

ويأتى اهمية بعد هذا المصدر كتاب كشف اسرار الباطنية للحمادى الذى عاش في اواسط المائة الخامسة للهجرة وتأتى اهمية ما ينقله لنا من معلومات ان المؤلف دخل في مذهب الاسماعيلية لهدف معرفته والاطلاع على اسراره<sup>(٣)</sup> .

فهو يقول عن على بن الفضل واتباع مذهبه : انه كان يجمع اهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ويأمر باطفاء السرج وكل واحد يأخذ من تقع يده عليها فلا يدعها حتى يطبق فيها حكم الامير<sup>(٤)</sup> .

ويأتى بعدهما القاضى ابو عبد الله يوسف الجندى حيث يعطينا تفصيلات اكثر فيقول : ان ابن الفضل عمل دارا واسعة في فاصته المذيخرة وكان يجمع فيها غالب اهل مذهبه نساء ورجالا متزينين متطيبين ويوقد بينهم الشمع ساعة ويتحدثون فيها باطيب الحديث واطهره ثم يطفأ الشمع ويضع كل

( ١ ) انظر مقدمة سيرة الهادى الى الحق (ص ٨) للدكتور سهيل زكار .

( ٢ ) سيرة الهادى الى الحق لعلى العباسى (ص ٣٩٤ - ٣٩٥) .

( ٣ ) انظر الصفحة الحادية عشر من كشف اسرار الباطنية للحمادى .

( ٤ ) المرجع السابق (ص ٣٦) .

منهم يده على امرأة فلا يترك الوقوع عليها وان كانت من ذوات محارمه وقصد  
يقع مع احد هم مالا يعجبه اما لمجزا ولغيره فيريد التفلت منها فلا تكاد تعذره .  
ثم يملق الجندى على هذه الاباحية بقوله : وهذه مخزية عظيمة  
شاعت عنه وعتت جميع من انتسب الى التسمعل <sup>(١)</sup> وهى شىء لم يحقق عمن  
احد غيره . <sup>(٢)</sup>

اما المقرئ فيذكر ذلك ايضا ولكنه يزيد على من سبقه بايضاح فلسفة  
ابن الفضل لهذه الاباحية ان يقول : اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال  
ولا ولد من ولد فتكونوا كنفس واحدة .  
كما يذكر المقرئ ان هذه الدار التى يجتمع فيها الرجال والنساء  
تسمى ( دار الصفوة ) .

وان ابن الفضل يحفظ من يحبل من النساء تلك الليلة ومن تلد من  
ذلك ويتخذ تلك الاولاد لنفسه خولا ويسمئهم اولاد الصفوة <sup>(٣)</sup> .  
وما تجدر الاشارة اليه ان الجندى يقول : انه سأل جمعا من الذين  
يتحقق منهم المذهب عن هذه الاباحية فكان جوابهم بالانكار مع اعترافهم بأن  
ابن الفضل زنديق واجماعهم على ذلك . ثم يضيف الجندى قائلا ان ذلك  
هو الذى يتقرر فى ذهنى <sup>(٤)</sup> ولقد رد عليه الكوشى قائلا ان هذا يستغرب من  
الجندى حيث ينتظر منهم الاعتراف بمثل هذه الشناعة البالغة التى تمسرف  
بفروعهم الى اليوم <sup>(٥)</sup> اضافة الى ذلك اقول ان الجندى نقل ما يتعارض مع هذا  
الذى يذكر وقد اثبتنا ما نقله آنفا .

( ١ ) المراد بذلك الاسماعيلية .

( ٢ ) السلوك فى طبقات العلما والملوك للجندى ( ص ١٧٢ ) .

( ٣ ) اتماظ الحنفا للمقرئ ( ١ : ١٦٦ ) .

( ٤ ) السلوك من طبقات العلما والملوك ( ص ١٧٢ ) ضمن تاريخ اليمس

جمع حسن محمود .

( ٥ ) كشف اسرار الباطنية للحمادى ( ص ٣٦ ) حاشية رقم ( ٢ ) لمحمد

زاهد الكوشى .

ومع هذه الاباحية التي انتهجها ابن الفضل في حياته وحياة اتباعه لم تسلم التكاليف الشرعية من تعديه عليها والحادة بتعطيلها . حيث امر بقطع الحج <sup>(١)</sup> وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام <sup>(٢)</sup> محاولا بذلك اسقاط الحج الى مكة <sup>(٣)</sup> ولذا يذكر الديلمي عن ابن الفضل انه عزم على قصد الكعبة وتخريبها <sup>(٤)</sup> .

وكان يقول لاصحابه : حجوا الى الحرف واعتصموا الى الثلاث . وفي لفظ آخر واعتصموا الى الثاني <sup>(٥)</sup> .

اما التكاليف الشرعية الاخرى من الصلاة والزكاة والصيام فقد حطها وابطلها عن اتباعه الذين اعتبروا ذلك من شريعة نبيهم الجديد ولطالما رددوا فيه قصيدتهم التي اشتهرت في المجتمع اليمني .

ولشهرتها فقد ذكرها جمع من العلماء والمؤرخين على تفاوت بينهم في بعض الالفاظ وعدد الابيات <sup>(٦)</sup> .

( ١ ) الكفاية والاعلام للخزرجي ورقة ( ٢٤ ) ، كشف اسرار الباطنية للحمادي ( ص ٣٣ ) .

( ٢ ) السلوك من طبقات العلماء والملوك للجندی ( ص ١٧١ ) من تاريخ اليمن جمع حسن محمود .

( ٣ ) غاية الاماني ( ١ : ١٩٧ ) ليحيى بن الحسين .

( ٤ ) بيان مذهب الباطنية للديلمي ( ص ٨٣ ) .

( ٥ ) السلوك من طبقات العلماء والملوك للجندی ( ص ١٧١ ) ضمن تاريخ اليمن جمع حسن محمود ، كشف اسرار الباطنية للحمادي ( ص ٣٣ ) وهذه الاماكن التي يأمر ابن الفضل بالحج اليها هي مواضع معروفة باليمن قريبة من عاصمة القرامطة المذيخرة .

( ٦ ) فالحمادي اليمني ذكر عشرة ابيات . انظر كشف اسرار الباطنية

( ص ٣١ ) ، ويوافق الحمادي من حيث العدد كل من الجندی - انظر السلوك من طبقات العلماء والملوك ( ص ١٦٩ ) ، والديلمي - انظر بيان مذهب الباطنية ( ص ٨٢ - ٨٣ ) ، اما الخزرجي فيذكرها احد عشر بيتا . انظر الكفاية والاعلام ورقة ( ٢٤ ، ٢٥ ) غير ان العرشي يقتصر على اربعة ابيات . انظر غاية المرام ( ص ٢٣ ) ، ويأتي بعده نشوان الحميري الذي اقتصر على ثلاثة ابيات . انظر الخور العين ( ص ١٩٩ )

وسوف اذكر في متن البحث من هذه الابيات ما اتفق عليه العلماء والمؤرخون من حيث اللفظ والعدد حرصا على التأكد مما نقلته والتثبت فيما نصف به القرامطة .

يقول شاعر بن الفضل<sup>(١)</sup> :

|                        |                                    |
|------------------------|------------------------------------|
| غذى العود ياهذه واضربى | نقيم شرائع هذا النبى               |
| تولى نبى بنى هاشم      | وهذا نبى بنى يعرب                  |
| فحط الصلاة وحط الزكاة  | وحط الصيام ولم يتمب <sup>(٢)</sup> |

- ( ١ ) اختلف فى قائل هذه الابيات على ثلاثة آراء :
- الاول : ان هذه الابيات تنسب الى احد الخطابية . انظر الحور العين للحميرى (ص ١٩٩) .
- الثانى : ان قائلها على بن الفضل نفسه . انظر السلوك من طبقات العلماء والملوك للجندى (ص ١٦٩) .
- الثالث : ان قائلها شاعر من شعراء القرامطة فى عصر ابن الفضل . انظر كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣١) والهور العين لنشوان الحميرى (ص ١٩٩) . والذى يترجح لى هو الرأى الثالث حيث ان الرأى الاول لم يذكره سوى الحميرى وذكره بصيغة الظن حيث قال " وغالب الظن ان قائلها من الخطابية " ثم بينى هذا الظن على ما اشتهر عنهم من ادعاء النبوة . وحيث ان المصادر قد اثبتت ادعاء ابن الفضل للنبوة فقد زال ما ذكره الحميرى كما يفهم من كلامه ان ابن الفضل لم يدع النبوة ويبدو انه فى نقل الحميرى شيئا من التناقض حيث قال قبل نقل الابيات ان هذه القصيدة من قول بعض شعراء عصر ابن الفضل فيه . انظر الحور العين (ص ١٩٩) . اما الرأى الثانى وهو نسبتها الى ابن الفضل . فان التأمل للنص والضمائر التى فيه لا تدل على انه هو الذى قالها وانما تدل على ان احد اتباعه قال ذلك فيه . ومما يزيد ترجيحنا للرأى الثالث انه اتفق على القول به ثلاثة من العلماء وهم الحمادى والمرشى والحميرى .
- ( ٢ ) الحور العين للحمادى (ص ١٩٩) ، غاية المرام للمرشى (ص ٢٣) ، كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣١) ، السلوك للجندى (ص ١٦٩) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٤) ، بيان مذهب الباطنية للديلمى (ص ٨٢) .



وبعض المؤرخين لا يذكر هذه القصيدة مكتفياً بل لاشارة الى ما يشبهها  
ومن هؤلاء يحيى بن الحسين الذى يقول ان ابن الفضل لما تمكن من صنعها  
لم يحسن فيها صنعا حيث رقى منبر جامعها فخطب خطبة منكرة صرح فيها  
بعقيدته الكفرية وحمد عليها من تابعه من تلك الفرق الخوية . ثم يضيف قائلاً  
ان هذه الخطبة ذكرها كثير من المؤرخين وانما تركنا نقلها هنا تنزيهاً  
لكتابنا هذا<sup>(١)</sup> .

#### نهاية ابن الفضل ونهاية الحركة فى اليمن بعده .

تختلف المصادر حول نهايته فبعضها يعتبر انه مات طبيعياً<sup>(٢)</sup> والبعض  
الاخر يعتبر ان نهايته كانت خطة مدبرة من قبل اسعد بن ابي يعفر  
حيث مات غيلة بالسسم الذى وضع له اثناً فصدّه<sup>(٣)</sup> . وطلو كل فوفاته سنة ٣٠٣ هـ .  
وتعتبر وفاة ابن الفضل ايذاناً بزوال دولة القرامطة فى اليمن حيث ان  
اسعد بن ابي يعفر الحوالى خرج من صنعاء حتى صار الى ذمار وكاتب اهلها  
فقدم اليه وجوه اهل البلد ثم صار الى مغلاف جعفر واجتمعوا اليه واخذ  
يناهض القرامطة ويحاربهم بجد واجتهاد فلزموا الحصون واقاموا فيها  
وهو يحاربهم ويحاصرهم وجعل يدخل الحصون باذلا نفسه حتى اعطى  
الظفر فدخل جميع حصونهم وقتل بشراً كثيراً والجا القرامطة الى عاصمتهم  
المذيخرة وحصرهم فيها<sup>(٤)</sup> .

فلما دخلت سنة ٣٠٤ هـ اقام اسعد بن ابي يعفر الحصار على المذيخرة  
وضيق على اهلها ورماهم بالمنجنيات حتى تظلمت جوانبها فاشتد الامر على

(١) غاية الامانى (١: ١٩٧) .

(٢) المرجع السابق (ص ٢٠٨) ، سيرة الهادي الى الحق لعلى بن محمد  
(ص ٤٠٣) .

(٣) الكفاية والاعلام للخزرجي ورقة (٢٦) ، بلوغ المرام للعرشي (ص ٢٣) ،  
كشف اسرار الباطنية للحامدي (ص ٣٧) .

(٤) سيرة الهادي الى الحق لعلى بن محمد (ص ٤٠٣) .

القرامطة وعجزوا عن المحاربة فدخلها عليهم قهرا بالسيف واسر جميع اهلها  
وسبى بنات ابن الفضل<sup>(١)</sup> . ويقول الحميري ان اسعد بن ابي يعفر لم  
دخل المذيخره عاصمة القرامطة قتل منهم خلقا كثيرا واخذ اموالا عظيمة  
يقصر عنها الوصف واخذ ولد بن لعل بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة  
معه الى صنعاء حيث امر بهم فذبحوا جميعا<sup>(٢)</sup> .

ويصف الحمادي اسعد بن ابي يعفر مينا صدقه في المعركة وشدة  
عزيمته ومضاءها قائلا : ان من شدة غمّه وحزمه وتقضيه انه ما هل عدته ولا سلاحه  
بل يصلى وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه وقتل القرامطة واحيا  
الاسلام<sup>(٣)</sup> .

وبعد سقوط المذيخره اخذ حكام اليمن يتتبعون بقايا القرامطة  
في اماكنهم المتعددة للقضاء عليهم وقطع دابرهم ففي سنة سبع وثلاثمائة  
وجه احمد بن يحيى بن الحسين عسكريا لحرب القرامطة الذين تجمعوا  
بقيادة عبد الحميد بن محمد المسوري فالتقى الجيشان في موضع يقال له  
نفاش<sup>(٤)</sup> وقد استمرت المعركة لمدة ثلاثة ايام كانت الهزيمة من نصيب القرامطة  
حيث قتل منهم الف وخمسائة رجل وبعد هذه الهزيمة انحلت عروة القرامطة  
وكسرت شوكتهم وخمدت نار فتنتهم<sup>(٥)</sup> غير انه ظهر رجال من دعاة القرامطة  
سنة ٣١٩ هـ وتبعهما خلق وتحصنوا بقلعة تسمى شح<sup>(٦)</sup> فوجه اسعد بن ابي  
يعفر القواد والحساكر في وجوههم فقتلوهما وغنم المسلمون ما كان معهم<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) غاية الاماني ليحيى بن الحسين (٢٠٩: ١) .
  - (٢) الحور العين للحميري (ص ٢٠٠) .
  - (٣) كشف اسرار الباطنية (ص ٣٧ - ٣٨) .
  - (٤) موضع في بلد همدان باليمن وقد سميت المعركة باسمه .
  - (٥) انظر سيرة الهادي الى الحق لمحمد العباسي (ص ٤٠٥) ، غاية  
الاماني (٢١١: ١ - ٢١٢) .
  - (٦) بضم اوله وثانيه وادبه قلعة في سرو حمير باليمن يسكنه الاعضود وينو  
مهاجر ذكر ذلك الهمداني في صفة جزيرة العرب .
  - (٧) سيرة الهادي الى الحق (ص ٤٠٦) ، غاية الاماني (٢١٤: ١) .

وبعد القضاء على هذين الرجلين تخمد الحركة القرمطية في اليمن  
 سياسيا وعسكريا<sup>(١)</sup> لكن الافكار والتعاليم تبقى منتشرة ولكن في قالب آخر وهو  
 الحركة الاسماعيلية التي ظلت باقية حتى عصرنا الحاضر حيث ان امام الزيدية  
 المتوكل على الله كانت له معارك مع الاسماعيلية ابتدأت سنة ١٣٢٣ هـ وكان  
 من الاسلاب التي غنمها الكثير من كتب الاسماعيلية وهي محفوظة الان بمكتبة  
 جامع صنعاء<sup>(٢)</sup>.

- 
- ( ١ ) يذكر كاي في حواشيه على تاريخ اليمن جمع حسن محمود (ص ٣٠٣-٣٠٤) حاشية رقم ١٣٠ ما يفيد باستمرار الحركة القرمطية في اليمن الى القرن السادس حيث يقول انه في سنة ٥٤٩ هـ هجم احمد المتوكل على الله على قبيلة يام القرمطية التي ظل افرادها ماثرين على مزاولة مراسم المذهب الاسماعيلي لكن كاي تحفظ على صدق هذا الكلام بأن قال اذا كنا نصدق المؤرخين الزيدية .
- ( ٢ ) مقدمة بيان مذهب الباطنية لشروطمان (ص ٧) .

الباب الثالث  
عقائد القرامطة<sup>(١)</sup>  
~~~~~

يشتمل هذا الباب على تمهيد وخمسة فصول :
الفصل الاول : اصول القرامطة التي انطلقوا منها :

- (أ) الامامة
- (ب) الظاهر والباطن والتأويل
- (ج) فلسفة الاعداد والحروف

الفصل الثاني : معتقد القرامطة من الله سبحانه وتعالى

الفصل الثالث : معتقد القرامطة من النبوة والانبياء والرسل

الفصل الرابع : معتقد القرامطة في القيامة والمعاد

الفصل الخامس : معتقد القرامطة في التكاليف الشرعية

(١) اطلقنا عبارة عقائد بالجمع لان فكرهم خليط متعدد المنابع والاصول
كما سيتضح ذلك من خلال هذا الباب .

تمهيد :

تقدم لنا ان الاسماعيلية تعتبر جذرا اساسيا من الجذور المفذية للحركة القرمطية وان زعماء القرامطة استمدوا تعاليمهم وافكارهم من ائمة الحركة الاسماعيلية ودعاتها وكما سبق واوضحنا من خلال المصادر التاريخية والعقائدية ان القرامطة لم يبتدعوا عقيدة خاصة اورفتم—وا مبادئ فكرية تختلف مع العقيدة الاسماعيلية حتى في فترة الخلاف والتوتر اضافة الى ذلك فان زعماء الحركة القرمطية كحمدان وحمدان وزكرويه والجنابي وعلو بن الفضل جميع هؤلاء تربوا وتعلموا الدعوة على ايدى دعاة الحركة الاسماعيلية وائمتها . ومن المعروف ان انتاج القرامطة في المجال الفكري قليل جدا وما عرف منه فهو مفقود وغير معروف ومن المرجح انه لم يبق منه شيء (١) . اما المصادر الاسلمية للحركة الام — الاسماعيلية فكثيرة جدا حيث نشر العديد من المخطوطات السرية والتي تمثل المبادئ والمعتقدات لكلا الحركتين . الاسماعيلية والقرمطية . اذن فالحديث عن عقائد القرامطة يمثل تماما عقائد الاسماعيلية .

وقبل الحديث عن عقائد القرامطة بالتفصيل لابد من الاشارة الى

عدة حقائق :

(١) ان هذه العقائد مزيج عجيب متعدد الاصول حيث التأثر — غالبا — بالفلسفات التي سبقتهم والنظريات التي عاصرتهم مع ما يضاف الى التقاطع لبعض النصوص السلامية والاستفادة منها شكلا لا مضمونا

(١) سبق وان ذكرنا مؤلفات القرامطة في ترجمة الداعي حمدان وان هذه المؤلفات تنحصر في شخصية حمدان فقط وقد ذكرها ابن النديم في الفهرست وهي مفقودة تماما غير ان الداعي شهاب الدين نقل في رسالة له بعنوان مطالع الشمس نتفا بسيطة من كتاب الميزان لعبدان . انظر اربع رسائل اسماعيلية (ص ٥٢) مع ملاحظة ان هذا الداعي عاش في القرن التاسع الهجري . انظر اربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر (ص ١٩) .

ان هذه الحقيقة يؤكدها العالم المحقق ابن تيمية في احد كتبه قائلا : وفي اواخر المائة الثانية وقبلها وبعدها اجتلبت كتب اليونان وغيرهم من الروم من بلاد النصارى ومريت وانتشر بذلك مذهب عبدلة الصابئة مثل ارسطو وذويه . وكان من نتائج ذلك ان ظهر في ذلك الزمان "الخرمية" وهم اول القرامطة الباطنية الذين كانوا في الباطن يأخذون بعض دين الصابئين المبدلين وبعض دين المجوس . كما اخذوا من هؤلاء كلامهم في النور والظلمة وكسوا ذلك عبارات وتصرفوا فيه واخرجوه الى المسلمين وكان من القرامطة الباطنية في الاسلام ما كان .^(١)

وفي موضع آخر يقول : ان الملاحدة الباطنية ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ما اظهروه من التشيع وكانت قرامطة البهريين اعظم تعطيلًا وكفرًا .^(٢)

ويقول كاتب له الكثير من مخطوطات الاسماعيلية : والذي يدرسون عقائد الاسماعيلية يستطيعون ان يدركوا ان هذه العقائد مزيج عجيب من مجموعة المذاهب والديانات والاراء الفلسفية القديمة التي عرفت وانتشرت في الاقطار الاسلامية منذ زمن بعيد بتأثير امتزاج المسلمين بغيرهم من اصحاب الديانات المختلفة والاراء المتباينة . وان الاسماعيلية اخذوا هذه الاراء والمعتقدات واخضعوها لفكرتهم عن الامامة بعد ان صبغوها بالصبغة الاسلامية حتى ان الباحث يستلج ان يتعقب اكثر عقائد الاسماعيلية ويردها الى اصولها القديمة .^(٣)

(٢) ان اكثر معتقدات القرامطة مستمدة من الفلسفة اليونانية والمتأثرين بها امثال اخوان الصفا . يقول الشهرستاني مبينا هذه الحقيقة

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١ : ٣٧٤) .

(٢) المرجع السابق (ص ٣٧٥) .

(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٧٤) .

ان الباطنية خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على
(١)
هذا المنهاج .

ويؤكد البغدادي هذه الحقيقة من خلال نقله الرسالة المتبادلة
بين ابي طاهر القرمطي والامام العبيدي ومن الوصايا في هذه الرسالة
واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة محاولنا وانا وياهم
مجمعون على انكار نوايس الانبياء وعلى القول بقدوم العالم .
(٢)

ومن مقام التبجح يثبت احد دعاة الاسماعيليه هذه الحقيقة المؤلمة
بقوله : ان الاسماعيليين من انجب التلاميذ الذين درسوا الفلسفة
اليونانية دراسة واقعية واخذوا منها الافكار والنظريات وطبقوها
وحوروها في مجتمعهم وليست جمهورية افلاطون الا احد الكتب المفضلة
القيمة التي درسوها بعناية وطبقوها بامعان .
(٣)

وتقول احدى الباحثات : اننا اذا تتبعنا دراسة عقائد باقى
الفرق الاسلامية فاننا لانجد فرقة اسلامية - على حد قولها - تأثرت
بالفلسفة تأثر القرامطة الاسماعيليه . لهذا فيمكن القول ان عقيدتهم
ماهى الا سلسلة افكار فلسفية دينية او حركة تجمع وصهر بين الاثنين .
(٤)

ويقول المستشرق اليهودى جولد تسيهر : ان الاسماعيليه
صبغت الاراء الدينية فى الاسلام بعناصر الغنوصية والافلاطونية الحديثة .
(٥)
ومن الامثلة على هذه الحقيقة نظرية افلاطون المثل والتي تقول
بان ما فى العالم الحسى لا يعدو عن كونه اشباح لمثل فى العالم
العلوى . والاسماعيليه قالوا : ان ما فى عالم الدين مثل المشولات فى

-
- (١) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٩٢) .
 - (٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٧٨) .
 - (٣) القرامطة لعارف تامر (ص ٨٠) .
 - (٤) الخلفية العقائدية للطائفة فضيلة (ص ٢٠٦) .
 - (٥) العقيدة والشرعية لجولد تسيهر (ص ٢٤٧) .

العالم الروحاني .

ويؤكد محمد حسين على ان الاسماعيلية اقتبسوا من الافلاطونية الحديثة كل فلسفة الفيوضات وترتيبها بحيث اذا قرأنا كتب الحقيقة الاسماعيلية نجد انفسنا امام الفلسفة الافلاطونية الحديثة وذلك كالا بداع وظهور النفس الكلية عن العقل الكلي . . . الخ هذه النظريات ^(١) .

بل ان الاسماعيليين والقرامطة طوروا هذه النظريات الى اسلوب اكثر تطرفا واشد غلوا . يقول جولد تسيهر : ان الاسماعيليين بدأوا بنظرية الفيض الافلاطونية تلك التي بنت عليها جماعة اخوان الصفا البصرية فلسفتها الدينية في موسوعتها المصنفة وان الاسماعيليين استنبطت من هذه الفلسفة اعلى نتائجها واشدها تطرفا ^(٢) . وما له مدلول ان الحركة القرمطية نشأت وظهرت في فترة من اشد الفترات خلطا واضطرابا على الفكر الاسلامي . فحركة الترجمة في كتب الفلاسفة اخذت في الازدياد والانتشار بين ظهراني المسلمين ونشأ من جراء ذلك محن ومصائب وانتشرت شبه الفلسفية - كما يقول العاملي - واخذت في الازدياد والانتشار في ايام ظهور القرامطة انتشارا هائلا لم يكن له مثيل ^(٣) .

كما يقول ابن تيمية عن هذه الفترة : ان الملاحدة من المتفلسفة وغيرهم حدثوا وانتشروا بعد انقراض العصور المفضلة - وصار كل زمان ومكان يضعف فيه نور الاسلام يظهر فيه . وكان من اسباب ظهورهم انهم ظنوا ان دين الاسلام ليس الا ما يقوله اولئك المبتدعون ورأوا ذلك فسادا في العقل فكان غلاتهم طاعنين في دين الاسلام بالكليسة - باليد واللسان - كالخرمية اتباع بابك الخرمي . وقرامطة البحرانيين اتباع ابي سعيد الجنابي ^(٤) .

(١) طائفة الاسماعيليين لمحمد حسين (ص ١٧٥-١٧٦) .

(٢) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر (ص ٢٣٩) .

(٣) الشيعة في التاريخ للعاملي (ص ٨٩) .

(٤) منهاج السنة لابن تيمية (١ : ٢٢٥-٢٢٦) .

ويقول المقرئى ايضا : ويتمريب المؤمن لكتب الفلسفة انتشرت
مذاهب الفلاسفة فى الناس واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية
والجهمية والمعتزلة والاشعرية والكرامية والخوارج والريافض والقرامطية
والباطنية حتى ملأت الارض وما منهم الا من نظر فى الفلسفة وسلك من
طرقها ما وقع عليه اختياره فانجر بذلك على الاسلام واسلمه من علوم الفلاسفة
مالا يوصف من البلاء والمحنة فى الدين .^(١)

(٣) ان العقائد الاسماعلية القرمطية تأثرت - الى حد ما - بالا فكار
اليهودية والمسيحية ، ولا ادل على ذلك من مؤلفاتهم فالسجستاني
- وهو من كبار علمائهم - اعترف بصلب المسيح وقال ان عيسى
عليه السلام اخبر عن امامهم القائم وانه يصتبر علامة ودليلا لعيسى
عليه السلام .

كما انه عقد مقارنة بين الشهادة (لا اله الا الله) وبين الصليب
واعتمد بالاتفاق بينهما وما قال : ان الشهادة اربع كلمات كذلك
الصليب له اربعة اطراف والشهادة مبنية على النفي والاثبات فلا يتبداء
بالنفي والانتفاء الى الاثبات وكذلك الصليب خشبتان خشبة ثابتة
لذاتها وخشبة اخرى ليس لها ثبات الا بثبات الاخرى^(٢) . . . الخ هذه
السخافات .

ونقل عن الداعي حميد الدين الكرمانى^(٣) انه استفاد كثيرا من
التوراة والانجيل واستشهد بنصوص منهما وفى بعض مؤلفاته : ان آيات
التوراة تشير الى امام الاسماعيليه^(٤) .

(١) الخطط للمقرئى (٢ : ٣٥٨) .

(٢) انظر الينابيع للسجستاني من (ص ١٤٦ - ١٤٩) .

(٣) احد الدعاة الكبار فى المذهب الاسماعيلي ومؤلف كتاب راحة
العقل الذى يعتبر من اصولهم المذهبية .

(٤) انظر طائفة الاسماعيليه لمحمد حسين (ص ١٧٦) ، اصول
الاسماعيليه لبرنارد لويس (ص ١٩٦) .

ويؤكد تامر ذلك بقوله : ان الاسماعيليه سلسلوا الامة تسلسلا منطقيا مرتكزا على النصوص التي وردت في التوراة والانجيل ^(١) .
ومن الجدير بالذكر اننا اذا نظرنا في كتب الاسماعيليه التي الفت قبل دور الاسماعيليه العبيديه في مصر نجد آراء ^(٢) هي من صميم العقيدة المسيحية بل صرح جعفر بن منصور اليعني في هذه من كتبه بان ترتيب الدعاة عند الاسماعيليه هو نفس ترتيب رجال الكنيسة النصرانية .

ولحاجة في نفوس بعض المستشرقين عقد المستشرق برنارد لويس فصلا خاصا في كتابه اصول الاسماعيليه بعنوان مذهب الشمول ففى العقيدة وما قال فيه : ان الاسماعيليين طوروا بعض افكار عيسوييه اصفهان - وهي فرقة يهودية - وانهم صاغوا هذه الافكار واوجدوا نظاما محكما اصبحت بموجبه الصحة النسبية لجميع الاديان محترقا بها مع الفناء التعصب الديني الفناء تاما .

وذكر لويس : ان الاسماعيليين درسوا كتب اليهود والنصارى وفسروها باساليب اسماعيلية ^(٣) وفي كتاب نقله الطبري وذكر ان احد القرامطة جاء به ونصه : بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج بن عثمان ^(٤) انه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة . وهو المهدي . وهو احمد بن

-
- (١) الامامة في الاسلام لعارف تامر (ص ١٤١) .
(٢) ومن الامثلة على ذلك قول الاسماعيليه ان الحجج اثنا عشر ولكل حجة داعية ولكل داعية يد ويسمون الحجة الاب والداعية الام واليد الابن يظاهرون قول النصارى في ثاثة ثلاثة . انظر الفرق للنويختي (ص ٨٥) اما النص الذي في صلب البحث فمرجه كتاب طائف الا اسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٧٦) .
(٣) اصول الاسماعيليه لبرنارد لويس (ص ١٩٤ - ١٩٦) .
(٤) احد رؤساء القرامطة المشهورين ويعرف بذكرويه بن مهرويه .

محمد بن الحنفية وهو جبريل وذكر ان المسيح تصور له في جسم انسان وقال له : انك الدامية وانك الحجة . . . وانك روح القدس وانك يحيى ابن زكريا . وذكر في هذا الكتاب ان القبلية التي هي بيت المقدس والحج اليه ^(١) واسلوب هذا الكتاب والفاظه واضحة فيه النخبة المستحقة في كتابات النصارى المقدسة . كما ان ما يدعو اليه هذا الكتاب من معاني وافكار يدل على ما اشرنا اليه سابقا من تأثير القرامطة والاسماعيليين بالنصرانية .

(٤) ان العقائد الاسماعيلية القرمطية مجموعة آراء مختلفة ومتباينة تطورت من بلد الى آخر ومن زمن الى زمن بحيث يصعب دراستها ومعرفتها فكانوا يقولون بآراء في بلد ويقولون بغيرها في بلد آخر او يأتون بنقيضها بعد فترة من الزمن ^(٢) .

والامثلة على هذه الحقيقة كثيرة تقتصر على بعضها :

ذكر الكرمانى ان العقل هو المعروف في الشريعة باسم القلم وفي موضع آخر من نفس الكتاب قال : ان المنبعث الاول الذي هو العقل المسمى بالقلم موجود ثانى وانه في الكمال كالاول ^(٣) . يقول محمد حسين - معلقا على هذا التناقض والاختلاف - فلا يستطيع ان اوفق بين الرأيين لرجل واحد في كتاب واحد ^(٤) .

ومن الامثلة تأويلهم لمعنى الشجرة الواردة في قوله تعالى : يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ^(٥) فهي عند المؤيد امام الزمان وعند حاتم

(١) تاريخ الام للطبرى (٨ : ٢٦١ - ٢٦٢) .

(٢) طائفة الاسماعيليين لمحمد حسين (ص ١٧٧) .

(٣) راحة العقل للكرمانى (ص ٢٩٨) .

(٤) ديوان المؤيد (ص ٩٦) .

(٥) سورة البقرة : ٣٥ .

ابن ابراهيم - احد دعاة اليمن - هاييل بن آدم . اما جعفر بن منصور فيقول كلمة الشجرة بابلوس . وهكذا يتضح لنا مدى التضارب في تأويلات الاسماعيلية واختلاف دعائهم فيها^(١) .

ولقد تنبه الشهرستاني الى هذا الاختلاف والتباين في عقائد الاسماعيليين والقرامطة وعبر عن ذلك بقوله : ولهم دعوة في كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان^(٢) .

ان هذه الحقائق الاربع تدل دلالة واضحة على فقدان الاصلية الفكرية للقرامطة كما تدل على عدم ثباتهم والتزامهم بمنهج واحد . ولا يخفى ما يترتب على هذين الاعتبارين من صعوبة الوصول الى صورة دقيقة وواضحة لمعتقدات القرامطة وافكارهم . وارجاع هذه المعتقدات والا افكار الى منابعها الاصلية واصحابها الحقيقيين .

(١) قرامطة العراق لعليان (ص ١٧٦ - ١٧٧) .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٩٢) .

الفصل الاول

اصول القرامطة التي انطلقوا منها

(أ) الامامة .

من الاصول التي قام عليها مذهب الشيعة فقيده الامامة حيث تعتبر من العقائد الاساسية التي استحدثوها بل تعد ركنا اساسيا تبني عليها الاراء والمعتقدات للتشيع على تعدد فرقته .

ويشير الشهرستاني رحمه الله الى الاختلافات التي وقعت حول قضية الامامة بقوله : ان اعظم خلاف وقع في الامة خلاف الامامة ان ماسئل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ماسئل على الامامة في كل زمان .^(١)

والشيعة بفرعيها الاسماعيلى والاثنى عشرى يفصرون بالامامة لعلى بن ابي طالب وتبقى سلسلة في ابناءه على التعيين واحدا بعد واحد .^(٢)

ويقولون : ان الامامة ليست قضية مصلحة تنال باختيار العامة وينتصب الامام بنصيبهم بل هي قضية اصولية وهى ركن الدين لا يجوز للرسل اغفالها واهمالها ولا تفويضها الى العامة وارسالها .^(٣)

كما انهم يقولون عن الامامة : انها نص من الله لا يجوز الاختيار من الامة وعلى ذلك فالاختيار مع النص يعتبر باطلا .^(٤)

وما تقدم من النصوص عن الامامة يعتبر متفقا عليه بين الشيعة الاسماعيلية والشيعة الاثنا عشرية .^(٥)

-
- (١) الطل والنحل للشهرستاني (٢٢ : ١) .
 - (٢) صبح الاعشى للقلقشندي (١١١ : ١ - ١٢٠) .
 - (٣) الطل والنحل للشهرستاني (١٤٦ : ١) .
 - (٤) تاج العقائد لابن الوليد (ص ٧٦) .
 - (٥) وقع الاختلاف بين الشيعة الاسماعيلية والاثنى عشرية بعد موت جعفر الصادق فالاثنا عشرية نقلوا الامامة الى موسى الكاظم والاسماعيلية نقلوها الى ابنه اسماعيل ومن ثم الى محمد بن اسماعيل حيث ابتدئ =

غير ان الاسماعيليه اشد غلوا وتطرفا في عقيدتهم عن الامامة والائمة وهذا هو موضوع هذا الفصل .

فالقرامطة - وهي احدى الفرق الشيعية الخلافة - آمنت بتسلسل الامامة في ابنا* علي بن ابي طالب حتى استقرت في الامام السابع محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ^(١) . ومن محمد بن اسماعيل انتقلت الامامة ^(٢) نصا في اعدائه .

ويذكر المقرئ ان عبدان حينما سأل عن امامه قال : محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان - كما ان حمدان قومه كان يدعو الى امامته بل ان حمدان خالف من انتسب الى الحركة ولم يؤمن بمحمد بن اسماعيل لان امامته اصل من اصول القرامطة التي اعتقدوها وسلسلوها في ابنائهم ^(٣) من بعده .

وعبر جعفر بن منصور عن عقيدة القرامطة والاسماعيلية واستمرارها في الاعداء بقوله : ان الامامة لا تتغير ابدا مع مرور الدهر فالائمة ينتقلون ويصيرون الى دار كرامته ومحل رضوانه بخيبة اشخاصهم وقيام الخلف منهم مقام السلف باتصال الامامة لانها تنتقل ولا تزول والائمة يتوارثون بالانتقال والاتصال خلفا عن سلف ^(٤) .

وحفاظا على عقيدة توارث الامامة واحقيتهم فيها فقد ابتدءوا ما يسمى بالامام المستودع ويعنون بذلك الشخص الذي يتولى الامامة مؤقتا

= منه بالائمة المستورين الذين كانوا يسرون في انبلاء سرا ويظهرون الدعاة جهرا انظر الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٦٨ - ١٩٢) .

(١) مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ١٠١) .

(٢) صبح الاعشى للقلقشندي (١ : ١١٩ - ١٢٠) .

(٣) انظر اتعاظ الحنفا للمقرئ (١ : ١٦٧ - ١٦٨) .

(٤) انظر قرامطة العراق (ص ١٨٠) نقلا من اسرار النطقا* نشر

ايفانوف بعنوان المنتخب من بعض كتب الاسماعيليه .

كأن يكون الامام المستقر صغيرا لا يستطيع القيام بمهام الامامة او يجب ان يكون مستورا لا يظهر الا للمقرئين اليه في بعض الظروف الاستثنائية كما انه لم يكن من حق الامام المستودع ان يورث الامامة لاحد فهي تنتقل من الاباء الى الابناء ولا يملك نقلها الا الامام المستقر . اما المستودع فتعتبر الامامة عنده وديعة لا بد ان يسلمها الى صاحبها الاصل^(١) .

ويوضح الداعي ابو الخطاب نموذجاً عطيا لهذه العقيدة بقوله فاودع اسماعيل حجة المنصوية بين يديه مقامة لولده محمد واقامه ستر عليه واستكلفه اياه الى بلوغه اشده فلما بلغ اشده تسلم وديعته^(٢) كما يقولون ان محمد بن الحنفية استودع الامامة بعد مقتل الحسين ثم سلمها الى علي بن الحسين الملقب بزين العابدين فتسلسلت في ابنائهم حتى اسماعيل بن جعفر الصادق الذي استودعها اخاه موسى ليسلمها الى ابنه محمد بن اسماعيل^(٣) .

اهمية الامامة :

ان الدارس لكتب الاسماعيلية يرى الاصرار العجيب حول معتقد الامامة وتضخيمها حتى تطفئ على جميع المعتقدات والاراء لديهم ويمبرون عن المقصود منها بقولهم : هي اعتقاد وصاية علي بن ابي طالب وامامة الائمة المنصوص عليهم من ذريته ووجوب طاعته وطاعة الائمة^(٤) . وتعتبر الامامة عندهم احد اركان الدين بل هي الايمان بعينه

-
- (١) انظر قرامطة العراق (ص ١٨١) .
 - (٢) غاية الموالي لا بهي الخطاب نشر ايفانوف بعنوان المنتخب من بعض كتب الاسماعيلية (ص ٣٥ - ٣٦) .
 - (٣) مخطوطة زهر المعاني للداعي عماد الدين ادريس (ص ٥٢) .
 - (٤) ديوان المؤيد لمحمد حسين (ص ٧٠) .

وعن ذلك يقول احد دعائهم : ان الامة احد اركان الدين ودعائه بل هي الايمان بعينه وهي افضل الدعائم واقواها لا يقوم الدين الا بها كما ان الدائرة التي تدور عليها الفرائض لا تصح الا بوجودها ^(١) . ويعبر آخر عن هذا المعنى بقوله : ان الامة تعتبر افضل دعائم الدين واقواها ولا يستقيم الدين الا بها فهي مركز تدور عليه دائرة الفرائض فلا يصح وجودها الا بوجوده وهي تستمر مدى الدهر وانه لو فقد الامام ساعة واحدة لماد الكون وتبدد ^(٢) فالامة هي قيادة العالم وحمل الحقيقة اليه ^(٣) .

ونتيجة لهذا الفلو في عقيدة الامة فقد بنوا على ذلك صحة الاعمال وقبولها ونصوصهم عن ذلك كثيرة تقتصر على بعض منها : يقول الداعي الشيرازي ان الله اوجب طهارة وصلاة وزكاة وصوما وحججا وجهادا وجعل ماسك الجميع ورابطه والمانع من اختلاله ولاية الوصي والائمة التي هي آخر فرض الدين واذا بطلت من الدين ولاية الوصي بطلت الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وفاد الدين جاهلية والولاية من الدين الممدة ^(٤) .

ويقول قاضي الاسماعيلية ابي حنيفة النعمان فان اطاع المرء الله ورسوله وصلى الامام او كذب به فهو آثم وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله ^(٥) .

ويقول في موضع آخر : ولا بد للمستجيب بحد الاقرار بانبياء الله ورسوله من معرفة امام زمانه وحجته ان كان قد نصبه او العلم ان لم

(١) المصابيح في اثبات الامة للكرمانى (ص ١٢) .

(٢) الامة لعارف تامر (ص ٦٥ - ٦٦) .

(٣) الحقائق الخفية لمحمد الاعظمى (ص ٢٥) .

(٤) ديوان المؤيد (ص ٧٠) .

(٥) المرجع السابق - نفس الصفحة .

ينصبه بانه لا بد من نصبه اياه ليكون الامر اليه من بعده والتوقيف على ذلك الى منتهى حده^(١).

والحقيقة ان هذه المعتقدات لم تكن نظرية فقط بل ان القرامطة طبقوها عمليا . يقول النيسابورى : انه لما فقد امام الاسماعيليين والقرامطة اجتمع سبعة نفر من وجوه القرامطة وقالوا قد فقدنا امامنا ولا صلاة لنا ولا صوم الا بامام ولا نعرف من نعطي زكاتنا ومن ثم فانهم اخذوا في البحث والتجوال حتى يعرفوا اين مكانه^(٢).

ومن غلو القرامطة والاسماعيلية في الامة اعتبارهم انها اعظم رتبة وافضل قدرا من النبوة والرسالة ومن النصوص التي تؤكد ذلك ما ذكره الداعي الحارثي بقوله : ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اجتمعت عنده النبوة والرسالة والوصية والامة فابنه اسماعيل سلمه رتبة الوصاية والامة باسم من الله تعالى ان هو مقام الهى وهيكلى نورانى . وسلم الى ولده اسحاق رتبة النبوة والرسالة وجعله خادما بين يدي اخيه اسماعيل وحجابا عليه وداعيا اليه لان اسماعيل واولاده مقامات الهيبة ذو هياكل نورانية انهم اهل الاستقرار واسحاق واولاده حجج ودعاة ظاهرة لاسماعيل واولاده وحجب عليهم^(٣).

عقيدتهم في الائمة :

ان عقائد الاسماعيليين تحمل في الائمة غلوا وتطرفا شديداً ولنبدأ بنظرتهم للامام على بن ابي طالب رضى الله عنه حيث اعتبروا ولايته اساسا لقبول الاعمال والطاعات . وعبر عن هذه العقيدة

-
- (١) تأويل الداعى للقاضى النعمان (١٠٢ : ١) .
 (٢) استتار الامام للنيسابورى (ص ٩١) .
 (٣) الانوار اللطيفة للحارثي (ص ١٢٢) من الحقائق الخفية للاعظمى .

جعفر بن منصور بقوله : ان الله لا يقبل توبة نبي ولا اصطفاه وصى ولا امامة
ولى ولا عمل طاعة من عامل ولو تقطع بالعبادة واجتهد الا يولا يـــــــ
على بن ابي طالب ومن اتى بغير ولايته اسقطت نبوته ووصايته وصالح عمله
ولم يقبل الله منه ولا زكى عمله لانه مجمع الانبياء والا ولىا والائمة
من اول الادوار الى قيامه .^(١)

كما عبر مرة اخرى عن عمق هذه العقيدة لديهم قائلاً : لا دين
الا بطاعة على وولايته ولا نعمة تامة الا مودته ومحبه ولا قبل للامـــــــة
فرض ولا سنة ولا عمل مفترض الا بطاعة زوج البتول وموالاته ومحبه والائمة
من ولده يرثون مقامه وفضله .^(٢)

ويعتقد الاسماعيليه ان لكل نبي وصى يكل اليه امر المؤمنين
وان الله تعالى امر نبيه ان يبلغ وصاية على الى الناس . ولذا فان
الوصاية خاصة بعلى بن ابي طالب دون سائر ذريته ومقامها ماى الوصاية
فوق الامامة . يقول المؤيد : ان الامامة فى الرتبة دون الوصاية . كما^(٣)
يمتقدون بان على بن ابي طالب ند ونظير للقرآن ومن الملاحظاتهم عليه
قولهم انه الكتاب الناطق وان القرآن هو الكتاب الصامت^(٤) وقولهم
ان منزلة على بن ابي طالب من النبي كمنزلة اللوح المحفوظ من القلم^(٥)
فى عالم الامر .

اما اسماعيل بن جعفر الصادق الامام السادس من ائمتهم
فيقول لويس عنه : انه يعتبر فى المصادر الاسماعيليه ذل منزلة
توشك ان تجعله الها ومن ارباب الاطلاق .^(٦)

-
- (١) المرجع السابق (ص ١٢٦) .
 - (٢) ديوان المؤيد لمحمد حسين (ص ٧٠) .
 - (٣) انظر المرجع السابق (ص ٧٢- ٧٣) .
 - (٤) المجالس المؤيدية للشيرازى (ص ٢٢٢) .
 - (٥) المجالس المؤيدية للشيرازى (ص ١٥٩) .
 - (٦) اصول الاسماعيليه (ص ١٠٧) .

اما عقيدتهم في محمد بن اسماعيل بن جعفر امام القرامطة
الاول^(١) فتتمثل بالاتي :

- (١) انه رسول وصاحب شريعة جديدة .
- (٢) انه ناسخ لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .
- (٣) انه يماثل الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم .
- (٤) انه يعتبر حسب الفاظهم وتقسيماتهم ناطقا سايحا فالنطقاء سبعة اولهم آدم ثم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وسابعهم محمد بن اسماعيل .

ان هذه العقيدة ليست افتاءات ولا افتراء عليهم فالقول الفصل في صدق ذلك ماسطرته كتاباتهم السرية ونطقت به افواه ائمتهم .

يقول الداقي طاهر الحارثي : ان محمد بن اسماعيل يعتبر متما للدور وخاتما للرسل المنتهية اليه غاية الشرائع المختومة به المشتل على مراتب حدودها المحيط بعلومهم وهو القائم بالقوة صاحب الكشف الاولي قائم القيامة الكبرى^(٢) .

ويقولون : ان النطقاء سبعة اولهم آدم والثاني نوح والثالث ابراهيم والرابع موسى والخامس عيسى والسادس محمد صلى الله عليه وسلم والسابع محمد بن اسماعيل^(٣) .

كما يقولون ايضا ان قيام محمد بن اسماعيل يعتبر تمام دور الستر واعتقاد دور الكشف ونسخ شريعة الرسول السادس^(٤) .

وبذلك عبر المعز في دعا من ادعيته قائلا وعلى القائم بالحق

- (١) اتعاظ الحنفا للمقریزی (١ : ١٦٨) .
- (٢) الحقائق الخفية للاعظمي (ص ١٢٩) نقلا من كتاب الانوار اللطيفة .
- (٣) المرجع السابق (ص ١٣٠) .
- (٤) يلاحظ ان المقصود بالرسول السادس محمد صلى الله عليه وسلم وذلك حسب تقسيماتهم .

الناطق بالصدق التاسع من جده الثامن من ابيه الكوثر السابع من آباءه
الائمة سابع الرسل من آدم وسابع الاوصياء من شيث وسابع الائمة من
البرره الى قوله الذى شرفته وعظمته وكرمه وسمت به فالسم
الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كل ذلك
بالقوة لا بالفعل لكونه قائما بالقوة .^(١)

ومع ضلال علماء الشيعة الاثنى عشرية فقد ذكروا عن الاسماعيليين
هذا الغلو والتلرف في معتقدهم بمحمد بن اسماعيل . يقول القمى
ان الاسماعيليين زعموا ان محمد بن اسماعيل حى لم يموت وأنه غائب مستتر فى
بلاد الروم وأنه القائم المهدى - ثم يفسر معنى القائم عندهم بقوله : انه
الذى يبعث برسالة وشريعة جديدة وينسخ بها شريعة محمد وان امامهم
محمد بن اسماعيل من اولى العزم .^(٢)

اما مزاعم الاسماعيليين من اوصاف ائمتهم وما ينبغي ان يذكروا به
فاكثر من ان تحصر وسأقتصر على بعض النصوص الملائمة للبحث العلمى
حيث الفحش فى الالفاظ عندهم كما انى اشارك الامام الخزالى رحمه
الله فى اهمال الكثير من هذه الالفاظ ضنة بالبياض ان يسود بها .^(٣)

من هذه المزاعم اعتقادهم العصمة فى الائمة وان الامام يساوى
النبي فى ذلك يقول الشيرازى : ان الامام يساوى النبي فى العصمة
والاطلاع على حقائق الخلق فى كل الامور الا انه لا ينزل عليه الوحي
وانما يتلقى ذلك من النبي لانه غليفته وبازاء منزلته ولا يحصم غيره من
الخلق حتى الانبياء انفسهم .^(٤)

(١) الحقائق الخفية للاعظمى (ص ١٣٠) ، نقلا من كتاب الانوار اللطيفة
للداعى طاهر الحارثى .

(٢) المقالات والفرق للقمى (ص ٨٤) .

(٣) فضائح الباطنية للخزالى (ص ٤٤) .

(٤) قرامطة العراق لعليان (ص ١٧٨) .

ومما قال احد شعرائهم :

ان الامام قائما بالحكمة بين الورى مليدا بالعصمة
وكما يفعله صواب لا شك فى ذاك ولا ارتياب

ومن منطلق العصمة للامام قال الاسماعيليه لا بد للامام ان يكون كاملا فى قبول الفيض السارى فى عالم الطبيعة من جهة الملائكة المقربين ليهيمن عليهم ويرقى بجملة اليهم فاجب الله طاعته ومعيته ليصبروا بذلك من جملة ويفلسفون ذلك بان التوحيد ومعرفة الحدود امر صعب وان جميع العباد لا يصلون الى هذه الدرجة التى يصل اليها الامام فاحتاجوا الى واسطة بينهم وبين الله وهذه الواسطة هو الامام^(٢).

ومن مزاميرهم ان الائمة يعلمون الغيب وقد تناظر رجالان فى حكم المعز العبيدى فقال احدهما ان الامام يعلم الغيب وقال الاخر لا يعلم الغيب فرفع حالهما الى امامهم المعز فقال لهم ان الغيب طى ثلاث حدود فوجه استأثر الله به عباده ووجه آخر ما يحتاج اليه فى الشريعة ووجه ثالث مخزون لصاحب القيامة وهو الامام القائم يحلم من تقدم ما يكون منه ولو شاء امامك ان يتلو عليك ذلك لفعل^(٣).

ومما قالوا : ان الامام بما اوتيه من معرفة غارقة للمادة يستطيع ان يعرف اى ابناؤه قد نال الامامة بالنص . كما قالوا : ان الامام لا يخطئ^(٤) فى معرفته هذه بحال من الاحوال والا لماعد اماما^(٥).

كما ان الامام عند الاسماعيليه يوصف بانه بيت الله الذى اودعه اسرار دينه كما يودع المودع انفس ذخيره فى بيته وبمذهبه الصفوة مدح المؤيد امامه بقوله :

-
- (١) القصيدة الصورية (ص ٦٥) .
(٢) انظر الرياض للكرمانى (ص ٢٢٩) .
(٣) مخطوطة الرسالة المذهبية للنعمان (ورقة ٨٥ - ٨٦) .
(٤) الامامة لعارف تامر (ص ٦٥) .

(١) هو البيت بيت لاله مقدس وسيف لهمم الكفر والشرك فاصل
 ويعتقدون ان آيات الله الواردة في القرآن انما المراد منها هو
 الامام فهم يؤولون الايات حسب امزجتهم واهواءهم التي تتلاءم مع
 معتقداتهم ففي قوله تعالى " والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها " ~~فمنهم~~
 اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ^(٢) يزعمون ان المراد بآيات الله
 هم الائمة المترجمون عنها والقادحون انوار الملكوت منها فهم لهم بمنزلة
 الارواح من الاجساد والايات هي الاعلام فكفى بالائمة اعلاما للنجاة وادلة
 على تحقيق الحياة . وما قال احد دعائهم في وصف الائمة ~~فمنهم~~
 ابيات طويلة :

وآيات دين الله تزهركلها بنور تراه ساطعا ان تأملتها ^(٣)
 ويقولون من الصراط المستقيم الذي ذكره الله في مواضع متعددة من
 القرآن ان المراد به امام الزمان وما قال صاحب عيون المعارف : واعلم
 ان الصراط على الحقيقة هو معرفة الامام الكريم ان هو الصراط المستقيم
 وهو الصراط المنصوب بين الجنة والجحيم . ^(٤)

وقال المؤيد في مجالسه : ان مجموع النبي والوصي يكون الصراط
 المستقيم وانه انتظام مرتبة الامامة في ذريتهما واحدا بحد واحد الى يوم
 القيامة فيكون المنتظم في سلوكهم على الصراط المستقيم وهو المؤيد عن
 ذلك بعدد من قصائده منها قوله :

هم امان من العمى وصراط مستقيم لنا والى وظليل ^(٥)
 وقد اخترع الاسماعيلية اسما للائمة يبنون عليها بعض المعتقدات

-
- (١) ديوان المؤيد (ص ٨٤) .
 (٢) سورة الاعراف : ٣٦ .
 (٣) ديوان المؤيد (ص ٨٥ - ٨٦) .
 (٤) المرجع السابق (ص ٨٦) نقلا من عيون المعارف (ص ٤٨١) .
 (٥) المرجع السابق (ص ٨٧) .

وذلك كالامام الناطق والامام الصامت ومن ذلك يقول صاحب الفترات
والقرانات : ان كل دور من ادوار الانبياء لا يكمل الا باثنين ناطق
وهو النبي وصامت وهو الوحي ^(١) . ومن اوصاف الناطق انه يأتي لينسخ
شريعة ما قبله باظهار شريعة جديدة . اما الصامت فيأتي لنسخ
التأويل الذي قبله ويبنون على هذه التقسيمات ان شريعة الله نزلت
مجملة وغير مفسره والرسول الذي يعبرون عنه بالناطق يفسرها
وقسمها ظاهريا ولكنه عند بتقسيمها وتفصيلها باطنيا الى الصامت ^(٢) .
ولا يتخرج الاسماعيلية بوصف امامهم بصفات الانبياء حيث يقولون
عنه : انه خليل الله وكليم الله وانه المسيح الذي يحيى الموتى الى
غير ذلك من خصائص الانبياء . وما قال المؤيد في مدح احد الائمة :
يا مسيحا يكلم الناس طفلا
لست دون المسيح سماه ربا
ضل في شأنه اغوال لب لبنا
اهل شرك ولا نسميك ربا ^(٣)

لم يكتف الاسماعيلية والقرامطة بتنزيه ائمتهم من الزل والخطأ
ومساواتهم بالانبياء بل خلعوا عليهم من الصفات الالهية ما جعلهم
لا يمتنون الى البشرية بصلة فرموا الى الامام في تأويلاتهم الباطنية
بانه هو وجه الله ويد الله وعين الله وغير ذلك من الصفات ولهم ادلة
يسوقونها لكل صفة من تلك الصفات ^(٤) .

يقول صاحب سرائر النطقاء : فعلى روح الله القدسية التي
اخضع لها كل المخلوقات وجعله السبب الى توحيده والدليل التي
وجوده ان نعته الله بصفته فهو جنب الله وعينه واذنه ووجهه ويده

(١) ديوان المؤيد (ص ٧٣) نقلا من كتاب الفترات والقرانات
(ص ٥٤ - ٥٥) .

(٢) اثبات النبوات للسجستاني (ص ١٩١ - ١٩٢) .

(٣) ديوان المؤيد القصيدة الخامسة عشر (ص ٢٤١) .

(٤) انظر قرامطة العراق لعليان (ص ١٧٨ - ١٧٩) .

(١)

لتأنس الخلائق الى معرفة توحيده باقامة حدوده .

وقد اكد المؤيد في عدد من قصائده على هذه الصفات وما قال
يخاطب احد الائمة :

فوجهك وجه الاله المنير	ونورك من نوره كالجباب
يداك يد الله مبسوطتان	وانت له الجنب غير ارتياب
وانك برهانه في الانعام	وانك معصاه في النصاب

ويقول ايضا :

شهدت بانك وجه الاله	وجوه الموالى به ناضرة
ويقول ايضا :	

هو الوجه وجه الله والجنب جنبه

من الوحي قد قامت عليه الدلائل

ويقول ايضا :

(٢) قد حله وجه الاله وجنبه ولسان صدق محمد وجنانه

ويعتقدون ان الامام مخلوق من نور الله وان جسمه اشرف الاجسام
ويمثل جسم الامام رتبة العقل بالنسبة لاجسام البشر . وما قال المؤيد في
هذا المعنى :

من نور ربى خلقوا	طابوا وطاب الخلق
------------------	------------------

كما قال في موضع آخر :

ذو نسبة بالمصطفى	والمرتضى يسمو ويعلو
بكثيفه ولطيفه	فاساسه نفس وفقـل ^(٣)

ويذكر بعض عبید هؤلاء الائمة ان لا عمتهم فراشات صادقة

(١) ديوان المؤيد (ص ٨٢) .

(٢) ديوان المؤيد (ص ٢٣١، ٢٨٦، ٣١٢، ٢٧٢) .

(٣) ديوان المؤيد القصيدة رقم (٢٥) (ص ٢٦٤) ، البيتين في (ص ٨٨) .

واختبارات حقيقية وانهم ينظرون بنور الله عز وجل في جميع امورهم .^(١)
 ان دلة القرامطة والاسماعيلية ادعوا لاعتهم كل دعوى ولكنهم
 حاولوا كتم هذه الدعاوى باستخدام الرموز والاساليب الباطنية .
 اما شعراء العبيد بين فانهم كفروا والحدوا صراحة فيها هو الحسن
 ابن هاني * يقول مخاطبا الممزر :

ما شئت لا ماشاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار^(٢)

وقد حاول بعض دعاة الاسماعيلية الاعتذار عن هذا الكفر الصريح
 بقوله : ان القدماء فهموا من هذا البيت وامثاله ان الائمة كانوا يدعون
 الالهية . والواقع انهم لم يدعوها ولم يتخذهم اتباعهم آلهة لهم . ولكن
 الفاطميين قالوا بان الائمة مثل للعقل الاول فهم اي الائمة - على
 هذا النحو اقرب الحدود الى الله تعالى في عالم الكون والفساد كما
 ان العقل الاول اقرب الحدود الطوية الى الله تعالى .^(٣)

والواقع اننا اذا حللنا مرادهم بالعقل الاول اتضح لنا ما يعتذرون
 منه ويفرون عنه وهي دعوى الالهية . فالعقل الاول له اسماء متعددة
 عندهم فيطلقون عليه احيانا السابق وحيانا القلم ويصفون هذا العقل
 بانه تام وكامل وازلي وعاقل وعالم .^(٤) واذا تتبعنا هذه الاسماء وتلك
 الصفات في كتب دعائهم وجدنا انهم يعتبرونها اسماء او اوصافا لله
 عز وجل . ففي رسالة مطالع الشمس : قولهم عن الله : انه العقل
 المفضل والسابق التام وان الله لما اظهر العالم من الصدم السي
 الوجود ظهر له اسم ليس كمثله شيء . وهو العقل الاول .^(٥)

(١) سيرة جودر لمنصور الجودري (ص ٣٤) .

(٢) ديوان ابن هاني * (ص ١٤٦) .

(٣) ديوان المؤيد (ص ٩٨) .

(٤) راحة العقل للكرمانى (ص ٣٠١) .

(٥) رسالة مطالع الشمس للداعي ابي فراس ضمن اربع رسائل اسماعيلية

(ص ٣٥ - ٣٦) .

وفي موضع آخر يقولون ان اسما الله الحسنى هي اسما العقل
الكلى او السابق فهي تنطبق اذن على الناطق او الامام^(١) .

وكما نقل عن الداعي شهاب الدين قوله : واعلم ان الامام الوجود
للانام لا يخلو منه مكان ولا يجره مكان لانه الهى الذات سرمدى الحياة
ولولم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق الى معرفته وصول
فهو شمس فك الدين وآية الله فى السموات والارض وبه صلاح العالم
باسره كما ان الشمس هي الباعثة فى العالم روح الحياة وهو قلب هذا
العالم الكبير ومديره وممده فبمعرفته وطاعته والتخلق من مده صلاح
المؤمنين وهو فرد الحقيقة ومزبب الدوام وموجد النلام . . الخ^(٢)

اذن فهذا الاعتذار الذى اورده بعضهم - فرارا من دعوى
ائمهم للالوهية - باطل والخلاصة فان عقيدة الاسماعيلية والقرامطة تدور
كلها حول الاعتقاد بالامام والاخذ عنه ان هو المحور الاساسى عندهم
لجميع الاعمال والاعتقادات ويقول الشيرازى : ان من تعلق باذيال الائمة
وضحت له معالم التوحيد سليمة من التشبيه والتعطيل ومن تخلف عنهم
غرق فى طوفان الضلال والتعطيل . ومن سقط عن ولايتهم سقط عن
توحيد ربه وكان ممن ران الشيطان على قلبه فمقامات الوصى والائمة
الاشهاد مصحة للتوحيد وعد للمعاد ولو كان يقع الضنى عنهم فى
هذا العلم الذى هو المنتهى . والقطب الذى تدور عليه الرحا لكان
الغنى عنهم فى الفروع التى هي محمولة عليه واكثر واغنى واوفر فاهل
النفاق الذين لم يلونوا بالوصى والائمة فى اقتباس انوار التوحيد منهم
ولم يعتصموا بعلائق اليقين فى الاخذ عنهم يخادعون الله والذين آمنوا
تحلية لظاهر اجسامهم بحلية الدين وتخلية لباطن نفوسهم عن

(١) ديوان المؤيد (ص ٩٨) .

(٢) رسالة مطالع الشمس للداعي ابى فراس ضمن اربع رسائل اسماعيلية

(ص ٣٣) .

ان يردوا بها عين اليقين فهم من حيث ظاهرا سلامهم مشهورون ومن
جهة الايمان متكورون يخادعون الله والذين آمنوا يملأهم عن ملالهم
الائمة فهم مأمونون وتبرجهم بزينة البصراء وهم عمون .^(١)

وقبل النهاية من بيان معتقدات القرامطة والاسماعيلية من الامامة
لا بد من الاشارة الى بعض زعمهم - التي سبق ذكرها مرثا فـ
الباب الثاني - عن الائمة وحججهم ومن هذه المزام :

(١) ان الامام ينزل عليه طعام اهل الجنة وكان حمدان قورمط
يصنع طعاما حلوا لذيذا على قدر البندق ويقدمه لاتباعه
- اذا ادوا اليه سبعة دنانير - زاعما ان ذلك طعام اهل الجنة
وانه نزل على الامام من ولد على بن ابي طالب .^(٢)

(٢) ان الامام يملك نواصي الامور ويتضح هذا الزعم منسند القرامطة
ودعاة الاسماعيلية من المحاوراة التي وقعت بين العسكـ
ر حمدان قورمط حينما التقيا بسواد الكوفة .^(٣)

(٣) السجود لائمهم وزعمائهم عند رؤيتهم وهذه التلازمة مـ
تكررت لديهم ونقلها جمع من المؤرخين فحينما ظهر زكرويه بسـ
مهوريه من مخبأه ترجل له اتباعه والصقوا غدودهم بالارض ولافوا
به وفي لحظة رؤياه سجدوا له .^(٤)

كما ان القاضي النعمان ذكر مسألة السجود للائمة مدافعا عنها
بقوله : فالرعاع واوباش الناس والعوام ينكرون السجود للائمة ويرونـ

-
- (١) المجالس المؤيدية للشيرازي (ص ٣٤٦) .
(٢) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ١٥٦) ، نهاية الارب للنويري
(٢٣ : ورقة ٥٦) .
(٣) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥١) .
(٤) تاريخ اختيار القرامطة لابن سنان (ص ٣٠) ، اتعاظ الحنفا
للمقريزي (١ : ١٧٧) .

سجوداً من دون الله تعالى الله عن قولهم ونزه اوليائهم من افتراءهم عليهم
وبين ان هذا السجود هو نوع من تقبيل الارض بين يدي الائمة بدلا من
تقبيل ايديهم وليس المقصود به السجود لهم من دون الله .^(١)

ويصف المؤيد لحظة دخوله على امامه المستصير بقوله : فلم
تقع عيني عليه الا وقد اخذتني الروعة وغلبتني الصبرة وتمثل في نفسي
انني بين يدي رسول الله وامير المؤمنين ماثل وبوجهي الى وجهيهما
مقابل واجتهدت عند وقوفي الى الارض ساجدا لولي السجود ومستحقه
الى ان قال ولما رفعت رأسي من السجود وجمعت طي اشوابي
للقعود مكثت عنده ساعة لا ينبعث لساني بنطق ولا يهتدي لقول .^(٢)

(٤) استباحة دم الخارج على الامام واعتباره كافرا وسبق ان مرينا من
الاحداث في الباب الثاني ما يدل على ذلك .

فبعد ان قتل بحجة انه خارج على الامام وعاصى لامره .^(٣) كما
ان الابن - وهو على مذهب القرامطة - اراد قتل امه لانها لم تمتشق
مذهبه واعتبرها كافرة وما قال لها : يا اماء اتركي هذا انديين
(الاسلام) وادخلي مضي في هذه الدعوة والدين مانحن فيه اليوم . وما^(٤)
كتبه الحسين بن زكرويه الى احد عماله قائلا اما بعد : فقد انهى
الينا ما حدث قبلك من اخبار اعداء الله الكفرة وما فعلوا بنا حيثك من
الظلم والحبس والفساد في الارض .^(٥)

وبعد النقل مما تفوه به دعاة القرامطة والاسماهيلية عن الامامة

(١) الهمة في اتباع آداب الائمة (ص ١٠٥) .

(٢) السيرة المؤيدية (ص ٨٥) .

(٣) استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٦ - ٩٧) ، اتعاظ الحنفا
١ : ١٦٨ .

(٤) تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ٢١) .

(٥) اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ١٧٤) .

ومعتقداتهم عنها ننتقل الى ماسطره لنا علماء السنة والجماعة حيث
الالفاظ المبهذية والاحكام الواقعية والعدل والانصاف ولا غرابة في ذلك
فهم اولى من يلتزم بقوله تعالى " واذا قلتم فاعدلوا ^(١) " وقوله تعالى
" واذا حكمت بين الناس ان تحكموا بالعدل ^(٢) " .

ولذا فانهم حينما نقلوا عن القرامطة معتقداتهم من الامامة
ذكروا ما يمكن ذكره عنهم وابتمدوا من نقل الالفاظ الكفرية والمباريات
الهائمة التي لانصيب لها من العلم ^(٣) .

وهذه عباراتهم التي اطلقوها وحكموا بها على القرامطة
والاسماعيلية نستعرضها قولا بعد آخر .

يقول ابن الجوزي : ان الطريق الذي سلكوه هو اختيار رجل
يزعم انه من اهل البيت يجب على كل الخلق كافة متابعتة ويتعين عليهم
طاعته ويكون هذا الامام معصوما من الخطأ والزلل من جهة الله تعالى ^(٤) .
ويقول في موضع آخر : انهم اتفقوا على انه لا بد لكل عصر من امام
معصوم قائم بالحق يرجع اليه في تأويل الظواهر مساو للنبي طيه الصلاة
والسلام في العصمة ^(٥) .

اما الشهرستاني فيقول انهم قالوا : لن تخلصوا الا ارض قط من امام
حي قائم اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور فاذا كان الامام ظاهرا
جاز ان يكون حجة مستورا واذا كان الامام مستورا فلا بد ان يكون حجة
ودعاه ظاهرين . وقالوا : ان الائمة تدور احكامهم على سبعة سبعة

(١) سورة الانعام : ١٥٢ .

(٢) سورة النساء : ٥٨ .

(٣) ومن ذلك وعلى سبيل المثال اعتقادهم بان محمد بن اسماعيل
ند ونظير للانبياء والرسل وانه ناسخ لشريعة الرسول صلى الله
عليه وسلم وكذلك وصف ائمتهم بالصفات الالهية مما سبق ان ذكرناه
بعباراتهم والفاظهم .

(٤) تلييس ايليس لابن الجوزي (ص ١٠٦) .

(٥) المرجع السابق (ص ١٠٨) .

كأيام الاسبوع والسموات السبع والكواكب السبعة ومن مذهبيهم ان مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية^(١).

ويقول الخزالي : ان الاسماعيلية اتفقوا على ان الامام يساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقائق الحق في كل الامور^(٢).

ويذكر المظني تفصيلات اكثر عن عقيدة الاسماعيلية والقراطة في الائمة قائلا : انهم يقولون عن ائمتهم انهم يعلمون الغيب ويقدررون على كل شئ ولا يعجزهم شئ ويقهرون ولا يقهرون ويعلمون ولا يعلمون ولهم علامات ومعجزات وامارات ومقدمات قبل مجيئهم وظهورهم وبعد ظهورهم يعرفون بها وهم مباينون لسائر الناس في صورهم واطباعهم واخلاقهم واعمالهم^(٣).

ويقول الاسفرائيني : انهم يزعمون ان الائمة صارت من جعفر الى ابنه اسماعيل وكذبهم في هذه المقالة جميع اهل التواريخ لما صح عندهم من موت اسماعيل قبل ابيه جعفر وقوم من هذه الطائفة يقولون بامامة محمد بن اسماعيل وهذا مذهب الاسماعيلية من الباطنية^(٤).

اما ابو الحسن الاشعري فيقول : انهم يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بن ابي طالب وان عليا نص على امانة ابنه الحسن وهكذا كل امام ينص على من بعده الى محمد بن اسماعيل . ولكن الاشعري ذكر بعد ذلك رأيا ضعيفا لبعض الشيعة وهو ان الشيعة الاسماعيلية يقولون عن محمد بن اسماعيل انه حي الى اليوم لم يموت ولا يموت حتى يملك الارض وانه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به . لكن الاشعري

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ٩٢) .

(٢) فضائح الباطنية للخزالي (ص ٤٢) .

(٣) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع للمظني (ص ٢٠) .

(٤) التبصير في الدين للاسفرائيني (ص ٢٣) .

نقض هذا الرأي بقوله ان فرقة من الرافضة خالفت هذا الزعم فقالوا
بموت محمد بن اسماعيل وان الامة انتقلت الى ولده من بعده .^(١)

ويذكر الحميري^(٢) ايضا زعم الاسماعيليه بعدم موت الامام حتى
يملك الارض الا انه يقول ان المراد بذلك اسماعيل بن جعفر - وليس
محمد بن اسماعيل ويذكر ان الاسماعيليه احتجوا بقول جعفر : ما كان
الله ليبدوا له على في امامة اسماعيل .^(٣)

ناقش علماء السنة والجماعة معتقدات القرامطة هذه وبينوا ما فيها
من ضلال وانحراف مع العلم انهم (اى القرامطة) ليست لديهم
ارضية ثابتة للمناقشة .

يقول ابن الجوزي : ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم
مناظرة وانما اخترعوا بواقعا بهم ما ارادوا .

ويقول الشهرستاني : وكما قد ناظرت القوم على بعض مقدماتهم
فلم يتخطوا عن قولهم افحتاج اليك ؟ او نسمع هذا منك ؟ او نتعلم
منك ؟^(٤)

ويقول ابن تيمية عن الشيعة عموما : انهم من اكذب الناس فى
النقلات ومن اجهل الناس فى العقليات يصدقون من المنقول بما يعلم

(١) انظر مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ١٠١) .

(٢) انظر الحور العين لنشوان الحميري (ص ١٦٩) .

(٣) ان الزعم بعدم موت الامام سواء اسماعيل بن جعفر او ابنه
محمد وانه حي ولا يموت حتى يملك الارض زعم ضعيف من
الاسماعيليه ومن المعروف ان هذه العقيدة عند قريظة هم الشيعة
الاثنا عشرية حيث يقولون عن امامهم الثانى عشر انه الامام المنتظر
وهو مقيم بسر من رأى وانه حي الى اليوم . انظر الملل والنحل
للشهرستاني (١ : ١٦٩) .

(٤) تلبس ابليس لابن الجوزي (ص ١٠٨) .

العلماء بالاضطرار انه من الباطيل ويكذبون بالمعلوم من الاضطرار المتواتر اعظم تواتر في الامة جيلا بعد جيل .^(١)

ومع ذلك كله فقد تصدى علماء السنة والجماعة لهم وردوا عليهم وبينوا ما في اعتقادهم هذا من زيغ والحاد وضلال .

(١) وعن وجوب الامامة واعتبارها احد اركان الدين او اعتبارها

الايمان بعينه بين ابن تيمية رحمه الله ما في هذا القول من الفساد والضلال في معرض رده على الشيعة الاثنا عشرية^(٢)

قائلا : ان الاعتقاد بان مسألة الامامة اهم المطالب كـذب بالاجماع ان الايمان اهم فمن المعلوم بالضرورة ان الكفار على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اذا اسلموا اجرو عليهم احكام الاسلام ولم تذكر لهم الامامة بحال فكيف تكون اهم المطالب ام كيف يكون الايمان بامامة المنتظر اهم من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه .

ومن المتواتر ان الكفار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا اسلموا اجرو عليهم احكام الاسلام ولم يذكر لهم الامامة بحال ولا نقل هذا عن الرسول احد من اهل العلم لا نقلا خاصا ولا عاما بل نحن نعلم بالاضطرار ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يذكر للناس اذا ارادوا الدخول في دينه الامامة لا مطلقا ولا معينيا فكيف تكون اهم المطالب في احكام الدين .

وايضا فمن المعلوم ان اشرف مسائل المسلمين واهم المطالب في الدين ينبغي ان يكون ذكرها في كتاب الله اعظم من غيرها وبيان الرسول لها اولى من بيان غيرها والقرآن مطوع بذكر توحيد الله

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٤ : ١) .

(٢) هذا الاعتقاد عن الامامة ما اتفق عليه الشيعة الاثنا عشرية والاثنا عشرية .

تعالى وذكر اسمائه وصفاته وآياته وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقصص
والاسر والنهي والحدود والفرائض بخلاف الامامة فكيف يكون القرآن مملوًا
بغير الاله والاشرف .

اما القول بان الامامة احد اركان الايمان فهذا جهل وبهتان
فان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الايمان وشعبه ولم يذكر الامامة فسي
اركانه ولا جاء ذلك في القرآن بل قال تعالى " انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى
رئيسهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون
حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم " (١) وقال تعالى : " انما
المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون " (٢) وقال تعالى : " ليس
البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الوقاب واقام الصلاة
وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء
والضراء وهين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون " (٣) . الى
غير ذلك من الايات ولم يذكر الامامة ولا انها من اركان الاسلام . هذا
مع العلم انهم حينما يقولون عن الامامة انها اهم المطالب يقصدون بذلك
امامة ائمتهم فقط مع التشعب والاختلاف فى هؤلاء الائمة . وبناء على
هذا فكل فريق يدعى ان معرفة امامه هو اصل قبول الاعمال وهذا من
سخيف القول وهذا يانه ورأى الشيعة الاسماعيلية او الاثنا عشرية فسي
الامامة فيه تكليف مالا يطاق فمن المعروف انه مضى فترة طويلة تعسر

(١) سورة الانفال : ٢ - ٣ - ٤ .

(٢) سورة الحجرات : ١٥ .

(٣) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٤) منهاج السنة النبوية يتصرف (١ : ٤٨ - ٦٤) .

بدور الستر كان ائمة الاسماعيلية غير معروفين لدى الكثير من اتباعهم القرامطة فيلزمهم في هذه الفترة ان تكون اعمالهم واقوالهم وجميع مورهم باطلة لان الامام غير معروف وهم يقولون ان معرفة الامام والايمان به اصل قبول الاعمال .

فهم بهذا علقوا نجاة الخلق وسعادتهم وطاعتهم لله ورسوله بشرط تمتع لا يقدر عليه الناس بل ولا يقدر عليه احد منهم .

فعلم بذلك ان قولهم في الامامة لا ينال به الا ما يورث الخسرة والندامة وان ذلك اذا كان اعظم مطالب الدين فهم ابعد الناس عن الحق والهدى وان لم يكن كذلك ظهر بطلان ما ادعوه فثبت ان قولهم باطل على التقديرين .^(١)

(٢) الامر الثاني الذي ناقشهم عليه علماء السنة ادعاهم بان الامامة لعلى بن ابي طالب وتبقى سلسلة في ابناءه على التحيين واحدا بعد آخر .

وقبل مناقشة هذا المعتقد لدى الاسماعيلية لا بد من الاشارة الى ان تشيع الاسماعيلية والقرامطة لآل البيت ليس حبا واكراما لهم وانما هو ذريعة ديروها لبلوغ اهدافهم الخبيثة التي يبطنونها .

ويقول ابن تيمية : ان من وصاياهم الدخول على طامة المسلمين وجها لهم من باب التشيع لآل البيت ويعتبر ابن تيمية تظاهروهم بالتشيع وموالاة آل البيت مع ابطانهم خلافه يشكل خطرا وضررا على المسلمين اشد من ضرر اليهود والنصارى .^(٢)

كيف لا وقد اكدت المصادر الشيعية نفسها صلة اليهود بهذه العقيدة فيقول النووي : ان اول من اشهر القول بفرض امامة على بن

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١ : ٥٨ - ٦٠) بتصرف .

(٢) الفتاوى لابن تيمية (٤ :)

ابى طالب هو عبد الله بن سبأ اليهودى^(١) . كما قال الكشى ايضا : وكان ابن سبأ أول من اشتهر بالقول بفرض امامة على^(٢) . كما نقل الحامقانى فى كتابه تنقيح المقال مانصه :

وذكر اهل العلم ان عبد الله بن سبأ كان يهوديا فاسلم ووالسى عليا وكان يقول - وهو على يهوديته - عن يوشع بن نون انه وصى موسى فقال فى اسلامه فى على مثل ذلك^(٣) .

ان مجموع هذه النصوص ليؤكد حقيقة خطيرة تنسف المذهب الشيعى من جذوره حيث انه قام على هذه العقيدة وهذا المبدأ الذى صاغه واظهره لعالم الوجود فكر يهودى خالص ممثلا فى شخصية عبد الله بن سبأ الذى فرق وحدة المسلمين وفرق جمعهم وراء^(٤) ستار التشيع لعللى رضى الله عنه كما ان فى احداث القرامطة ما يدل على انهم لا يعترفون بافضلية احد من الصحابة حتى على بن ابي طالب وآل بيته مما يؤكد كذبهم فى التمسح والتظاهر بحب آل البيت . وما ذكر ابن الجوزى ضمن احداث سنة ٣١٧ هـ ان رجلا من اصحاب الحديث اسره القرامطة واستعبدته سنين ثم هرب وينقل عن القرامطة كثرة الوقيعة فى الصحابة حتى على بن ابي طالب حيث يصفونه بالمخرقة .

ويقول ابن الجوزى ايضا ان ابا طاهر القرمطى دخل الكوفة دفعا فما دخل الى قبر على عليه السلام واجتاز بالحائر فما زار الحسين ونعود بعد ذلك لنؤكد ان الادعاء بان الامامة خاصة بحلى بن ابي طالب وابنائهم من بعده ادعاء كاذب وقول مجرد من الدليل الصحيح واننا اذا تتبعنا ادلتهم من هذا الموضوع نجدها كالاتى :

-
- (١) فرق الشيعة للتوحيدي (ص ٤١) .
 - (٢) رجال الكشى (ص ١٠١) .
 - (٣) المنتقى للذهبي (ص ٣٠٧) حاشية رقم ٢ .
 - (٤) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٢٢٤) .

(أ) أدلة من الكتاب والسنة فسروها وألوهها حسب مزاعمهم وأهوائهم مستخدمين لذلك التفسيرات الباطنية التي لا حدود لها ولا قيود سواء من جهة الشرع أو لغة العرب .^(١)

حتى ان مستشرقاً يهودياً انتقدهم على هذه التفسيرات المتعسفة للآيات وقال ان من يقرأ تفسيرات الشيعة يتصور ان القرآن كتاب حزبي لهم وضرب مثالا بارزا لذلك وهو تفسير علي بن ابراهيم القمي .^(٢)

(ب) احاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعها المبتدعة من الرافضة والزنادقة ولا سيما احاديث الفضائل المتعلقة بعلي ابن ابي طالب وآل بيته وقد اعترف الكثير من متقدمي علماء الشيعة بذلك .

يقول ابن ابي الحديد - وهو شيعي - واعلم ان اصل الاكاذيب في احاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فانهم وضعوا في مبدأ الامر احاديث مختلفة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم .^(٣)

اما علماء السلف فاطبقوا على وصفهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع الاحاديث . وحينما سئل الامام مالك رضي الله عنه عن الرافضة ومروياتهم قال : لا تكلمهم ولا ترو عنهم فانهم يكذبون ويقول الشافعي : لم ار احدا اشهد بالزور من الرافضة . ويقول الامام مش : ادركت الناس وما يسمونهم الا الكذابين .

ويقول ابن تيمية رحمه الله : ان من تأمل كتب الجرح والتمديد رأى المعروف عند مصنفها بالكذب في الشيعة اكثر منهم في جميع الطوائف والخوارج مع مروقهم من الدين هم من اصدق الناس حتى قيل ان عدوهم

(١) انظر لمثل هذه الاستدلالات ديوان المؤيد (ص ٧٢ - ٨٠) .

(٢) نظرية الامامة لا حمد صبحي (ص ٢٠٣) نقلا من مذاهب التفسير لجولد تسيهر (ص ٣١) .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (١١ : ١٧) .

من اصح الحديث والرافضة يقررون بالكذب حيث يقولون : ديننا التقية وهذا هو النفاق ^(١) .

ويقول ابن القيم رحمه الله ان ما وصفه الرافضة في فضائل علي اكثر من ان تعد ونقل من الحافظ ابي يعلى قوله : ان الرافضة وضعت في فضائل علي رضى الله عنه واهل البيت نحو ثلاث مئة الف حديث ويعلق ابن القيم على قول ابي يعلى بان ذلك لا يستبعد حيث لو تتبعنا ما عندهم من ذلك لوجدنا الامر كما قال ابو يعلى ^(٢) .

(ج) فضائل ثابتة لعلي بن ابي طالب وآل البيت ومع ان بعض هذه الفضائل صحيحة فقد حرفوها عن معانيها الصحيحة واولوها الى معان ليس لها اصل في الشرع ولغة العرب.

هذا مع العلم ان للصحابة الاخرين من امثال ابي بكر وعمر وعثمان من الفضائل ما هو اكثر من فضائل علي بن ابي طالب . ففي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية انه قال لابي علي يا ابي من خبر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا بني او ماتصرف قلت لا ، قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر وروى هذا عن علي من نحو ثمانين وجها وانه كان يقوله على منبر الكوفة بل قال لا اوتى باحد يفضلني على ابي بكر وعمر الا جلدته حد المفترى ثمانين جلدة ^(٣) .

وكان السلف متفقين على تقديم ابي بكر وعمر حتى شيعة علي رضى الله عنه فعن عبد الله بن زياد قال قدم ابو اسحاق السبيعي الكوفة قال لنا شمر بن عطية : قوموا اليه فجلسنا اليه فتحدثوا فقال ابو اسحاق : خرجت من الكوفة وليس احد يشك في فضل ابي بكر وعمر وتقديهما وقد امت الا ان وهم يقولون ويقولون ولا والله ما ادرى ما يقولون

(١) انظر المنتقى للإمام الذهبي (ص ٢١-٢٢-٢٣) .

(٢) المنار المنيف لابن القيم (ص ١١٦) .

(٣) المنتقى (ص ٣٦١-٣٦٢) ، الحسام المسلول (ص ٣٩-٤٠) .

وعن سعيد بن حسن قال سمعت ليث بن ابي سليم يقول : ادركت الشيعة الاولى وما يفضلون على ابي بكر وعمر احدا . وقال احمد بن حنبل قال حدثنا سفيان بن عيينة بسنده الى مسروق قال : حب ابي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة ^(١) .

واما الادعاء بان اولاد علي بن ابي طالب هم الاثمصة المنصوص عليهم فادعاء متهافت انكره آل البيت انفسهم . يقول ابن تيمية رحمه الله : والذي علمناه من حال اهل البيت طما لا ريب فيه انهم لم يكونوا يدعون انهم منصوص عليهم كجعفر الصادق وابيه وجده زين العابدين وعلي بن الحسين وابيه ^(٢) .

والادلة على ما ذكره ابن تيمية كثيرة ومن ذلك ما رواه البخاري عن ابي بكره انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرة واليه مرة ويقول : ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين ^(٣) .

وروى الامام احمد في مسنده نص هذا الحديث وفيه فقال الحسن - وهو احد الرواة - فوالله بعد ان ولي لم يهرق في خلافته ملء مجمة من دم ^(٤) .

ويقول الخطابي انه خرج مصداق هذا الحديث بما كان من اصلاح الحسن بين اهل العراق واهل الشام وتغلبه من الامر خوفا من الفتنة وكراهية لاراقة الدم ويسمى ذلك العام سنة الجماعة ^(٥) .

(١) المنتقى للذهبي (ص ٣٦٠-٣٦١) .

(٢) المنتقى للذهبي (ص ٥٣٣) مختصر منهاج السنة لابن تيمية .

(٣) فتح الباري (٢: ٩٤) ، ابو داود (٥: ٤٨-٤٩) ، ولفظه وانسى

لارجوان يصلح الله به بين فئتين من امتي ، واخرجه الترمذي

ايضا (٥: ٦٥٨) ، النسائي (٣: ٨٧-٨٨) ، الامام احمد في

المسند (٥: ٣٧-٣٨) .

(٤) المنتقى للذهبي (ص ٥٣٣) ، مختصر منهاج السنة .

(٥) معالم السنن للخطابي حاشية سنن ابي داود (٥: ٤٨-٤٩) .

فهذا النص الثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم يخالف ما ذهب اليه الشيعة سواهم اسماعيلية واثناعشرية من ان الامة منصوب عليهم وان امامة من سوى المنصوص عليهم باطلة فالحسن رضى الله عنه تنازل عن الامامة لمعاوية واصبح بذلك اماما للمسلمين كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم اخبر بوقوع ذلك وان تنازل الحسن هذا يحتج من فضائله ومناقبه التي اخبر الرسول بها .

وروى الامام احمد بسنده عن عبد الله بن سبيع قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول : لتخضبن هذه من هذا فما ينتظرن الا شقى . قالوا يا امير المؤمنين فاخبرنا به نبير عثرته قال اذا تالله تقتلون بنى غير قاتلى قالوا فاستخلف علينا قال : لا ولكن اترككم الى ما ترككم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فما تقول لربك اذا اتيت قال اقول اللهم تركتني فيهم ما بدالك ثم قبضتني اليك وانت فيهم فان شئت اصلحتهم وان شئت افسدتهم .^(١)

وروى ايضا احمد مثله عن اسود بن عامر عن الاعشى عن سلمة بن كهيل عن عبد الله بن سبيع وذكر انه سيقتل ثم قال الناس استخلف اذا قال لا ولكن اكلكم الى ما وكنكم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .^(٢)

ان هذه الاحاديث نصوص ثابتة وصريحة في بطلان دعوى نصية الامامة في ابنا علي بن ابي طالب . ولذا يقول ابو بكر بن العربي ان قول الرافضة ان علي بن ابي طالب عهد الى ابنه الحسن قول باطل^(٣) وانه ما عهد الى احد .

ومنطلقا من دعوى نصية الامامة في علي بن ابي طالب وابنائهم بعده اعتبروا خلافة الخلفاء الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان باطلة وانهم

(١) مسند الامام احمد (١ : ١٣٠) .

(٢) المرجع السابق (١ : ١٥٦) .

(٣) المواصم من القواصم (ص ١٩٨) .

اغضبوها وتعرضوا لهم سبا وتجريحا وافتروا عليهم العظائم وجعلوا حسناتهم سيئات حتى ان المسلم اذا قرأ كتب الشيعة على تعدد فرقهم يربأ بنفسه عن متابعة الفاظهم الشنيعة في خيار الامة فضلا عن نقل هذه العبارات وتسطيرها .

والحقيقة ان القدح في جيل الصحابة يعتبر قدحا في الرسول صلى الله عليه وسلم القائل فيهم : لا تسبوا اصحابي فوالذى نفسى بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهب ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه^(١) .

(٣) وبعد دحض دعواهم نصية الامة تنتقل الى دعوى اخرى اضعف من سابقتها الا وهى دعوى علم الغيب للائمة .

ان هذه الدعوى متهافة ولا يطق بها من فنده مسكة من عقل فضلا من الاعتقاد بها . وذلك ان الله عز وجل صرح في مواضع كثيرة من القرآن من ان علم الغيب خاص به تعالى لا يشاركه في ذلك نبى مرسل ولا ملك مقرب . قال تعالى : " قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله^(٢) " وقال تعالى : " ومنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين^(٣) " .

وامر رسوله الكريم بان يقر ويعترف ويعلن انه لا يعلم الغيب بقوله " قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك^(٤) " . ويقول : " قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون^(٥) " .

(١) فتح البارى (٢١ : ٧) ، مسلم (٤ : ١٩٦٧) .

(٢) سورة النمل : ٩٥ .

(٣) سورة الانعام : ٥٩ .

(٤) سورة الانعام : ٥٠ .

(٥) سورة الاعراف : ١٨٨ .

واخبر الله عز وجل عن المفييات الخمس التي استأثر الله بعلمها بقوله : " ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا . وما تدرى نفس باى ارض تموت . ان الله عليم خبير ^(١) .

وما اكثر الايات التي وردت في القرآن تدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو افضل الامة بلا منازع لا يعلم من حقيقة بعض الاشخاص الذين عاشوا معه وعاش معهم الا باخبار الله عز وجل له وايضا له لما في نفوسهم وغمائرهم . وعن ذلك ما ذكر الله عن المنافقين بقوله : " ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم ^(٢) .

وكذلك قوله في المنافقين الذين استأذنوا الرسول في القعود فاذن لهم حيث ماته الله قاعلا : " عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ^(٣) .

فهذا ما قاله الله عز وجل عن علم الغيب وانه من خصائصه ويتناول الشيعة كذبا وبهتاناً على هذه الخصائص وذلك يزعمهم من ائمتهم علم الغيب ومعرفة ما في النفوس وما ذكرنا من الايات صريحة في الرد عليهم وكافية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ^(٤) .

ومن الجدير بالذكر ان علماء العقيدة حينما تحدثوا عن الطواغيت ورؤوسهم اعتبروا من يدعى علم الغيب رأساً من رؤوس الطواغيت الخمسة التي يجب على كل مسلم الكفر بها ^(٥) .

(١) سورة لقمان : ٣٤ .

(٢) سورة التوبة : ١٠١ .

(٣) سورة التوبة : ٤٢ .

(٤) سورة ق : ٣٧ .

(٥) الرسالة السابعة من رسائل الشيخ محمد بن هبة الوهاب (ص ٢٦٦)
ضمن الجامع الفريد .

عصمة الائمة وموقف اهل السنة منها :

(١) انفردت الشيعة من بين سائر الفرق الاخرى باعتقاد عصمة الائمة واعتبروا هذه الصفة ملازمة للامام بل تعد احدى المبادئ الاساسية والاصول اليمانية في مذهب الشيعة ولذا بين ابن تيمية ذلك بقوله ان القول بعصمة الائمة عقيدة خاصة بالرافضة لا يشركهم فيها احد لا الزيدية الشيعة ولا سائر طوائف المسلمين الا من هو شر منهم كلاسماعيليين الذين يقولون بعصمة بنى عبيد المنتسبين الى محمد بن اسماعيل بن جعفر القائلين بان الائمة بعد جعفر بن محمد بن اسماعيل بن موسى بن جعفر واولئك ملاحدة منافقون . (٢)

تصدى علماء السنة ضمن ردودهم على الشيعة الى رد هذه العقيدة

- (١) اختلف في تعريف العصمة . فالحكما قالوا بانها ملكة في النفس لا يصدر من صاحبها معها المعاصي . وعرفها المعتزلة : بانها لطف على المكلف لا يكون له داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك . وقالت الاشاعرة : هي القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية . اما الجليلاني فعرفها بأسلوب الفلاسفة قائلا : انها قوة روحانية وموهبة فطرية مختصة بالنفوس القدسية لا استعدادها الذاتي لتحصل بها حقائق مشاهدة عقلية بقدر طاقتها على ما كان عليها ولا يحصل معها العصيان والسهو والنسيان وان كان ممكنا لها لذاتها . توفيق التطبيق للجيلاني (ص ١٥ - ١٦) .
- اما متكلموا الشيعة فيعرفونها بقولهم : انها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حق وهو لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية ولا يمنعه على وجه القهر اي انه لا يكون له حينئذ داع الى فعل المعصية وترك الطاعة مع القدرة عليها . شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد (ص ١١٤) ، وانظر نظرية الائمة (ص ٦) .
- (٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢ : ٣٥٩ - ٣٦٠) .

وبيان تهافتها وانها ما ابتدته الشيعة في دينهم حيث لا اصل لها
لا نقلا ولا عقلا .

فالفزالي رحمه الله افاد لها فصلا خاصا وناقشهم فيه نقاشا
عقليا ألزمهم بعدة الزامات لا فرار لهم منها^(١) ، فمن الزاماته لهم قوله
بماذا عرفتم صحة كونه معصوما ووجود عصمته بضرورة العقل او بنظره
او سماع خبر متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يورث العلم
الضروري ولا سبيل الى دعوى الضرورة ولا الى دعوى الخبر المتواتر المفيد
للعلم الضروري لان كافة الخلق تشترك في دركه وكيف يدعى ذلك واصل
وجود الامام لا يعرف ضرورة بل نازع منازعون فيه فكيف نحلم بعصمته
ضرورة ؟ وان ادعيتم ذلك بنظر العقل فنظر العقل عندكم باطل
وان سمعتم من قول امامكم ان العصمة واجبة للامام فلم صدقتموه قبل
معرفة عصمته بدليل آخر ؟ وكيف يجوز ان تعرف امامته وعصمته بمجرد
قولهم^(٢) .

اما صاحب مشكاة الانوار فقد ابطال ما زعموه ادلة على العصمة
وابطل اشتراطها في الامام اصلا واعتمد في بطلانها على امور خمسة من
اهم هذه الامور المطالبة لهم بالادلة وهو ان يقال لهم : بماذا عرفتم
وجوب اشتراط عصمة الامام هل علمتموه بضرورة العقل او بنظره او سماع
خبر متواتر او بقول امامكم هذا ؟ ولا سبيل لكم الى دعوى الضرورة ولا الى
دعوى التواتر لعصمته لان ذلك يوجب اشتراك الخلق في دركه وكيف يمكنكم
دعوى الضرورة في وجوب اشتراط العصمة للامام واصل وجوب وجود الامام
لا يعرف ضرورة بل قد نازع فيه منازعون . وان ادعيتم علم ذلك بنظر العقل
فالنظر عندكم باطل لا معتمد عليه . وان عرفتم ذلك بقول امامكم فلم

(١) فضائح الباطنية (ص ١٤٢ - ١٤٥) .

(٢) فضائح الباطنية للفزالي (ص ١٤٢) .

صدقتموه قبل ان تعلموا عصمته بدليل آخر ؟ وعلى انكم اذا كنتم لا تعرفون
عصمته الا من قوله وقوله لا يكون حجة الا اذا كان معصوما فقد وقف كل
واحد من الامرين على الاخر فلا يحصلان ولا واحد منهما (١).

وبمثل هذه الالتزامات والالتزامات ناقشهم ايضا محمد بن الحسن
الديلمي (٢).

اما ابن تيمية رحمه الله فقد بين مكان العصمة ومن يوصف بها
حيث قال : لم لا يجوز ان يكون اذا اخطأ الامام كان في الامة من ينبيهه
بحيث لا يحصل اتفاق الكل على الخطأ كما اذا اخطأ احد الرعية نبيه
امامه او نائبه وتكون العصمة ثابتة للمجموع بحيث لا يحصل اتفاقهم على
الخطأ كما يقوله اهل السنة والجماعة ونظيره ان كل واحد من اهل
خبر التواتر يجوز عليه الخطأ والكذب ولا يجب ذلك على المجموع ففى
العادة فاثبات العصمة للمجموع اولى من اثباتها للواحد وبذلك يحصل
المقصود من العصمة . ومن جهل الرافضة انهم يوجبون عصمة واحد من
المسلمين ويجوزون على مجموع المسلمين - اذا لم يكن فيهم معصوم - الخطأ (٣).
ومن اقوى الشبه - التى يعتبرونها ادلة - قولهم ان الامام قائم
مقام رسول الله فيما يتعلق به من امر الدين كله فاذا كان النبي معصوما
وجب ان يكون الامام ايضا معصوما . وقد اجاب على هذه الشبهة
صاحب مشكاة الانوار بجوابين :

الاول : ان مماثلة الامام للنبي يعتبر من جهل الملاحدة
الذين يجمعون بين الامور المتباعدة ويوفقون بين الاشياء المتباينة
فعصمة الانبياء ثبتت بايحاء الله لهم اما الائمة فليسوا كذلك .

الجواب الثانى : اننا نسألهم هل يوجبون فى الامام ان يكون

(١) مشكاة الانوار ليحيى بن حمزة العلوى (ص ٨٣) .

(٢) انظر كتابه قواعد عقائد آل محمد (ص ٦٤ - ٦٥) .

(٣) المنتقى للذهبي (ص ٤١٠) .

مثل النبي في جميع احواله او يقولون لا بد من فصل بينهما ؟
 فان قالوا بالاول لم يكن فرق بين النبي والامام وليس هذا مذهبا
 لهم . وان قالوا بالثاني قلنا لهم فلم لا يكون الامر الذي افترقا فيه
 هو السبب في وجوب عصمة النبي ^(١) من الامام ؟

كما ان الرازي اوقعهم في مأزق حرج لا فرار لهم منه حيث قال
 لو كان المعصوم في غير حاجة الى الامام لما كان على وانتم تثبتون له
 العصمة مدى الحياة في حاجة الى الرسول وهذا باطل لانكم تسلمون
 انه كان اليه محتاجا وبه مؤتما فان زعمتم ان امير المؤمنين لم يكن في
 حاجة الى النبي كان ذلك خروجا عن الدين وان زعمتم انه لم يكن
 معصوما كان خروجا من قاعدتكم ان الامام معصوم من اول مولده الى آخره ^(٢) .

وصا مضى يتضح لنا ان القرامطة في معتقدتهم من الامامة
 ابتعدوا كثيرا عن الهدى والصواب حتى لم يبق عندهم من الاسلام
 سوى بعض النصوص القرآنية التي لم تسلم بدورها من اثمتهم حيث لعبوا
 بها تأويلا وتحريفا بحجة انهم وصلوا الى مرتبة التحليل والتحريم .

اما الالفاظ الاحادية التي تفوه بها دعاة الاساطية والقرامطة
 كقولهم عن محمد بن اسماعيل انه ماثل للانبيا والرسول او انه
 يعتبر ناسخا لشريعة الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، او
 وصف الائمة بالصفات الالهية هذه المعتقدات وما يشبهها - آثرت عدم
 مناقشتها لانها من الكفر البواح الذي لا يحتمل التأويل .

والعلماء الاجلاء كالغزالي والبغدادي وابن تيمية حينما
 ناقشوا الشيعة حول معتقداتهم اعرضوا عن مثل هذه الامور مكثفين
 بالاشارة الى انه لا يتفوه بمثل هذه الاقوال الا الملاحدة والكفار .

(١) انظر مشكاة الانوار ليجي العلوي (ص ٨٦) .

(٢) نهاية العقول في دراية الاصول (ص ٤٣٥) ، ونظرية الامامة

لصبي (ص ١٢٤) .

يقول ابن تيمية رحمه الله ان الغلاة من الرافضة كالا سماعيلية الذين يقولون : ان محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله يعتبرون كفارا بل انهم اشد كفرا من اليهود والنصارى والمشركون وهؤلاء ينتسبون الى الشيعة ويتظاهرون بمذاهبهم .^(١)

ولقد نتج من معتقد القرامطة في الامة نتائج خطيرة من اهمها :
(١) اللعب بالنصوص القرآنية عن طريق الائمة واغضاع هذه النصوص للتأويلات والتفسيرات الباطنية ولذا اصبحت حقائق الدين واحكامه عند القرامطة مبنية على التأثر بالاهواء والاغراض التي لا ضوابط لها ولا قواعد .

(٢) استغلال نظرية الامة حيث كانت مدخلا للكثير من البدع وتربة صالحة للاراء والمعتقدات الباطلة .

(٣) اعتبر القرامطة الامة جسرا يعبرون عليه لاستمرار نشاطهم وتحقيق اهدافهم الهدامة حيث احاطة الائمة بهالة من التقديس والتعظيم واعتبرت كل طائفة امامها هو الذي يفيض عليه نور المعرفة وتكشف له الحقائق ويعرف اصل الشريعة الذي يعبرون عنه بالباطن الحقيقي . ويقول الحميري من هؤلاء : وقد امسكت كل طائفة برئيس وعدت حسنا منه ككل يثيس ولكل محاسن ومساو وقول ليس بمتساو .^(٢)

كما يقول احد المستشرقين : ان فكرة الامة عند الاسماعيليين لم تكن الا قناعا ستروا وراءه برامجهم الهدامة . ولم تكن الا تكملة اسلامية المظهر اعتمدوا عليها كأداة للتقويض والتدمير .^(٣)

-
- (١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١ : ٣٣٢) .
(٢) الحور العين للحميري (ص ٢٤٨) .
(٣) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر (ص ٢٣٩) .